الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة وهران : السانيا

كلية العلوم الإجتماعية

قسم الفلسفة

المشروع :فلسفة الأخلاق (التسامح و المواطنة)

القيم الأخلاقية و السياسية عند نيكولا ميكيافيلي

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة

إعداد الطالبة :

- بن حليلة شوقي

إشراف الأستاذ الدكتور :

- صايم عبد الحكيم

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د . زواوي بوكرندة	أستاذ محاضر	رئيسا	جامعة وهران
أ.د . عبد الحكيم صايم	أستاذ محاضر	مشرفا و مقررا	جامعة وهران
أ.د . حمادة أنور	أستاذ محاضر	مناقشا	جامعة وهران
د. علجية يموتن	أستاذة محاضرة	مناقشا	جامعة وهران

السنة الجامعية :2014م-2015م

الاهداء :

الى الوالدين العزيزين

الى اخوتي وأخواتي

الى ابنتي العزيزة غزلان

الى كل الأهل والأصدقاء

الى كل من ساعدني على انجاز هذا البحث المتواضع و أخص بالذكر :الأستاذ فقيه عبد الحنين و الأستاذ الدكتور صايم عبد الحكيم

الى كل هؤلاء أهدي هذا العمل .

شكر وتقدير

بعد الانتهاء من هذا البحث المتواضع أود أن أنوه معتزا ومخلصا للمحبة الكبيرة والحرص الدائم والتكوين المستمر التي غمرنا بها الأستاذ الدكتور الفاضل صايم عبد الحكيم فقد كان نعم الأخ والأب والصديق ولم يبخل علينا بالمساعدة توجيها وإشرافا وقد ذلل لنا بروحه الطموحة كل الصعوبات وخاصة النفسية منها التي واجهتنا في سنوات الاعداد والتحضير للرسالة وإنني أشعر اليوم بإضافة تجربة جديدة وغنية مع أستاذنا الفاضل .

المقـــــدمة

مقدمة :

يعتبر عصر النهضة من أهم المراحل التاريخية التي مهدت للفكر السياسي الحديث بجميع نواحيه وتطبيقاته وظهرت في هذا العصر مبادئ لا تزال الإنسانية في محاولة للبحث فيها .

إن الأفكار التي جاءت في مرحلة النهضة في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقوانين ساعدت في تقدم المدينة السريع واتساع نطاق الإنتاج وعرف العالم الغربي في هذه المرحلة تحولات عميقة شملت جميع النواحي وتميز هذا القرن بسيطرة رجال الدين والنبلاء على خيرات بلدانهم وفي أجهزة الحكم ودار صراعا في ايطاليا بين النبلاء والبابا لاسترجاع النفوذ وهذا ما جعل روما في وضعية يرثى لها وهو الشيء الذي أثر في ميكيافلي، **وهو يرى روما تسقط** ويتكالب عليها الأعداء وخلاصها يكمن في المقترحات والمبادئ والنصائح التي وجهها للأمير ولقد كان مكيافلي واقعيا الشيء الذي جعل أفكاره تجد الطريق للتجسيد وجملة هذه الأفكار هي البحث عن القوة والعظمة للدولة لضمان البقاء والاستمرار وفصل الدولة عن الأخلاق والدين ومن هنا وبباسطة أراد أن يخلص السياسة من الاعتبارات الأخرى ويكتب عنها لو كانت غاية في حد ذاتها . كما يتوقف الحكم إلى حد كبير على القوة والحيلة " قوة الأسد وحيلة ومكر الثعلب " لم يتوقع نيقولا مكيافلي أن كتابه الأمير الذي انتهى من كتابته قبل وفاته بأربعة عشرة عاما سيصبح مرجعا سياسيا مهما للكثير من قادة العالم عقب الثورة الصناعية ،كما لم يخيل إليه أن الكتاب سيصبح مرجعا في عالم السياسة وماكان يطمح إليه هو أن يقرأ الأمير كتابه ويطبق القيم الأخلاقية الموجودة فيه رغم أن الكتاب عار لاحق ميكيافلي إلى غاية وفاته ورغم المحاولات التي بذلت من أجل الدفاع عن كتابه إلا أن ذلك لم يفقده السمعة السيئة التي حاقت به وبمؤلفه حتى بعد وفاته منذ قرون فهو يدعو إلى معاني الخسة والانتهازية ، وعدم احترام حقوق الآخرين بل اعتبار قتل الأبرياء شيء طبيعي من أجل الحفاظ على السلطة .

إن اسم مكيافلي لم يرتبط بأي معنى طيب في ذهن القارئ العربي العادي مع العلم أن الكثير من القراء العرب والمسلمين لا يعرفون سوى أنه صاحب عبارة " الغاية تبرر الوسيلة " وهي عبارة وردت في الفصل الثامن عشر من هذا الكتاب، ولقد أثار الكتاب جدالا كبيرا عند نشر في أروبا لأول مرة فهو يتناول أخلاقيات السياسة ولم يسبق إليه أحد وأجمع غالبية النقاد في تلك الفترة على الأخلاقيات الشريرة الموجودة في الكتاب الذي لا يناسب إلا الحكام الطغاة فقد عرفه الجميع في القرن السادس عشر كما عرفوا صاحبه مكيافلي .

وظلت المعاني الشريرة الموجودة في كتابه الأمير تلاحقه كما أن المسرح العالمي قد جسد المعالم الشريرة في فكر مكيافلي خاصة في مسرح شكسبير وفي مسرحية زوجات وندسور يقول شكسبير " **ماذا هل أنا مخادع ؟... هل أنا مكيافلي ؟**" كما أن "**مارلو** الشاعر الايطالي 1749 1803 " قد استخدم الشخصية غير الأخلاقية على طريقة مكيافلي في يهودي مالطا سنة 1589 وهناك أمثلة أخرى كثيرة[1] .

وامتد ذلك إلى المسرح العربي وترددت العبارات التالية : هذه مكيافلية رخيصة أو هذا هو مبدأ مكيافلي الرخيص " وغيرها من المبادئ التي لا تحمل أي معنى للشهامة أو النبل أو الصدق أو الوفاء. **ولقد عبر فرنسيس بيكون** عن نظرية مكيافلي في أنه" يتناول الأشخاص كما هم وليس كما يجب أن يكونوا" [2]، ولم يجدي الامر نفعا ولم يحسن من صورة مكيافلي وفي عام 1559 صدر قرار بإدراج كتب مكيافلي ضمن قائمة الكتب الممنوع نشرها كما أن الكثير من الجبابرة وزعماء السياسة قد كانوا يقرؤون كتاب الأمير حيث اختاره موسيليني موضوعا للدكتوراه .

كما أن هتلر زعيم النازية الألمانية قد كان يقرا أكتاب الأمير كل يوم ويضعه بمقربة من سريره ولقد استفاد الكثير من كتاب الأمير لمكيافلي الذي كان مليئا بالأخلاقيات السياسية التي كانت سائدة

1 مكيافلي ، الأمير ، ترجمة أكرم مؤمن ،مكتبة ابن سينا مصر الجديدة القاهرة ،2004 ص : 4
2 المصدر نفسه ،ص :5

في ذلك العصر بل وحتى السائدة في عصرنا هذا سواء كانت أخلاقيات بغيضة أو حميدة وبشهادة المؤرخين أن كتاب مكيافلي يعتبر أول ما كتب في العصر الحديث في إطار السياسة ضمن نظرية فصل السياسة عن الأخلاق أي تخليص السياسة من الاعتبارات الأخرى وطرد من فضاءاتها كل ماله علاقة بالقيم الأخلاقية والدينية . ولقد ناقش فولتير 1694 1778 أفكار ميكيافلي بنشره لكتابه " دراسة نقدية حول ميكيافلي " ويؤكد في مقدمته على" أنه أسديت خدمة للناس لما نشرت هذا الكتاب" [3] ويحلل فولتير أفكار ميكيافلي في انه من واجبنا نحن أن نقي الناس من سموم مكيافلي المنتشرة بين الناس ما ركز عليه فولتير بلاهاي يوم 12 أكتوبر من سنة 1740 بتقديمه لمحاضرة حوله وحلل فوكو 1926 1984 منطق الحكم انطلاقا من عهد ميكيافلي في الغرب ،مستعينا بالحفريات والجينالوجيا والابستومولوجيا وعلوم اللغة مركزا غلى القطائع والانفصال في تاريخ الفكر السياسي الأوربي ويتساءل هل قطع الغرب مع ميكيافلي ؟ كما يرفض غرامشي 1891 1937 الرأي الشائع القائل بأن ميكيافلي كان حالما وليس واقعيا فقد كان مهتما بما يجب عمله واقعيا فقد كرس حياته للتخطيط لعلاقة جديدة للطبقات والمؤسسات في ايطاليا ؛ وكتب برتراند راسل قائلا " وربما يستطيع عصرنا أن يقدر ميكيافلي من جديد تقديرا أفضل ذلك لأن بعض الأعمال الناجحة الفذة في زماننا تحققت بطرائق مماثلة في دناءتها لأية طريقة من الطرائق التي استخدمت في عصر النهضة في ايطاليا فسيحيى ميكيافلي كذواقة فنان في صناعة الدولة " خطب رايخستاج هتلر النارية وتصفيته للحزب سنة 1934 ونكثه للوعد بعد ميونيخ" [4] ".

كما يحضر مكيافلي في الفكر العربي فلقد قام أكرم مؤمن بترجمة كتاب الأمير إلى جانب ترجمة فاروق سعد الذي قدم ترجمة وتحليلا لكتاب الأمير قبل كتابته وبعده ؛ بالإضافة إلى محمد بن البار الذي قدم وصفا مترجما لكتاب الامير مما يعني حضور المكيافلية في الفكر العربي.

3 الحسن اللحية ،الرد على ميكيافلي، افريقيا الشرق الدار البيضاء المغرب 1999، ص :29
4 برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية ،الكتاب الثالث الفلسفة الحديثة ،ترجمة محمد فتحي الشنيطي الهيئة المصرية للكتاب الاسكندرية مصر، 1977

ويستمد الموضوع أهميته من عدة نقاط منها طبيعته الأخلاقية التي ترتبط مع التفكير السياسي وإعادة بعث فكر النهضة من جديد انطلاقا من فلسفة مكيافلي بحثا عن أخلاقيات السياسي ؛ وإذا كان للسياسة أهمية في تطوير الدولة فالأخلاق أكثر أهمية لأنها تتصل بالناحية الروحية للإنسان ؛ اضافة محاولة إزالة الغموض عن السياسة والأخلاق انطلاقا من عصر النهضة وبالتحديد مع مكيافلي مرورا بفلاسفة الفلسفة الحديثة ووصولا إلى الفلسفة المعاصرة ومن خلال عنوان البحث تتجلى صورة فصل الأخلاق عن السياسة داخل الدولة على أن تكون السياسة غاية في حد ذاتها حيث يتحلى الحاكم بصفات خاصة تجعله يحافظ على سلطته ؛ إلى جانب قراءة النظرية المكيافلية بمختلف أبعادها انطلاقا من الواقع الحاضر .

لا يزال مكيافلي حاضرا في الفلسفة المعاصرة بدليل المؤتمر الأخير الذي تم انعقاده بمدينة لندن بتاريخ : 29 30 31 ماي 2013

بعنوان : **المكيافلية والأمير** حيث قدم الأساتذة قراءات حول ميكيافلي وحضوره القوي في الفكر الفلسفي المعاصر مع جاك دريدا وميشال فوكو.

وعن أسباب اختيار الموضوع فيعود الأمر إلى بواعث خاصة وعامة وكلاهما يرتبطان ببعض فنجد تجاهل فلسفة ميكيافلي في السياسة والأخلاق ،بالرغم من الأهمية التي يكتسيها في عالم السياسة وكيفية الحصول على الحكم والمحافظة عليه واتصال الموضوع بالسياسة ونظام الحكم خاصة في ظل التطورات الحاصلة في العالم وحاجة الحاكم إلى سياسة القوة ،كما أن فكرة القطيعة مع اللاهوت والتأسيس لمنطق القوة السياسية داخل الدولة جعل من الكثير يهتم بميكيافلي وتجاوز فكرة اليوتوبيا والخيال عن الفلاسفة السابقين وانتقال ميكيافلي إلى وصف الحياة السياسية الواقعية وتوجيه نظر الحاكم ومحاولة إبراز حداثة ميكيافلي السياسية المميزة بالمصلحة والقوة كمعايير جديدة أنتجت فكرا سياسيا بعيدا عن القيم الأخلاقية، غرضه تقوية سلطة الحاكم إلى جانب عدم فهم المكيافلية

في أنها حاضرة في بنية الدولة وداخل كل فكر سياسي منذ الفلسفات القديمة وقلة القراءات والمذكرات حول ميكيافلي السياسي والأخلاقي خاصة مذكرات الماجستير.

ودراستنا للموضوع لم تكن في منأى عن الصعوبات الكثيرة فكل بحث لا يخلوا من عقبات كثيرة منها الكتابات القليلة المتعلقة بنيكولا ميكيافلي ما يتطلب مني جهدا في القراءة والتمعن والتدبر والبحث العميق حتى لا ننسب للفيلسوف مالا ينتسب إليه . هذا بالإضافة إلى الأحكام المسبقة حول شخصية مكيافلي التي رأى فيها البعض قيم غير إنسانية وغير أخلاقية .

و تعدد الترجمة للمصدر الرئيسي لميكيافلي وهو الأمير حيث وجدت ترجمة للدكتور فاروق سعد وأخرى للدكتور أكرم مؤمن وأخرى بالفرنسية ما يطرح صعوبة في فهم نظرية ميكيافلي ففي ذلك تعدد و اختلاف .

هناك كتابات كثيرة لميكيافلي خاصة على مستوى التأليف حيث نجد:

الحسن اللحية " الرد على ميكيافلي "

فاروق سعد " تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده "

أكرم مؤمن "كتب غيرت مجرى العالم " ترجمة لكتاب الأمير لمكيافلي "

وكتابات أخرى بالفرنسية كالأتي :

1-Machiavel jean francois duvernoy

2-Machiavellisme le prince international conference le 29 mai 2013 brunel university london

3- Christiane gil machiavel fonctionnaire florentin perin 12

4 -machiavel Le prince texte intégral édition 9964 1 trimestre 1980 France

5 quentin skinner machiavel traduction par michel plon edition du seuil paris 1989

6 michel berges machiavel un penseur masqué université de bordeaux 2000

وعن الأهداف والنتائج المتوقعة فنقول إثبات وجود فلسفة للسياسة والأخلاق وتحليل أفكار ميكيافلي ومقارنتها بالفلسفات السابقة والحاضرة والمساهمة في توضيح فلسفة ميكيافلي السياسية والأخلاقية للقارئ ويهدف البحث إلى التعامل مع فلسفته بقراءات مختلفة و يهدف هذا البحث إلى التعامل مع فلسفة ميكيافلي بقراءات مختلفة لمختلف الفلاسفة وإثراء المكتبة الجزائرية والعربية فلسفيا .

وبالنظر إلى الإشكالية التي نريد معالجتها في هذه المذكرة والتي تمت صياغتها كالأتي:

ما طبيعة الفلسفة السياسة والأخلاقية عند ميكيافلي ؟

وما هي مساهمة ميكيافلي في إثراء الفكر السياسي والأخلاقي وما تأثيره على الفكر الحديث والمعاصر ؟

وهل يمكن القول أن نظرية ميكيافلي السياسية قد بلغت الصدى المطلوب وهل ما تزال حاضرة في الفكر الفلسفي المعاصر والفكر العربي ؟

وهل بالإمكان الاستفادة من فلسفته السياسية والأخلاقية ؟

ومن حيث أن طبيعة الموضوع تفرض علينا منهجا مناسبا فإننا سنحاول مقاربة موضوع هذه المذكرة بالمنهج التحليلي التاريخي النقدي تحليلي يناسب اتجاهنا نحو الكشف عن المفاهيم والمبادئ العامة التي جاء بها ميكيافلي في السياسة والأخلاق، وتاريخيا لأنه يصف الماضي في باقي

الفلسفات السابقة فيما يتعلق بالدراسات حول أخلاقيات السياسة لتفسيرها وتحليلها ونقدي بالتطرق إلى أراء و أفكار الفلاسفة الذين كتبوا وأسهموا في موضوع السياسة والأخلاق منهم فلاسفة اليونان أو الذين عاصروا ميكيافلي في عصر النهضة، إلى جانب فلاسفة الفلسفة الحديثة الذين نقدوا ميكيافلي أو وقفوا موقف التأييد في نظريته وفلاسفة الفلسفة المعاصرة وفق نظرتهم لفلسفته السياسية والأخلاقية دون تجاهل الفكر العربي الذي كان له نصيب وافر في التأثر بميكيافلي سواء على مستوى الترجمة أو التحليل والدراسة .

ففكر ميكيافلي له بنائه الفلسفي المتماسك والذي يرى في السياسة القوة والحفاظ على السلطة غاية الحاكم واهتم بالسياسة عمليا ونظريا دون الاهتمام بالاعتبارات الاخلاقية ؛ كما اعتقد ميكيافلي ان الانسان في جوهره شرير .

وبداية البحث كانت بالفصل الأول الذي يمثل الفلسفة اليونانية القديمة إلى جانب فلسفة القرون الوسطى وكلها تمثل فلسفة متميزة بها جذور تاريخية للفلسفة الميكيافلية وبداية مع المدرسة السوفسطائية ؛ فيما يتعلق بالقيم الأخلاقية والسياسية إلى جانب أفلاطون ثم أرسطو وصولا إلى العصور الوسطى مع القديس أوغسطين وتوما الأكويني ؛ حيث استطاعت المدرسة السوفسطائية إثارة الأسس الواقعية للحكم السياسي وشكلت ثورة عنيفة ضد العبودية بتأكيدها على المساواة السياسية وهذا ما دافع عنه أنتيفون فيما يتعلق بالصراع الأناني بين المواطنين حصولا على الغاية المطلوبة وهي الوفاق بين الناس ؛ لقيام مجتمع إنساني؛ أما أفلاطون فصوب تساؤلاته نحو اشكالية تخص كل المجتمعات في كل زمان ومكان وهي تنقية الحكم من الشوائب الذي عادة ما تفسد الدور الحقيقي الذي جاءت من أجله الدولة؛ على أساس فحص الوسائل التي يكون بفضلها الحاكم صالحا بتوفر قوتان الفلسفية والسياسية ؛ وبقيت الخلافات بين أفلاطون والمدرسة السوفسطائية قائمة خاصة في اختزال مهارات الإنسان في المنفعة وهذا الأمر هو الذي أضعف أثينا وشجع على الفوضى وانتقالا إلى أرسطو والذي بحث في ماهية الحكومات والدساتير في عصره للنظر في الغاية منها وعلى رأسها الانسجام في مختلف الوسائل المؤدية إلى الغايات المطلوبة

؛ ونادى أرسطو بحماية الفقير من الظلم والأغنياء وهو نفس الوقت لا يقدم صورة مثالية عن الدولة بعكس أفلاطون وبعيدا عن اليوتوبيات السياسية .

ووصولا إلى فلسفة القرون الوسطى التي يمثلها بقوة القديس أوغسطين كقمة للفلسفة المسيحية في العصر الكنسي حيث بقيت الفلسفة الأوغسطينية ممثلة للفكر المسيحي حتى نهاية عصر أباء الكنيسة مع العلم أن هناك تأثير لأفلاطون وأرسطو في الفلسفة المسيحية، وبدى الفكر الفلسفي المسيحي متماهيا مع الفلسفة اليونانية لا بل متأثر جدا بها ؛ رغم أن القديس أوغسطين قد أكد على مملكة العقل ومملكة النقل قائلا "أؤمن من أجل أن اتعقل فالإيمان أولا ثم يأتي العقل بعد ذلك "[5].

ومن هنا اتجه أوغسطين إلى السياسة انطلاقا من الأوضاع المضطربة التي كانت تمر بها الامبراطورية الرومانية ويؤكد أن الدولة غايتها تحقيق السعادة، ويربط أوغسطين بين الدولة والكنيسة كما يرى في مدينة الله الغاية الكبرى للإنسان .أما توما الاكويني فصوب اهتمامه نحو فكرة ان الدولة أساس لتنظيم القيم الأخلاقية وسار توما الأكويني على خطى أرسطو في اشتقاق الدولة من الطبيعة الإنسانية ومن حيث أضحت الدولة تعبيرا عن الطبيعة الإنسانية .

وفي الفصل الثاني حولنا النظر إلى القيم الأخلاقية والسياسة عند نيكولاي ميكيافلي؛ سالكين في ذلك تدرجا من : السياق السياسي والثقافي للفلسفة الميكيافلية حيث نعرض فيها الفساد الأخلاقي والسياسي الذي عاشته ايطاليا حيث راح ميكيافلي يدعو إلى الوحدة عبر كتابه الأمير والدي أحدث ضجة كبيرة في أوساط المفكرين؛ وأضحى كتاب ميكيافلي وسيلة لمن أراد بلوغ السلطة؛ ولقد تميز ميكيافلي بالواقعية الشيء الذي جعل أفكاره تتجسد ؛ ووضع ميكيافلي نصائح للأمير ليتبعها في سياسته ؛ واتبع منهجا تاريخيا حيث كتب كتاب الأمير والمقالات بين سنة 1513 و1521 يتناول فيهما شروط النجاح السياسي.

5 عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى ،وكالة المطبوعات الكويت ودار القلم ،بيروت لبنان الطبعة الثالثة 1979،؟ ص :1 - 2

" ويعتقد ميكيافلي أن الطبيعة الإنسانية لا تتغير أبدا على مدى الأزمان وفي مختلف الأماكن فالإنسان في جوهره شرير "[6] وهناك قسمان في كتاب ميكيافلي فيهما مهتما اهتماما واضحا بشن هجوم على النظريات السياسية لمعاصريه حيث يتهمهم بإخفاقهم في التأكيد على أهمية القوة المطلقة في الحياة السياسية ؛ وبعيدا عن أية قيم يركز ميكيافلي الاهتمام على فنون الإقناع باستخدام القوة العسكرية الفعالة ؛ ولقد قيل أنه بنشر نظرية ميكيافلي السياسية "يمكن تأريخ بداية جديدة للحرب "[7] وفي نفس الفصل تطرقنا إلى أهم القيم الأخلاقية والسياسية عند ميكيافلي حيث تتماهى القيم التي جاء بها مع القوة والقهر التي يبني عليها نظريته السياسية وفق المقولة القائلة "اذا أرادت الغاية فعليك بالوسيلة وإذا أردت السلم فعليك بالحرب " ولقد تطرق ميكيافلي إلى السياسة والفضيلة والتي تركز الاهتمام على القيم الخاصة بالأمير انطلاقا من المهابة التي يجب أن يتمتع بها والأمير حسب ميكيافلي ،مطالب بإدخال البهجة إلى قلوب الناس حتى تكون السياسة ناجحة رغبة في الامان التي لطالما بحث عنها ميكيافلي على غرار دانني

ومارسيليو إلى جانب الكثير من السياسين الراغبين في الامان . لقد توصلنا إلى أن ميكيافلي قد حاول من خلال قيمه أن يرفع من قيمة السلطة في ايطاليا بعدما ما أصابها الفتور والانهزام فانشغل بكتابه الامير وبحث في السلطة وحجة الأقوى ويرى أن السلطة في جميع أحوالها تعتمد على القوة والردع وتطرد من فضاءاتها الاخلاص وحفظ العهود ليصل الأمير إلى مستوى المهابة إلى جانب فن الحرب التي تكون من العوامل الأساسية في الارتقاء إلى السلطة.

ويتكلم ميكيافلي في الفصل الثالث من كتاب الأمير على التوسع الاستعماري وعن حروب التحرير واستخلص فكرة أخرى تتمثل في ثورة الشعوب ضد حكامها ليركز على قيمة المحبة بين الأمير والشعب مع العلم أنه يتكلم عن حاكم في صورة

6 عبد الرحمن بدوي ،الموسوعة الفلسفية ،الجزء الثاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1984 ص :464

7 كوينتن سكنر، أسس الفكر السياسي عصر النهضة الجزء الأول ترجمة حيدر حاج إسماعيل مركز دراسات الوحدة العربية بيت النهضة ،بيروت لبنان، ماي2012 ، ص : 251

أسد وثعلب أي القوة والمكر ؛ وعليه فالسلطة للأقوى والتظاهر ببعض المظاهر الذاتية كما اعتقد بعض أخلاقيو عصر النهضة منهم "هاملت "على أنه من الضروري أن يكون الإنسان وحشيا ليكون لطيفا ؛ ويتساءل ميكيافلي من جديد على قيمتي الرأفة والقسوة ضمن سؤال مفاده ما الأفضل للأمير أن يكون مهابا أم محبوبا ؟ ان استخدام القسوة حسب ميكيافلي يساهم في الحفاظ على الاستقرار والإفراط في الرحمة بإمكانه أن يؤثر على قيم المجتمع لتظهر بعض الصفات المرفوضة كالنهب والسلب ودائما ينادي ميكيافلي الأمير أن يكون شجاعا لا جبانا مع ضرورة تجنب الاحتقار والكراهية من أجل أن تسود إمارته وتستمر ودون معاداة تذكر ومن هنا فالمهابة مطلوبة لدى ميكيافلي وكتب قائلا " إذا كان الأمير يرغب في الحفاظ على دولته فسوف يجد أنه جوهري ومفيد ايجابيا وفي معظم الأحيان التصرف تصرفا متحديا للإخلاص الجيد ولعمل الخير واللطف والدين "[8].

ويتساءل ميكيافلي عن القيم الأخلاقية ضمن المحافظة على العهود من قبل الامير دون مكر او خداع رغم أن بعض الأمراء قد كان المكر هو السمة الغالبة على حكمهم ؛وهنا يرى ميكيافلي ان هناك طريقتين للقتال واحدة لها قوانين وقواعد والثانية قوانين فقط .

وبالتالي يرى ميكيافلي ان الامير مطالب بتقليد الأسد والثعلب ويستدل بالتاريخ في أن كل أمير استخدم صفات المكر كان ناجحا ؛ ولا شك في أن ميكيافلي أحب أحيانا أن يتكلف نبرة باردة لا أخلاقية واعية لاعتباره خبيرا سياسيا بتقديم لقواعد وسلوكات الحاكم الذي يغير من أفعاله ويسير من الخير إلى الشر وذلك ما يمليه عليه الحظ والظروف .

وفي الفصل الثالث تطرقنا إلى ما بعد المكيافلية وطرحنا سؤلا هل غابت المكيافلية أن أنها لا تزال حاضرة في الفكر الفلسفي الحديث والمعاصر ؟

8 كوينتن سكينر، أسس الفكر السياسي ،المرجع نفسه ص : 257

إن الفلسفة الحديثة قد تطرقت إلى التفكير السياسي بداية مع الفيلسوف الانجليزي توماس هوبز بالتطرق إلى نظريته الفلسفية التي تعد امتدادا للفلسفة المكيافلية انطلاقا من كتاب التنين كما أن جون لوك قد حلل أفكار السياسية المكيافلية ولكن بتصور جديد يطلق عليه السيادة للشعب بعد التعاقد مع العلم أن روسو يتكلم عن السيادة الشعبية والسؤال الذي طرحه الفلاسفة الثلاثة يتعلق بالتعاقد الاجتماعي وبأي طريقة ؟

وصولا إلى الفلسفة المعاصرة مع غرامشي وفوكو ودريدا وبحثنا جينالوجيا وتفكيكا لفلسفة ميكيافلي إلى جانب تأثر الفيلسوف غرامشي السجين الرمز بفلسفة مكيافلي، ودون أن نتجاهل الفلسفة العربية التي كان لها نصيبا وافرا من هذه الدراسة خاصة على مستوى الترجمة من قبل المفكر فاروق سعد والمفكر أكرم مؤمن .وتوجنا هذا البحث في الأخير بحوصلة لفلسفة مكيافلي ومكانة القيم الأخلاقية والسياسية في الفلسفة المكيافلية وإزالة الغموض الذي ظل سائدا مدة طويلة إلى جانب الخوف الذي اعترى الكثير في الاقتراب من فلسفة مكيافلي .

الفصل الأول :

القيم الأخلاقية و السياسية في الفكر السياسي القديم

1-السوفسطائيون

2-أفلاطون

3-أرسطو

4-العصور الوسطى

القيم الأخلاقية والسياسية في الفكر السياسي القديم :

اعتبر المؤرخون والعلماء السياسيون منذ أيام عصر النهضة ،التي كان ميكيافلي أحد أبطالها وممثليها أن الحضارة الأوروبية عميقة الجذور تمتد إلى أقدم أيام الإنسان مارة بحلقة طويلة من التطور، حيث عرف تاريخ الفكر السياسي عبر رحلته براعم لتفكير مكيافلي انطلاقا من المدرسة السوفسطائية أو ما أصطلح عليه بأكادمية السفسطائيين الذين قصدهم الأثرياء ليتعلموا الفصاحة ليستخدمونها في قضاياهم الخاصة ودفاعا عن أنفسهم ،أو لخوض الانتخابات والتحكم فيها للوصول إلى السلطة، "وكان ذوو التفكير الديمقراطي يتلقون الفصاحة لكي تكون وسيلتهم في تأليب الشعب وقلب الأوضاع وهذا ما حدث بالفعل سنة 411 ق م عندما قاد الخطيب **أنتيفون**(intifone) حركة انقلابية"[1]

ومن هنا استطاعت" المدرسة السوفسطائية إثارة مشكلة الأسس الواقعية للحكم السياسي مع العلم أنه لا توجد قوة خارقة تفسره رغم أن" أفلاطونplaton وأرسطوaristot لم يندفعا إلى الاهتمام بالأصل الاجتماعي للحكم وشرعيته بل ظل الانشغال منصبا على التحسين الأخلاقي للوظيفة السياسية وليس على الأصول الشرعية للدولة " [2]كما أن تصور" أرسطو قد اتجه إلى أن السياسة ليست هي القوة ولا المصالح ولا الحرب من أجل السيطرة، بل هي ميدان للشؤون العامة أي للفعل والإرادة الإنسانية "[3]

ولقد ذهب" السفسطائيون المتأخرون إلى أبعد مما ذهب إليه بروتاجوراس (protagorase) وجورجياس(gorgiase) فقد كانت مهمتهم تطبيق تعاليم بروتاجوراس

1 فارروق سعد ، تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع دار الأفاق الجديدة ، المغرب،ص : 219

2 بليمان عبد القادر، الأسس العقلية السياسية ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ، الجزائر ، ص : 46.

3 المرجع نفسه ، ص : 42 .

على مجالي السياسة والأخلاق4وذلك بأنه لاتوجد أية حقيقة موضوعية ولا قانون أخلاقي موضوعي وما يبدو أنه صواب بالنسبة لكل إنسان هو صواب بالنسبة له" .[1]

واستخلص "**بولوس(**polse ، وثراسيماخوس)(tratimakose على أن قوانين الدولة هي من اختراع الضعفاء الذين بلغ بهم المكر مداه كحيلة للسيطرة على الأقوياء وسلبهم ثمار قوتهم الطبيعية وبالتالي فقانون القوة هو القانون الوحيد الذي تعترف به الطبيعة و هكذا كان السوفسطائيون أول من روجوا لمذهب القوة" .[2]

ومن هنا بدأت" معالم المدن الفاضلة تظهر في الفكر السياسي في ملهاة الشاعر المسرحي كراتينس(kratinise) المسماة الثراء "[3] حيث بدأت بعض المعالم في الظهور لدى بعض المفكرين أمثال فالياس (valiase)الذي يعزو المنازعات الداخلية إلى متاعب اقتصادية واقترح المساواة للجميع ومنحهم الفرصة في التعليم على أن يكونوا الصناع أرقاء في خدمة الدولة بينما قسم هيبوداماس(hipodamase) كيان الدولة إلى ثلاثة طبقات الصناع الفلاحين المحاربين كما أن سقراط(socrate) يضع المعرفة كلها في المفاهيم ويجعل العقل أداة المعرفة وهذا ما يتعارض مع المدرسة السوفسطائية التي وضعت الحقيقة كلها في الإدراك الحسي غير أن النظرية السقراطية

في المعرفة لم تكن نظرية مطروحة لذاتها بل هي مطروحة لغايات عملية ." إلا أن المدينة الفاضلة لم تتخذ كيانا متكاملا إلا في جمهورية أفلاطون ،الذي راودته الفكرة يوم أخفق في ممارسة السياسة عمليا فاتجه إلى الأكاديمية لإعداد جيل من السياسيين له مهمة شبيهة بأرباب الأسر

1 وولتر ستيس ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2005 ، ص : 84

2 المرجع نفسه، ص : 84 – 85 .

3 فاروق سعد ، تراث الفكر السياسي قبل الامير وبعده المرجع نفسه، ص : 221 .

وانطلق أفلاطون إلى تنشئة علم السياسة وفق المعادلة القائلة أن المجتمع السياسي لا يقوم بدون فضيلة والتي لا يوفرها إلا الفلاسفة والعلماء فهم مؤهلون لإدارة الحكم وفق تصور أفلاطون في أن الشعب لا يصلح لحكم نفسه بنفسه".[1]

" أما أرسطو فيرى أنه يتوجب أن يكون هناك اعتدال عملي في قيم الإنسان بعيدا عن اليوتوبيات واستبدالها بحقيقة عملية وتبقى الغاية المرجوة هي بلوغ السعادة. وهذا ما يبحث عنه جميع الناس وإذا كانت سلسلة الوسائل والغايات تستمر إلى مالا نهاية إذن والرغبات كلها والأفعال كلها عقيمة وبلا هدف ". [2]"وفي فترة القرون الوسطى جاء قسطنطين (kostantine)سنة 306 337 معلنا عن سياسته التسامحية مع المسيحية وأراد من خلال ذلك تطبيق الفكر السياسي الروماني فيما يتعلق بسلطة الإمبراطور وان بدى مختلفا عن ما انتهجه غيره وتشهد بذلك رسالته إلى اسكندر أسقف الإسكندرية و أريوس(arios) قسيسها في أول مراحل النزاع العقيدي بين الرجلين حول المسيح "[3].

1/المدرسة السوفسطائية :

لم يكن السوفسطائيين (sofisme) مدرسة للفلاسفة ولا يمكن مقارنتهم مثلا بالفيتاغوريين أو الايليين، كما أنهم لم يكونوا فلاسفة بالمعنى الفني ولم يتخصصوا في مشكلات الفلسفة وكانت نزعاتهم عملية تماما وتطلع" السوفسطائي في عهد بريكليس(prikilise) إلى إلقاء الدروس في الفصاحة والقدرة وتاريخ الفكر السياسي عرف عبر رحلته العملية"[4]

1 فاروق سعد ، تراث الفكر السياسي قبل الامير وبعده ، ص : 222 .
2 وولتر ستيس ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ترجمة : عبد المنعم مجاهد المرجع نفسه ،ص : 202 .
3 رأفت عبد الحميد ، الفكر السياسي الأوربي في العصور الوسطى ، دار قباء للطباعة والنشر ، الفجالة ، القاهرة ص : 15 .
4 فاروق سعد ، تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده ، المرجع نفسه ،ص : 219 .

،فالفيلسوف أنتيفون في القرن الخامس قبل الميلاد والذي كان الأهم لديه هو تلك البراعم للتفكير الميكيافلي وكان ذلك عبر مقالة عن الحقيقة الفعالة للأشياء وهي موجودة بالشؤون الإنسانية بل في حالتهم الواقعة وهم ينشدون اللذة والحياة لأن ذلك هو القانون الحقيقي لحياتهم . ومن هنا تعرف الفكر السياسي معرفة أوسع إلى التفكير المعقد في تعاليم السفسطائيين وذلك عن طريق غلا وكون غير المنتمي إليهم وهو احد الشخصيات التي شاركت في حوار جمهورية أفلاطون وما نقله غلاوكون (glakone) يعطينا فكرة عن سبب نشوء القوانين بنظره بمعنى أخر سبب وضعي مرده "ما يعتبره الناس قانونيا و عادلا أي نتاج اتفاق الناس على الوسيلة التي تحول دون ارتكاب الظلم أو يعرضون أنفسهم إليه "[1]. ومن هنا انطلقت المدرسة السوفسطائية في البحث عن قاعدة بديلة أبعد من العادات والتقاليد وركزوا على القوانين التي تتحكم في ظهور وعمل المؤسسات الحقوقية . وأضحت مفاهيمهم أساس البحث النظري في عدد من القضايا الأساسية للدولة والقانون

يعني أن المناقشة الحرة للسفسطائي قد أدت إلى تعميق وعقلنة الأفكار الأخلاقية والسياسية والحقوقية ويعلنون عن مشاركتهم في الحياة العامة .

لقد كانت أثينا تعيش في جو من الديمقراطية ويعود الفضل إلى المدرسة السوفسطائية وفي هذا المقام كتب **بريكليس** متحدثا عن المدن الديمقراطية يقول " نحن الأثينيين قادرون على أن نحكم على كل الأحداث أن لم نستطيع تأصيلها وبدلا من النظر إلى المناقشة على أنها حجر عثرة في طريق الفعل فإننا نعتقد أنها الأساس الذي لا غنى عنه لأي فعل عاقل على الإطلاق "[2] ومن هنا لعلب السوفسطائي دورا كبيرا في التنوير السياسي لأبناء جلدته، دون أن تكون النتائج ايجابية

1 المرجع نفسه ، ص : 219 – 220 .
2 ف . س نرسيسيان ، الفكر السياسي في اليونان القديمة ، ترجمة : حنا عبود ، الأهالي للطباعة والنشر ، سوريا دمشق الطبعة الأولى ،1999ص : 73.

دوما وهذا باعتراف المدرسة السوفسطائية وحتى الذين عاصروهم .وعرفت السوفسطائية جيلين فالجيل الأول يرتبط ببروتاغوراس غورغياس، و أنتيفون أما الجيل الثاني يمثله تراتيماخوس وكاليكليس (kalikase) وليكوفرون (likoforone) كرعيل سوفسطائي متأخر ومعظم السوفسطائيين قد كانوا أصحاب عقلية ديمقراطية وبعضهم الأخر قد مثلوا أشكالا أخرى للحكومة الأوليغارشية الارستقراطية .

يعتبر بروتاغوراس أن "الإنسان ليس فقط تجريبيا فهناك تفردا شخصيا ما يوحي بالنسبية البشرية وهنا يتجاهل بروتاغوراس هذا الجانب السمة الكونية للإنسان ويركز على أن الإنسان مقياس حقائقه والغاية التي وجد من اجلها الإنسان هي البحث عن الحقائق التي نبقى نسبية في نظره والقدرات الإنسانية المحدودة ،لا يمكن أن تحصل على معرفة حقيقية فالإنسان كائن نسبي حسب بروتاغوراس وهنا تكون الحقيقة ممكنة والتفاوت الابستمولوجي يبين الفارق والناس يختلفون لذلك لا نستطيع أن نحدد معدلا واحدا ومطلقا للإنسان" [1] .وهنا تتضح فكرة أن الإنسان نسبي ومتفاوت في نفس الوقت ويرى بروتاغوراس أن هناك مقياسا للإنسان النسبي والمتغير ويجعل الحقيقة ممكنة ويبقى جوهر الحقيقة في الاختلاف وفي هذا الاختلاف يكون بروتاغوراس" قد أرسى قواعد للديمقراطية كنتيجة لأفكاره والجوهر الديمقراطي لمثال بروتاغوراس ومفهومه السياسي الحقيقي أنه لن تكون هناك دولة لو شارك قلة فقط في الفضائل السياسية أي العدالة والعقلية المنفتحة والاعتدال ".[2] وانطلاقا من موقفه الابستمولوجي يتبين أن بروتاغوراس اعتقاده انصب على وجود الدولة ويتطلب ذلك الفضيلة، مع العلم أن وجودها يعني بقاء الفضيلة قائمة رغم أن سقراط يركز الاهتمام على نوع آخر من الديمقراطية كوسيلة لبلوغ الغاية المطلوبة

1 ف.نرسيسيان ، الفكر السياسي في اليونان القديمة ، المرجع نفسه ، ص : 75 .
2 – المرجع نفسه ، ص : 76 .

حيث لا يمكن أن يمثل غير المؤهلين الديمقراطية كالإسكافي النجار الحداد أو التاجر ...الخ بمعنى أنهم ليسوا في مستوى المشاركة في شؤون المدينة .

إن حالة الطبيعة عند بروتاغوراس تعد مثالا للهمجية والاندفاع الفردي في الظلم والعدوان دون كابح يوقف الأفراد في ممارسة رغباتهم الوضيعة ونوازعهم الشريرة، "وهنا أدركت السوفسطائية الطبيعة باعتبارها الطبيعة البشرية في كونها تتحدد بملمحها الطبيعي والفردي "[1]كما أن الديمقراطية التي تحققت في عهد بركلز ابان القرن الخامس قد وضعت أسسها انطلاقا من تشريعات صولون التي ادت إلى اصلاحات قانونية وعلى رأسها القضاء على الأرستقراطية لتنطلق الديمقراطية من عقالها وتحقق مكاسب جعلت من أثينا مدرسة اليونان على حد تعبير بركلز، وباعتبار السوفسطائيون ابناء عصرهم توجهوا إلى اعادة النظر في المسار الاجتماعي بنظرة اكثر تفاؤلا وبعدا عن الهمجية . يركز بروتاغوراس على مؤسسات الدولة والقوانين تقوم على تقدم الإنسان في الفن السياسي وذلك ليس نتاجا للتعسف ضد الإنسان ومن هنا يتبين أن مجال العلاقات السياسية يقوم على تربية المواطن وعلى ما يعتقدون انه عادل ومفيد . إن الصالح العام حسب بروتاغوراس يحتاج إلى تدخل الدولة في مواجهة أولئك الذين يتحدون الصالح العام ويخرقون قانون الدولة ويقول بروتاغوراس " المدينة تلخص القوانين التي ابتكرها المشرعون الخيرون الذين عاشوا في العصر القديم وتجبرنا أن نمارس ونطيع السلطة وفقا لتلك القوانين ومن يخالفها يجب أن يصحح أو بمعنى أخر يجب أن يحاسب فهذا المصطلح لا يستخدم فقط في بلادك بل في كثير من البلدان الأخرى فتدعو العدالة الناس إلى المحاسبة "[2]. ومن هنا غاص بروتاغوراس في تاريخ الفكر السياسي اليوناني كزعيم لمبادئ العدالة والقانون والنظام وهو يؤمن في نفس الوقت بأنها قيم موضوعية ولقد كانت الغاية

1 محمد حسين النجم ، السوفسطائية في الفكر اليوناني أطروحتها ونقدها ، الجامعة المستنصرية ، بيت الحكمة العراق بغداد 2008 ، ص : 179 .
2 - ف نرسيسيان ، الفكر السياسي في اليونان القديمة ، المرجع نفسه ،ص : 78 .

واضحة هي التربية والتنوير ارتقاء بالفكر السياسي ونشر القيم الإنسانية الديمقراطية . ولقد كان غورغياس(goragiase) 483 375 سفسطائيا أخر له شهرة في الخطابة واعتبرها ملكة العلوم التي تفتح الطريق إلى السلطة حيث كانت الخطابة موجهة إلى محكمة الشعب ولقد كان لمرافعاته وقع كبير على القوى السياسية ،وان لم تتعلق بشؤون المدينة بشكل مباشر ولقد كان فن الخطابة عند غورجياس ذو تأثير كبير في مجال السياسة ،يمكن استخدامه كأداة فعالة في الصراع على السلطة .والكلمة الشعبية في حياة المدينة تنقلب إلى كلمة شعبية والملاحظ أن أحد الباحثين قد أكد على أن" فن الإقناع عند غورغياس جعل بالإمكان تحويل المستمعين إلى أداة قوة "[1] ومن هنا حارب غورغياس بشدة التبرير المزيف ونددد ساخرا بنقد أفلاطون للسفسطة والخطاب الماهر وهو في الأصل المخادع كثيرا ما تكون الغاية منه تأييد الشعب أخلاقيا وسياسيا ويرى غورغياس أن القانون المكتوب هو وسيلة الإنسان وهنا ينسب غورغياس للعدالة القيمة الأعلى .ويرى "غورغياس" أن وسيلة التفاهم هي اللغة بالرغم من أننا ننقل للناس ألفاظنا ولا ننقل لهم الأشياء فاللغة والوجود دائرتان متخارجتان " [2].

ففي محاورة غورغياس يتحدى كاليكلاس سقراط مطالبا إياه بأن يكون صريحا وجريئا في الكشف عن الحقيقة وهي "أنه من يملك الوسائل يحق له أن يستخدمها لإرضاء رغباته وحاجاته الخاصة ويعمل على جمع وضم ما استطاع من قوة الغير لكي يزداد قوة وسطوة"[3] .فالإنسان كلما زاد توسعا في القوة كلما جاز له أن ينتزع الحق ممن هم أضعف منه ليصبح هو الأقوى والأفضل شأنا في الجماعة والتمتع بالقوة يعطي لمن تتوفر له هذه الوسيلة حق السيطرة والحكم مما يجبر الآخرين على الخضوع له بدون تردد ومن فالواقع السياسي يفهم حسب رأي كاليكلاس عن

1 المرجع نفسه ، ص : 81 .
2 يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، مصر ، ص : 62 .
3 بليمان عبد القادر ، الأسس العقلية للسياسة ، ص : 17 .

وجود مصلحة عامة أو خير عام فالغاية الوحيدة العليا هي غاية الأقوى ويبقى الضعيف في خدمة مصلحة القوي أو غايته .

ويذهب **ثراسيماخوس** في محاورة الجمهورية إلى القول أن العدل هو حق الأقوى وهو من يملك المال والرجال وله خصائص الشجاعة الذكاء والطموح والقادر على الظلم الشامل فهو الذي يستحق الحكم السياسي وهنا تتحقق الرغبة فالقوي عنما يبلغ أوج قوته وسيطرته على الضعفاء يصبح موضع الطاعة والمدح والتقدير والإعجاب لتضاف صفات أخرى جيدة : العدالة والحكمة والاستقامة الخ ، ويطالب **كاليكلاس** الأقوياء بالإفصاح عن حقيقتهم من دون خجل لأن قانون الطبيعة يقول : أن القادر أفضل من العاجز والأجدر هو الذي يجب أن يسود هذا هو قانون الطبيعة السائد في عالم الكائنات الحية والذي يحكم العائلة الأدغال و المدينة "[1] وهنا يصل كاليكلاس إلى فكرة أن الأغلبية الساحقة من الضعفاء لا تتوانى عن عرقلة الأقوياء والتشكيك في إمكانياتهم وتعتبر القوة ظلما أو شرا وفي نفس الوقت يظهر موقف كاليكلاس بشكل واضح فيما يتعلق بالحكم السياسي وهواقناع الجميع بشرعية وقبول هذا الواقع . ويبقى حق الغالب هو حق طبيعي وليس قانونا للحاكم فقط بل أيضا هو قانون شامل يسري على كل الكائنات الحية وكاليكلاس بهذا المفهوم يؤكد أن غاية القوة السياسية هي إرضاء الشهوات الخاصة وطبيعيا وبشكل عادل يستأثر القادرون دون غيرهم باللذات فهم يحصرون القوة في الوسائل المادية والنجاح في استعمالها .إن السياسة لا تقوم على ضرورة طبيعية خارجية بل تقوم على قدرات إنسانية ذاتية تحول الطبيعة الخارجية بالعمل والذكاء والإرادة ، كما أن الحكم لا يستقر على الإذعان للقوة الطبيعية الحسية وحدها ولا يستسلم للعنف والخوف لأنه في هذه الحالة يبقى في شكل متقلب ومضطرب وهذا ما يوافقه "سقراط في أن الطبيعة لا تتحدد بالحاجات الحسية

1 المرجع نفسه ، ص : 18

والقدرة المادية فقط بل بالاستحقاقات العقلية والأخلاقية الفكرية" [1]، ففي محاورة غورغياس استخلص سقراط أن الغاية الصحيحة هي البحث عن الحقيقة وينصح كاليكلاس الذي دعي إلى القوة أن يبحث عن السعادة كرغبة في تحصيل لذة الحقيقة كلذة روحية دون جسمية وهذا النشاط إذا تمت ممارسته بصفة جيدة بالإمكان عندئذ ممارسة السياسة .وهكذا نشأة الفلسفة السوفسطائية التي كانت في حقيقة الأمر مرآة صادقة للحياة الاجتماعية التي كانت تنكر كل شيء في نفسه ولا تعترف إلا بشيء واحد وهو المنفعة الفردية ولقنوا الإنسان كيف يلبس الحق بالباطل أو العبث بعقول القضاة داخل المحاكم ،لا بعقول الجماعات في المجالس السياسية "[2] إن قانون القوة ليس إلا القانون الوحيد الذي تعترف به الطبيعة ، ومن هنا كان السوفسطائيون أول من روجوا لمذهب القوة هي الحق وان لم يكونوا الأخيرين وعلى هذا النحو قام" كريتياس بتفسير الاعتقاد الشعبي والإيمان بالآلهة على أنه اختراع من جانب سياسي محترف للسيطرة على الغوغاء عن طريق الخوف"[3] ومن الواضح أن الاتجاه العام للسوفسطائية في غايتها والوسائل التي استخدمتها هو اتجاه مدمر ومعاد للجميع فهو مدمر للدين والأخلاقيات وأسس الدولة وكل المؤسسات القائمة. يبقى السوفسطائيون" تجار الثقافة يتملقون للشعب ويسيرون ورائه عوض توجيهه ويوزعون اللوم والمديح جزافا على بعض الأقوال والأفعال ويعطلون روح النقد والمقاومة"[4] انطلاقا من الطباق بين القوانين الطبيعية والوضعية ومقارنتها بالطبيعة قام أنتيفون بنقد مؤسسات الدولة المعاصرة وسعى من خلال ذلك إلى مطابقتها مع المفهوم العقلاني لطبيعة الإنسان ويعتقد أنتيفون أن العدالة لا تكون في خرق الفرد لقوانين الدولة وعاداتها وفي كتابه " عن الوفاق " ينتقد

1 بليمان عبد القادر، الأسس العقلية للسياسة ، المرجع نفسه ،ص : 19 .
2 حسين صالح حماده ، دراسات في الفلسفة اليونانية ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، المجلد الأول 2005،ص: 150 .
3 وولتر ستيس ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص : 85 .
4 حسين حرب ، الفكر اليوناني أفلاطون ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ص : 16 .

الصراع الأناني بين الناس ويدافع عن الوفاق بين الناس كغاية مثلى. "[1] ولم تتوقف المدرسة السفسطائية عند هذا التصور بل انتقلت إلى رؤية لتراسيماخوس ومضمونها "أن ما يجري باسم العدالة ليس سوى اختلاف يقف وراء مصالح الأقوى مع العلم أن أغلب الحكومات تسن قوانين تخدم غاياتها ومصالحها" (4) ، بمعنى تتخذ الدساتير وسائل لبلوغ الغايات المطلوبة . وفي رأي **تراسيماخوس** أن مصالح الأقوى هي قاعدة السياسة العملية وهي من أساسيات الحكومة

حيث أن القوانين داخل الدولة توضع من قبل الذين يسيطرون على الحكم والديمقراطية تصدر القوانين الديمقراطية بينما القوانين الاستبدادية تكون من طرف الطاغية المستبد .

ومن هنا يتبين أن الدولة تسمي القوانين بالعادلة وذلك بتوطيدها لمن يخضع لها وتعاقب من يخرج عنها والخاضعون للقانون يطيعون الحاكم مع التنازل عن مصلحتهم الخاصة وهذا ما يؤكده تراسيماخوس على أن الظلم أقوى و أجدى من العدل . إن المجادلات السقراطية المبكرة مع ثراثيماخوس قد أرسى الأطروحة المركزية في كتاب محاورة الجمهورية ومفادها أن المصلحة الفردية لا يمكن أن توفر أبدا أساسا كافيا لحياة سعيدة وعادلة ومتمدنة فالقوة والسلطة والمعرفة توجد فقط لخدمة أولئك الذين تمارس لأجلهم تماما كماهو لدى الطبيب من مهارة في تشخيص ومعالجة الأمراض .إن السلطة السياسية وجدت لتقوم بخدمة المواطنين" ولا يمكن فهم الغاية من المجتمع المدني إلا بموجب الوسيلة المعروفة ،وهي المبادئ المنظمة للدولة" [2] ومن هنا شكلت السوفسطائية ثورة عنيفة ضد العبودية واذاكان التنظيم التراتبي للطبقات قد انشطر إلى نبلاء وعامة فهذا التمييز قد كان مرفوضا وسماه أنتيفون عملا بربريا ،ويدعوا إلى احترام أبناء الآباء المشهورين بينما نفعل العكس تماما لأبناء الذين هم من عائلات اقل شهرة، معنى ذلك أن الوجهة الطبيعة تؤكد انه

1 جون اهرنبرغ ، المجتمع المدني التاريخ النقدي للفكرة ، ترجمة : علي حاكم صالح وحسن ناظم ، مركز دراسات الوحدة العربية المنظمة العربية للترجمة بيت النهضة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 2008 ، ص: 32 .

- [2] ف نرسيسيان، الفكر السياسي في اليونان القديمة، ص : 87 .

لاوجود للفوارق بين الكائنات البشرية ومن هنا واصلت السوفسطائية تصورها الفلسفي وقامت بالتأكيد على المساواة السياسية التي لا بد ان يوضع لها أساسا متينا لها خاصة في المساواة الطبيعية الأخلاقية .لقد تم الإعلان عن الحرية العامة لجميع بني البشر وهذا ما يؤكده فيلسوف الديالكتيك فردريك هيغل(hegel) 1770 1831 قائلا " لم يظهر الوعي بالحرية لأول مرة إلا عند اليونان، ومن ثم فقد كانوا أحرارا وكذلك الرومان لم يعرفوا سوى أن البعض فقط أحرار لا الإنسان بما هو إنسان، ما جعل تلك الحرية مجرد حادثة عرضية عابرة ونماءا محدودا من جهة كما فرضت من ناحية أخرى عبودية صارمة على ما يشكل طبيعتنا المشتركة أي على ما هو إنساني"[1] ومن هنا تتضح الصورة في ان نظام العبودية يعد من المسلمات التي اعتمدها المجتمع الإغريقي أي شكل الرق عصب الحياة الاجتماعية عند الاغريق . ولم يكن المجتمع اليوناني استثناء، حيث ارتبطت الأخلاق اليونانية بالقانون وتمثل ذلك في مجمل القيم والتقاليد والأعراف التي شكلت سلوكهم الأخلاقي، ومن هنا سعت السوفسطائية لدراسة أسس التطور السياسي الذي حول حالة الطبيعة إلى حالة المجتمع المتطور، إن فن السياسة كان حاجة اقتضتها ظروف معينة انطلاقا من خشية "زيوس " (ziosse)على المصير الإنساني من الهلاك نتيجة الظلم المتبادل بين الأفراد فكان من الضروري التوجه إلى محاولة إعادة الوحدة إلى المجتمع وإحداث التماسك الاجتماعي وتبقى المبادئ النظامية أداة وليست غاية في ذاتها مما يجعل مقياس حقيقتها يكمن في النتائج المحققة للغرض المطلوب، كما تتباين وفقا لتباين الحالات والتي يتكلم عنها بروتاغوراس ضمن القانون الذي يضعه الإنسان بالصورة التي يراها مناسبة وملائمة لحياته، وارتباط القانون بالإنسان يكسبه صفة النسبية أي أن المسار الاجتماعي لا يكون ثابتا وتقدم المجتمع يفرض تغيير القوانين القديمة التي مثلت زمانها، مع تأكيد الحرية في صنع القوانين دونما رادع من قوة قدسية مع ضرورة

1 محمد حسين النجم ، السوفسطائية في الفكر اليوناني ، ص : 182 .

المساواة العامة لجميع الإفراد لأنهم منحوا الوقار ومعاني العدالة ومن هنا يقوم المجتمع الإنساني على أساس إنساني .

2 / أفلاطون (platon): 427 347 ق .م

يكشف أفلاطون على لسان سقراط أن القوة لا تحددها الوسائل المادية فقط، بل هناك وسائل فكرية أخرى كالذكاء، الصلاح، التضحية من أجل الغير وهنا استطاع أفلاطون وكما هو معروف عند سقراط أرسطو أن الطبيعة الإنسانية تعرف أكثر بما هو عقلي أكثر مما هو مادي . إن الإشكالية التي يثيرها أفلاطون على لسان سقراط هي إشكالية كل المجتمعات في كل زمان ومكان ومضمونها أن الأهواء والرغبات تطمس الفضائل العليا ليس فقط من الاستبداد السياسي الفردي بل حتى من خلال حكم الأقلية ،التي تسعى جاهدة إلى المال والامتياز والشهرة لذلك فتنقية الفضائل من هذه الشوائب يتطلب صقل الاستعدادات المذكورة سابقا حتى تبقى طبيعية دون تجاوز "[1] ويعود أفلاطون إلى فحص الطبيعة الاجتماعية الأولى للإنسان باحثا عن الغاية من أصل النظام الاجتماعي ويحقق جوهر الإنسان كحس وروح . لقد وضع أفلاطون فرضياته من أجل غاية سياسية هي إعادة الأرستقراطية إلى السلطة وكل الفلسفة الأفلاطونية في خدمة هذه الغاية حيث أعتبر أفلاطون من بين الذين دافعوا عن هذه النظرية وعن السلطة الأرستقراطية" فحلول النظام الديمقراطي يمثل انقلابا في القيم والمفاهيم نحو الأسوأ ،فهو خلل في المقاييس الأنطولوجية لذلك اتجه أفلاطون إلى محاولة إعادة العمل بهذه المقاييس وتنظيم المجتمع وفقها وعلى أساسها " [2]انطلاقا مما سبق بإمكاننا استخلاص فكرة الغاية من السياسة الحقيقة لدى أفلاطون الذي يمكن القول انه الأثيني الوحيد الذي يمارس فن السياسة الحقيقي في زمنه، وبإمكانه

1 بليمان عبد القادر، الأسس العقلية للسياسة المرجع نفسه ، ص : 21 .
2 حسين حرب ، الفكر اليوناني أفلاطون المرجع نفسه ، ص : 9 .

أن يرسم نظاما سياسيا عادلا يكون بمثابة الخلاص لكل المجتمعات التي تقتنع به وتحاول تطبيقه في الواقع وقام أفلاطون بفحص الوسائل التي بفضلها يكون الحاكم صالحا ولكن بتوفر قوتان السياسية والفلسفية . إن أفلاطون سياسي حقيقي وكأنه المخلص الذي انتدبته العناية الإلهية لتصحيح المفاهيم والدفاع عن القيم الحق والخير والعدل والجمال . إن معركة أفلاطون هي مع الطبائع القوية التي تلعب بعقول الشعب حيث يكون العامة الوسيلة لتحقيق أغراض خاصة ،وهنا يبرز الأشرار وهدف أفلاطون هو إقامة حكم العدالة الذي يتحقق بتسليم السلطة إلى أقوياء من نوع أخر أي النخبة الحقيقية وهم الفلاسفة، أي الأثينيين الذين يمارسون فن السياسة الحقيقي تبقى المهمة الأساسية التي يتوقف عليها خلاص الدولة واستقامة أمورها وهي في الأساس مهمة اختيار الحكام من يجب أن يحكم دولة أفلاطون ؟ "طبعا الفلاسفة هم أهل العفاف وحلفاء الحقيقة العدالة والشجاعة وهم أيضا أهل العقول المولعة بالعلم الذي يتناول الدولة بكاملها ليقيم على أفضل وجه تنظيمها الداخلي وعلاقاتها مع باقي الدول " .[1]

يرسم أفلاطون في الكتب الأولى من الجمهورية نموذج المدينة الكاملة والفاضلة والنظام العادل حيث يتفحص ما في دول عصره من نقص يحول دون اكتمال كيانها وأساسها ويمكن أن يتغير وجه الدولة مع تسليم السلطة إلى الفلاسفة ليستقيم كل شيء ،والغاية من وراء ذلك هو تحقيق العدالة .إن الفلاسفة في صورة حكام أهلتهم الطبيعة ليكونوا حكاما وهذا للمميزات الكبيرة التي تميزهم عن باقي أفراد الإنسانية لأن الطبيعة ميزت استعدادات الناس وجعلت منهم الفلاح، البناء، والنساج وبعضهم الأخر فيلسوف ليدير شؤون الدولة ويسن القوانين والشرائع وبإمكان الفلاسفة نقل الشعب من الحلم إلى الحقيقة ،فالغاية من منح السلطة للفلاسفة هو قيادة حكيمة ذات طابع فلسفي وهم ذووا طبائع فلسفية وبصفات فطرية لا غنى عنها لممارسة الحكم وفي تصور

1 المرجع نفسه ، ص : 30 .

البعض أنه بالإمكان ممارسة مختلف المهام وتحصيل الثقافة التي يتطلبها هذا الأمر وهنا يرى أفلاطون أن حتمية اللجوء إلى الحيلة والأكاذيب ،كلها وسائل لا يمكن للعقل السياسي أن يستغني عنها فيستطيع الحاكم الكذب إذا كان هذا الأمر في مصلحة الدولة فوسيلة الكذب دواء نافع في بعض الأحيان لبلوغ الغاية المطلوبة ،فقد يستخدم الكذب لخداع المواطنين والأعداء ويريد أفلاطون بهذا التصور إقناع المواطنين بأن الآلهة قسمتهم وميزتهم ومدينته ما عليها إلا تنظيم المجتمع على أساس الإرادة الإلهية .لقد انطلق" أفلاطون من فرضية رسم نموذج المدينة الفاضلة الكاملة وبإمكان كل فرد أن يمارس عمل واحد هو العمل الذي أهلته له الطبيعة أكثر من غيره "[1] وهنا يبرز مفهوم العدالة عند أفلاطون ومن هنا تكون العدالة الحقيقية حاملة لخلاص البشرية من أمراضها وويلاتها هي في تسليم قيادة الدولة إلى الفلاسفة الذين بإمكانهم تسيير الدولة دون مشاركة العامة العمياء في هذه العملية والغاية واضحة تتمثل في السهر على تطبيق العدالة بالوسائل المذكورة .يتبين من خلال ما تقدمنا به من فكر سياسي لأفلاطون ،أنه قبل أن يقدم نفسه في الجمهورية في صورة مصلح المدينة يبدو أنه تفكر في العدالة بصفته داعية للأخلاق أكثر من الدعوة إلى الإصلاح السياسي و قد بين أفلاطون أنه يتوجب على الإنسان أن يكون عادلا أي مراعيا للقوانين مع العلم أن الفيلسوف هو من يسن ويطبق القوانين العادلة .في محاورة **أقريطون (criton)**مثلت سقراط مراعيا للقوانين إلى حد كلفه حياته وهنا يساور أفلاطون إحساس قوي بأن القوانين ليست فقط مجرد أمان للمدينة ،لا بل هي كل ثقافة أخلاقية رغم معارضة السوفسطائي كاليكلاس على أن القوانين هي مجرد مواضعات تعارف عليها عامة الناس فيما بينهم ليذودوا عن أنفسهم شر جشع الأقوياء "[2] .يريد أفلاطون أن يكون مصلحا لا طوبويا

1 حسين حرب ، الفكر اليوناني أفلاطون ، ص : 36 .
2 إميل برييه ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ترجمة : جورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان الطبعة الأولى ، 1982،ص : 188.

ويأخذ في حسبانه طبيعة البشر وطبيعة الأشياء كما هي في الواقع أي قراءة لواقع البشر جميعا و يختلف أفلاطون مع المدرسة السوفسطائية في أنه تأمل كثيرا في تاريخ المجتمعات الإنسانية ،كما هو الحال في تاريخ النفوس الفردية على أساس محاكاة التغيرات التي تطال المجتمعات الإنسانية كما أن الغرض من التشريع حتى لو كان الفيلسوف مصدره يتوجب الاستفادة من الظروف المحيطة به ليصل بالمجتمع للاستقرار والسكينة الاجتماعية بعيدا عن التردي والسقوط قصد تجديد اجتماعي حقيقي والصلاح ايجابي ومحاكاة حالة المجتمع المثلى .ومن هنا يتبين الطابع العملي والواقعي للسياسة الأفلاطونية ودليل ذالك إدانته للسياسة التي بنيت عليها أثينا في كونها أسست حضارة على حساب الأخلاق وبمحاولات أفلاطون التي كانت لها غاية واحدة وهي محاربة الاسترقاق والقضاء على أشكال النهب والسلب انصرف إلى تأسيس نظام سياسي عقلاني تمليه مختلف الاستحقاقات الفعلية النابعة من الفطرة والعدل الكوني الميتافزيقي كما يدعو أفلاطون" إلى حكم غير جماعي وحتى أشكال التداول على الحكم التي لا تخضع إلى الشرط الأساسي وهو أن يكون التداول بين المتساويين الحقيقيين في الملكات والفضائل "[1] .ومن هنا بإمكاننا استخلاص أن الفلسفة الأفلاطونية ترفض أشكال الحكم دون أن يكون الأمر خاضعا لمميزات خاصة أي النخبة التي تملك المعرفة والحقيقة . إن المبدأ الشامل الذي يؤسس الحكم السياسي لم يجده أفلاطون في الدول والدساتير التاريخية والتي رفضها كلها وحتى الديمقراطية التي أنجبته و أنجبت سقراط من قبله على الرغم من أن الفيلسوف الألماني **هيغل** يعتبر الفلسفة والديمقراطية اليونانيتين وجهين لعملة واحدة حيث لم تكن الفلسفة سوى ديمقراطية في ميدان المعرفة . إن الغاية من دولة الحق عند أفلاطون هو تحقيق الديمقراطية والتي يقودها رجل يملك العلم السياسي وينقلها إلى حلفائه وهذا ما لمسناه في محاورة مينون كما أن الأخلاق لا تنفصل عن السياسة عند أفلاطون وهذا ما أكدته

1 بليمان عبد القادر، الأسس العقلية للسياسة ، المرجع نفسه ، ص ،30 .

جاكلين روس في نظريات السلطة ضمن نظرية سياسية معاصرة ومن هنا يكون أفلاطون محاربا للاستبداد و مختلف أشكاله بينما بقي السفسطائي مناديا بالاستبداد وممهدا له ففي الحياة اليومية يوجد الضعيف والقوي، سادة وعبيد أولئك الذين يحكمون وهناك من يحكمون ويقول أفلاطون "لكي يصبح من الممكن أن نحيا حياة جديرة بالحياة يجب أن يصبح الفلاسفة ملوكا وهو ما يؤدي إلى نفس الشيء وهو أن يصبح الملوك فلاسفة "[1] ومن هنا تتضح الغاية القائلة أن الفيلسوف هو الوسيلة الأساسية لبلوغ المطلوب وهو تحقيق جمهورية ديمقراطية كما أن أساس جمهورية أفلاطون يركز الاهتمام فيها على تنصيب الفيلسوف رئيسا أو ملكا .وتبقى وسيلة الحفاظ على الدولة هو تقوية الجيش وهو في الواقع قوة بل هو عنصر السلطة للمدينة ضد أعدائها ومن هنا يتبين أن أفلاطون رجل واقعي حيث يدخل في حساباته الظروف الطبيعية للحياة الإنسانية في عصره وهنا يؤكد كذلك أن الناس بوجه عام قادرون على تنظيم شؤونهم فيكفي للدولة أن ترعاهم وتراقبهم من بعيد ،كما انه من الواجب مراقبتهم حتى لا يصلون إلى الثراء الفاحش لأن ذلك يخل بتوازن المدينة حيث أن الثروة تعد عنصر قوة ولتتحقق الغاية المطلوبة فلابد من العمل على إزالة هذه العقبة ليصبح الأمر من الشؤون السياسية . وتبقى الدولة في نظر أفلاطون موحدة إذا كانت عادلة وفاضلة وهذا انطلاقا من غرس المبادئ الأخلاقية كالفضيلة والعدالة في نفوس الأطفال أي من البداية ومن نعومة أظافرهم حتى يتسنى وعي المبادئ الأخلاقية ، التي يجب أن يتبعها الفرد مستقبلا كما يوجه أفلاطون نقدا للتربية الأثينية التي لا تعمل على غرس المبادئ الأخلاقية في ذهن الأطفال بل تعمل كذلك على إفسادهم انطلاقا من تعليمهم للكذب والقسوة و الخداع ويقصون عليهم خرافات مضحكة عن الآلهة " منها أو ليمبوس (limpose) كما أن الأطفال يقومون بحفظ قصائد الشعراء هوزيود(hoziode) وهوميروس (homirosse لتعطيهم أفكارا

1 ألكسندر كواريه ، مقدمة لقراءة أفلاطون ، ترجمة عبد المجيد أبو النجا ، مراجعة : أحمد فؤاد الأهواني ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ص : 102 .

لا تليق بالألوهية كونها تقيم الحروب بعيدة عن القيم السامية بل منغمسة في الترف والغش والكذب " [1]. ومن هنا اتضحت الغاية من الدولة عند أفلاطون كوسيلة لبلوغ أهداف كثيرة وعلى رأسها تحقيق العدالة لقد سعى أفلاطون إلى غاية سامية في مدينته الفاضلة وهي الجمهورية العادلة كنموذج أو مجسم لمزوالة السلطة، حيث يبقى الحكماء يسيرون الدولة في محاولة الكشف عن الخير الأسمى والانشغال بخدمة الفرد وهم حراس المدينة الأفلاطونية كما يصطلح عليه وهم من يحمون المدينة إنهم" الملوك الفلاسفة خدام المدينة وهبوا حياتهم من اجل المحافظة على الخير العام وهذا ما يفسر لنا أسلوب الحياة الذي رسمه أفلاطون" [2] .لقد سعى أفلاطون إلى مراجعة الاضطراب السياسي والأخلاقي لعصره بواسطة عالم فلسفي من المقولات المطلقة والتي تتعزز بجانب معرفي عقلاني واتجه إلى تأسيس المبادئ الأخلاقية للحكم وذلك استجابة مباشرة للتقلب والاضطراب في عصره و لقد أعطى الأولوية للمعرفة والسلطة السياسيتين . إن نظرية أفلاطون نظرية وظيفية إذ يعتمد على صلاح الروح والجسم والدولة وكل عنصر يقوم بوظيفته المناسبة وكانت مهمة النظرية السياسية بالنسبة لأفلاطون تتمثل في مواجهة مشكلتي الفساد والتحلل وأثار السؤال التالي " أليس أخبث شر بالنسبة للدولة هو الشيء الذي يتولى تقطيعها اربا ويدمر وحدتها بينما لا يصلحها شيء أكثر من ذلك الذي يشد لحمتها ويرصها في كل واحد "[3] .إن توجه أفلاطون إلى تحليل فكرة الوحدة داخل الدولة كان فهما أوليا لوعي الغاية من الدولة والمجتمع المدني وكل فوضى داخلها كانت نتيجة التنازع بين الأفراد كما أن الأجزاءالمكونة لها أضحت ضعيفة مما يؤثر على دورها بالنظر للوظيفة والغاية التي جاءت من اجلها بمعنى أن النظرية السياسية تريد أن تحدد مصدر الاضطراب الاجتماعي والسياسي و يسترشد أفلاطون بحكمة سقراط القائلة" أن الإنسان السعيد

1 الكسندر كواريه ، مقدمة لقراءة أفلاطون ،المرجع نفسه، ص : 138 .
2 - المرجع نفسه ، ص : 150 .
3 جون اهرنبرغ ، المجتمع المدني التاريخ النقدي للفكرة ، المرجع نفسه ،ص : 33 .

سيوجه نفسه طبقا لمعرفته بالغايات الجوهرية للحياة والخير يدل دوما على ما يستحق السعي إليه لذاته أكثر دون الانشغال بمنافع ذاتية "[1] .وفي زمن الفساد لا بد أن تكون الغاية من القيادة السياسية معرفة الأسباب التي أدت إلى تدهور الوسط الاجتماعي والسياسي و إيجاد الوسائل الكفيلة للقضاء على ما يعيق سير الحياة السياسية داخل الدولة ،ولقد كانت الخلافات بين أفلاطون والسفسطائيون في أنهم اختزلوا مهارات الإنسان في من أجل منفعة شخصية حيث أن هذا الأمر قد أضعف أثينا وشجع على الفوضى واللانظام

3 / أرسطو (aristote): 384 321 ق.م

إن التبصر السياسي الأرسطي يبحث في ماهية الحكومات وماهية الدساتير والنظر لملائمتها مع الحكومات والمجتمعات التي تتبناها والغاية هي البحث عن الانسجام ومختلف الوسائل المؤدية إلى الغايات. ومن هنا بحث أرسطو في الحكومات المتنوعة داخل اليونان بنوع من الروح النقدية الصارمة حيث يكشف في كتاب منهج السياسة معظم الصور المختلفة للحكومات والدساتير في عصره إن الغرض النهائي عند أرسطو هو" البحث عن ماهية السياسة المثلى على الإطلاق أي السياسة التي يتيح نظامها لكل فرد أن يبلغ غاية الفلاح وأن يحيا حياة سعيدة "[2].إن تصور أرسطو يتجه نحو بحث عقلاني يضمن الانسجام بين الدولة والتشريع والمجتمع فقط بل البحث عن الاختيار العاقل والعادل فيتوجب الكشف عن ماهية الخير الذي يكون كغاية لكل سياسة ممكنة وصالح عام لكل دولة لذلك، لابد من التوجه إلى الوسائل الكفيلة لتحقيقه وهنا تتضح الصورة في أن أرسطو يتجه صوب غاية السياسة التي لا تنحصر في إرضاء الحاجة إلى الأمن والغذاء ،بل إلى تحقيق الحياة الجيدة المثلى للفرد والمجتمع ومن الأمور الجلية أن السياسة المثلى تتيح

1 جون اهرنبرغ ، المجتمع المدني التاريخ النقدي للفكرة ،المرجع نفسه ، ص : 34 .
2 بليمان عبد القادر، الأسس العقلية للسياسة ، المرجع نفسه ،ص : 36 .

لكل فرد بلوغ غاية الفلاح، ويرى البعض إن التسلط على الآخرين بصورة استبدادية هو غاية في الجور كما أنه من الضروري أن تكون الحياة العملية السياسية بقيادة فئة فاضلة لأن التحلي بالفضائل لا يتوفر للعوام الذين يتوهمون ذلك . وعلى" مستوى الدولة يدعي البعض أن وجه السياسة الاستبدادي الطغياني هو وحده أساس للسعادة فالغاية الدستورية هي فرض سلطان الدول على المجاورين ويهدف الأمر إلى السيطرة إن كان لها من هدف معين[1]"، وهنا تظهر الغاية عبر وسيلة التسلط، ولكن قد يكون التساؤل عما إذا كان من صلاحيات السياسي التسلط على من يجاوروه من دول وبسط السيادة والسلطة القمعية عليهم ؟ .إن مفهوم التسلط مختلف الاستعمال فقد يكون تسلطا ظالما وقد يكون مشروعا كغاية تريد أن تتحقق أي تسلطا عادلا أو ظالما أيضا .

وفي نظر البعض فهو غير مشروع فقد يكون قهرا للآخرين. وقد نفهم إلى ما ذهب إليه أرسطو أنه يقصد بالتسلط قهر للآخرين وقهر ظالم جائر يعتبر السواد الأعظم من الناس أن الحكم الاستبدادي سياسة، إذا تعلق الأمر بما هو خاص وإذا كان الأمر مرتبطا بما لا يهمهم حددوا مفهوما أخر، كالعدالة في بلادهم وهم لا يعيرون اهتماما للآخرين وبهذا المعنى اتجه أرسطو التأكيد على أن السيادة لا تبسط على الجميع، بل يخضع لها من هم أهلا للخضوع ويخص بالذكر الأعاجم الذين انحطت مداركهم الطبيعية، وهنا يمكن للدولة أن تسلك لنفسها نهجا سليما وجميلا وذلك باعتمادها على مجموعة من الشرائع الصالحة دون أن تتوجه إلى الحرب لتستمر بشكل طبيعي ويتوجب على السياسي الحصيف أن ينظر كيف يقود المجتمع البشري بمعنى الدولة إلى حياة أفضل وسعادة ممكنة . بيد أن اعتبار كل سلطة استبدادا رأي غير صائب فالتسلط على

1 أرسطو ، في السياسة ، نقله من الأصل اليوناني إلى العربية وعلق عليه : الأب أوغسطينس ، المكتبة الشرقية ، بيروت ، لبنان ، 1980 ، الطبعة الثانية ، ص : 357 .

الأحرار و التسلط على الرق فيه فرق فالمميزات ليست واحدة لذلك لا يمكن أن يكون التسلط واحدا ولا يسمى في هذه الحالة استبدادا ويميز أرسطو في الحكم السياسي بين نمطين وهذا انطلاقا من الغاية التي ينشدها "الأول الحكومات التي تنشغل بالصالح العام وهي إما فردية ملكية أو أقلية من الأخيار أو أرستقراطية أو أغلبية من الجمهور الذي يسعى إلى تأمين المصلحة العامة وهذا ما يسمى بالديمقراطية وبالمقابل هناك حكومة من نوع أخر تنقض مبدأ الدولة فهي حكومات طغيان فردي أو أقلية مستبدة " أوليجارشية " أو تعرف بالحكومة الطاغية الشعبية ."[1] فالحكم الشعبي الصرف الذي يستند إلى الأكثرية المتساوية ينسجم مع المجتمعات التي تكون فيها العامة من الشعب ممثلة للقوة الوحيدة .

وبالتالي تصبح الحرية والمساواة قانونا عادلا في كل الحالات فالوسيلة الأساسية أضحت الشعب ممثلا للسياسة لبلوغ الغاية المتمثلة في الديمقراطية ،وقد تتناقض الحرية مع العدل ويحصل تساو بين الفقراء الذين هم العامة والخاصة من الأغنياء أو الفضلاء فتصبح العملية ظلما واستبدادا وبالتالي" فالأوجارشية تعتبر الحكم وسيلة امتياز واحتقار للعامة ،وهذا الآمر لا يتماهى مع العدل لابل بعيد عن الديمقراطية حيث لا يحصل الانسجام داخل المجتمع ما قد يهيئ مناخا للحروب و الثورات التي ينتج عنهما استبداد فردي "[2] .إن غالبية الساسة يعتقدون أن الدولة إن هي أرادت أن تكون سعيدة يتوجب تكون كبيرة وهنا يستوقفنا تساءل هل الدولة كبيرة بتعداد سكانها أم المقصود بالدولة الكبيرة قدرة السكان لا عددهم وفي كل الحالات للدولة مهمة تقوم بها والدولة التي تقوم بهذه المهمة دولة راقية وعظيمة ،فالدولة الكبيرة بأجزائها الجوهرية وعناصرها الخاصة التي تتألف منها كما أن الدولة ذات السياسة الحسنة لا تسترسل في الكثرة وإنما في التنظيم والبهاء،

1 بليمان عبد القادر ، الأسس العقلية للسياسة المرجع نفسه ، ص : 38 .
2 المرجع نفسه ، ص : 39 .

كما أن الدولة في نظر أرسطو تنشأ ضرورة حلما تتوفر لديها جماعة من المواطنين لتحقيق العيش الرغيد والفاضل *عن طريق* من يرأسها ويقوم بتنظيمها وحكمها إن الدولة تحكمها جماعة فاضلة افصل من حكمها من قبل رجل فاضل أي من الأحسن أن تكون الدول تحت قيادة فردية ولكن يتساءل أرسطو هل الأنفع للدولة أن يحكمها رجل فاضل جدا أم شرائع جيدة ؟. يعتقد البعض أن الحكم الملكي نافع للبشر كما أن الشرائع تناول الأمور العامة دون التعرض لماهو خاص حيث من البساطة أن يتقيد الإنسان بأمور تبدو شكلية في الغالب لكنها مهمة في تنظيم أخلاقياته.

ففي كل فن أو صناعة بأصول وقواعد ،" ففي مصر لا يتاح للأطباء أن يباشروا المعالجة إلا أربعة أيام أي لا يمكن للطبيب أن يتدخل إلا بعد انقضاء تلك المدة وان حدث ولم يحترم المدة المخصصة فتلقى عليه المسؤولية "[1]. وأضحى الأمر جليا أن السياسة التي تتقيد بنص قانوني أو شرع ليست أفضل السياسات. ويقول أرسطو "بما أن النظر في تلك القيادة مسألة تشريعية أكثر منها سياسية أو دستورية نصرف همنا عنها"[2] ،فالرجل الفاضل له من الوسائل الكفيلة لبلوغ الغايات فهو يتدبر الأمور الفردية بطريقة أدق بمعنى أن يكون هذا الشخص مشترعا دون سيادة مطلقة فالشؤون التي يكون الشرع عاجزا عنها تنتقل إلى الجماعة الكثيرة فالجماعة تجتمع من اجل التفاوض والفصل في الأمور فالجماعة لها القدرة في التمييز بين الأمور، كما أن الكثرة تؤمن الحياة من عوامل الفساد، بمعنى العرضة للفساد تكون أقل من حالات أخرى وبالتالي تكون الجماعة أناس أفاضل انطلاقا من الطيبة الأخلاقية التي يمتازون بها نظير ذلك الفرد .في هذه النقطة شعر أرسطو بضرورة تخليص الحكم من الاستبداد الشعبي النخبوي عن طريق بناء طبقة وسطى تمثل

1 أرسطو ، في السياسة المصدر نفسه ، ص: 164.
2 المصدر نفسه ص: 164 .

الأغلبية في المجتمع ودورها تأمين الحرية للجميع دون القضاء على التفاوت من اجل إقامة دولة تكون اقرب إلى العدل ،فالدستور الأرسطي الأفضل لأغلب السياسات الممكنة وهو دستور قائم على جمع أقصى حد من الشروط الاجتماعية والاقتصادية الخارجية وتأليف ما أمكن بين ما في المجتمع من حرية ومساواة لأجل غاية واحدة وهي بناء دولة قوية وعادلة .

"إن الفضيلة هي أساس الجمهورية والمواطنة الحرة لأنها تجعل الحياة العملية في المدينة خاضعة لرقابة الجزء العاقل من النفس وتطرد من فضائها الجزء الشهواني، فالجمهورية عند أرسطو لا تقوم على عدل اجتماعي اختياري بل تقوم على عقيدة العدل الكوني "[1]. لقد بين أرسطو أن السياسة ليست هي القوة وليست هي المصالح وليست هي الحرب والتحالف من أجل السيطرة بل ميدان للشؤون العامة أي للفعل والإرادة الإنسانية لذلك ارتبطت السياسة بحياة الإنسان بدلا من أن تبقى وسيلة لخدمة الأفراد ومختلف الشهوات و أنواع الشرور، كما أنها أحوج إلى الفضيلة التي تقوم بتحرير العقل بفضل الدولة التي تكون كوسيلة للحرية بعيدا عن العبودية . إن الغاية من السياسة عند أرسطو لا تتوقف على الإرادة وحدها بل في القدرة أو العجز في تحصيل العلم والفضيلة، فضلا عن ذلك فهناك من لم يستطيعوا أنو يكونوا مواطنين في دولة حرة لا يملكون الاستعدادات الضرورية للتخلق بالفضائل كما يكون دور المواطن في خدمة الدولة شبيها بخدمة الجسم للنفس، ومن هنا ساير أرسطو أفلاطون في تفضيل ديمقراطية الدراسة والتعليم على ديمقراطية التصويت والانتخاب وتكون "الغاية هي اختيار الصفوة القادرة على تسيير المهمات العليا للدولة ضمن الوظائف العليا للدولة، وحتى يكون التساوي في الحظوظ والحرية ينبغي التساوي في الأمر والطاعة ولا يتحقق هذا الأمر إلا بالقانون والتناوب على الحكم "[2]. وتساءل

1 بليمان عبد القادر ، الأسس العقلية للسياسة ، المرجع نفسه ، ص: 41 ؛ 42 .
2 المرجع نفسه ، ص : 43 .

أرسطو عن من يتسلم زمام الحكم في الدولة بمعنى من يجب أن تفوض إليه السلطة العليا في الدولة فمن تسند له السلطة ؟ إما أن يكون الجمهور، وإما رهطا من الأغنياء، وإما أهل الصلاح و إما طاغية ولا تخلو هذه الافتراضات من الصعوبات ، فالطاغية مثلا يعمد إلى العنف كوسيلة في الحكم.

هذا إلى جانب أهل الصلاح الذين يشرفون على إدارة شؤون الدولة فقد نعتبر أن مناصب الحكم منازل شرف لذلك يتوجب أن يحكم من يفوق الجميع كمالا ،فقد يؤثر هذا الأمر على الذين يحرمون من شرف الحكم لأنهم أكثر عددا بخلاف الأقلية التي تظفر بالحكم على اعتبار تفوقها كمالا ".[1] وفي هذا الصدد يقول أرسطو " في الدول كلها، هناك ثلاثة أقسام أو طبقات متميزة من المواطنين، الطبقة الغنية جدا، والطبقة الفقيرة جدا، والطبقة الوسطى التي تشكل الحال الوسط والمتعارف عليه أن الاعتدال والوسط هما الأفضل على الدوام "[2] . معنى ذلك أن الطبقة الغنية والطبقة الفقيرة الطاعة، تنقادان على الأرجح بالجشع والخوف دون أمان فالطبقة الغنية لا تعرف شيئا غير الحكم والطبقة الفقيرة لا تعرف شيئا غير الطاعة، أما الطبقة الوسطى فمن المرجح أن يكون لها أعداء أقل من الطبقتين السابقتين، فالطبقة الوسطى بإذعانها للعقل إلى جانب الانضباط و الاعتدال تكون اقل عنفا وطموحا وطمعا من الطبقتين السابقتين .تقتضي الدولة القويمة نوع من المواطنين لهم عرفان بالحكم والطاعة في نفس الوقت من أجل ممارسة سياسية نزيهة مبنية على الفضيلة بغرض تحقيق التوازن بين جميع الطبقات، وهنا يمكن للدولة القويمة أن تقوم كما تكون اقل عرضة للعصيان لابل الثورة وبإمكانها أن تحمي الغني من طمع الفقير، والفقير من جشع الغني كل هذا في إطار احترام القانون والخضوع له ووضع حد لنزاعات الوجهاء وتنظيم

1 أرسطو ، في السياسة المرجع نفسه ، ص : 144 .
2 جون اهرنبرغ ، المجتمع المدني التاريخ النقدي للفكرة المرجع نفسه ، ص : 54 .

الواجبات الضريبية باستمرار واتخاذ تدابير لتجنب السقوط في فلك الانحطاط السياسي .وتكون القاعدة الأساسية في هذه الحالة وكشرط هو عدم استغلال الحكام لمناصبهم من اجل الكسب الخاص .لقد أخفق أفلاطون في فهم المصلحة الخاصة، فالناس يشكلون روابط مختلفة ويبحثون عن المنفعة لأنفسهم انطلاقا من تأمين مستلزمات العيش بينما أر سطو فقد أدرك أنه حتى الجماعات الضيقة ترمي إلى تحقيق الخير لأعضائها، وتمثل الدولة المجتمع الأوسع كمجتمع سياسي لا يرمي إلى منفعة اللحظة الراهنة بل إلى ما هو نافع للحياة بأسرها، كما أدرك" أرسطو التعددية الأمر الذي جعله يتخطى أفلاطون.

ومن هنا تشكل المجتمع المدني أي الجماعة السياسية أو المتشكلة سياسيا التي من مهامها، تنظيم حياة الناس من خلال الدولة وحاول أرسطو جمع الميادين المختلفة في داخل الحياة المشتركة للمدينة "[1]. وهكذا فالسياسة هي العلم الأساسي للخير على اعتبار أنها تكيف المصلحة الفردية مع عمومية الشؤون المشتركة و هذا انطلاقا من انفراد شخص أو أشخاص كثيرون ليكونوا دولة كاملة بسمو فضيلتهم أي أصحاب الفضيلة السامية" ولا خوف عليهم إن جاؤوا بعمل منكر لأنهم يمتازون بالفضيلة وهذا من الوجهة النظرية المثالية ومن جهة الواقع، فالرجال الأفذاذ والنوابغ الكبار كسليمان الحكيم والاسكندر وقيصر وكرلس الكبير ونابليون وهتلر وغيرهم كثيرون وقد دانت لهم شعوبهم لتفوق عبقرياتهم وكانت إرادتهم هي الشريعة لاقتدارهم وبطشهم وجبروتهم، مع العلم أنهم أتو بالمنكرات والقبائح وضروب الظلم والتعسف "[2]. وهنا نصل إلى فكرة أن أصحاب الحكم الفردي بإمكانهم التفاهم ودولهم وإذا وصلوا إلى هذه الخطوة و إذا فلعواذلك كان حكمهم الشخصي مفيدا لدولهم، كما يتوجب سن دستور من البدء قصد تصويب السياسة إلى العدالة .

1 جون اهرنبرغ ، المجتمع المدني التاريخ النقدي للفكرة ،المرجع نفسه ، ص: 56 .
2 أرسطو ، في السياسة ، المرجع نفسه ،ص: 170 .

ان السياسة الفضلى في حالة إذا امتاز أحد لا بتميزه بالقوة والغنى وكثرة المناصرين ولكن بتفوقه في الفضيلة، فهذا الشخص من غير المعقول أن يكون مرؤوسا بل يشغل مكانه الطبيعي ومن هنا قد ينقاد البعض إلى هذا الرجل ولرضاه انطلاقا من صفاته ويظل أمثال هذا الرجل على مدى الأحقاب ملوكا في دولهم، ويبقى الحكم السياسي مطلقا انطلاقا من حكم ملك على الجميع طبقا لإرادته .يبقى النظام شريعة فالأحسن تسلط الشرع على تسلط فرد من أفراد المواطنين فليس من العدل أن يتسلط فرد واحد على الجميع وفي هذا الصدد يقول القديس توما الأكويني " إن الشريعة هي نظام يصدره العقل لتأمين الخير العام ". معناه هو أن العقل نور الهي جعل به المرء على صورة الله تعإلى لأن الله هو روح حية مفكرة، فالشريعة الصادرة عن العقل المجرد هي بمثابة عقل بلا هوى وخير للناس أن يحكمهم عقل مجرد عن الهوى أفضل من حكم عقل تعتلجه الأميال والأهواء فالأهواء تستبد بكل نفس بشرية ،ولكن أرسطو يؤكد على أن ما يعجز في تحديده الشرع يكون المرء عاجزا عن تفصيله. يركز أرسطو الاهتمام على الشرع في كونه يوفق أصحابه ويجعلهم يتدبرون بحذقهم كوسيلة لبلوغ الغاية وهي كمال عدلهم، وفضلا عن ذلك يخول لهؤلاء حق تقويم ما اعوج منه بفضل خبرتهم وحنكتهم السياسية، ومن هنا فالأفضل أن يكون حكم الشرع هو السائد بدلا من حكم المرء الذي يكون عرضة للأهواء، لذلك فأرسطو يريد فكرا سياسيا يرتكز على الطبقة الوسطى وهي ذاتها الطبقة التي حاولت أن تفرض نفسها في أثينا كوسيط بين الطبقات وقيادتها في سبيلها المعتدل ويكون بين الأغنياء النازعين إلى الأنانية والطموح وبين الذين هم عبئ وخطر على الدولة .

ويكون "أرسطو معجبا بالدستور الديمقراطي ودافع عن عقيدة المساواة المتناسبة مع الكفاءة "[1] يكتفي أرسطو بالطلب للحكومة الصالحة أن تحمي الفقير من الظلم والغني من المصادرة، ومن هنا يدرس أرسطو الشروط التي تتغير وفقها الحكومات كما يقرأ الثورات التي تشوبها بأسبابها المتنوعة، فقد يكون السبب متعلقا بالإسراف في تطبيق مبدأ ما، سواء كان هذا المبدأ يتعلق بالمساواة أم بغيرها، أو يكون الأمر مرتبطا بالتحولات الطبقية من خلال اختلال التوازن داخلها، أو تكون في أخطاء الحكومات، ومن هنا راح أرسطو يدرس ويعالج الإختلالات انطلاقا من دستور معتدل تكون فيه المجموعة الاجتماعية الأقوى متعلقة بالنظام وقدم أرسطو النصائح الضرورية من أجل الحفاظ على جميع أنواع الدساتير وكان تأليفه مصدرا لمن أتو بعده من تقنيين ومختصين في عملية الحكم أمثال **مكيافلي (machiavel)**. **إن** غاية أرسطو لم تكن مطلقا الحصول على دولة مثالية خاصة بتقديمه لدستور " **بوليتيا** " في الكتابين السابع والثامن ويغلب فيهما طابع كتاب الشرائع ولم ينهي مشروعه تماما ومن خلال الكتاب الثاني حكم على أفلاطون في جمهوريته وخصوصا مشاعية النساء والأموال والتقسيم الدقيق للطبقات والتضحيات المطلوبة تقديمها من كل فرد بأنها غير عملية وغير إنسانية، ومن هنا سعى أرسطو إلى إقامة حاضرة سعيدة يفضلها على حاضرة أفلاطون العادلة علما بأن السعادة هنا تقوم على حسن استعمال الفضيلة .

"ويتوجب التنبيه إلى أن الجميع امتدح أرسطو لاستخلاصه نظريات طبية من أجل إدخالها في الفكر السياسي إلى جانب الأعراق "[2]. كما يعود الفضل إلى أرسطو بالدرجة الأولى، في القول بوجود ثلاثة سلطات بمعنى يوجد في الواقع ثلاث وظائف يتوجب على الدولة تأمينها وهو يعدها

1 جان توشار ، تاريخ الفكر السياسي ، ترجمة : الدكتور علي مقلد ، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1983 ص : 38 .
2 جان توشار ، تاريخ الفكر السياسي ، المرجع نفسه ،ص : 40 .

في الكتاب الرابع الفصل الحادي عشر الأولى وظيفة تذاكرية، مضمونها التصويت على القوانين والمعاهدات ومراقبة القضاة والثانية ممثلة في ممارسة السلطة ضمن المناصب وأخيرا الوظيفة القضائية التي تؤمن بواسطة سلسلة من المحاكم .

وهذا التقسيم لا يذهب إلى فكرة فصل السلطات، فالغاية كانت واضحة وهي صلاح الوسط أخلاقيا . وباعتبار أن السياسة في نظر أرسطو علم عملي غائي أي يهدف إلى تحقيق غاية ما ومنها غايات أخرى فهي فضيلة، فالأخلاق تهدف إلى تحقيق الخير أي الفضيلة والسعادة والسياسة لها نفس الغاية بشكل جماعي صوب الخير، حيث يؤكد" أرسطو أن الخير نحبه حتى ولوكان لكائن واحد "[3] .ومن هنا كانت سعادة الدولة في عمل الفضيلة رغبة في السعادة ونظام سياسي ناجح ، والغاية تحقيق السعادة للجميع بإيجاد الوسيلة المبلغة للغاية المنشودة، حيث تكون السياسة المثلى هي التي قد تساس بها الدولة خير سياسة متمثلة في تحقيق السعادة، ضمن أخلاقيات تقودها الفضيلة ومثل ذلك ما يتعلق بشؤون العدالة فالانتقام العادل يصدر عن الفضيلة كما هو في العقوبات العادلة .إن الدولة الفاضلة من صنيعة مواطنين صالحين يشتركون في السياسة وهذا الأمر يتاح للجميع، ويغدو المواطن فاضلا بصفات ثلاثة : الطبع، التخلق، العقل مع الاتصاف ببعض الصفات الروحية والجسدية .

إن الإنسان يحيا بعقله فيحاول تهذيب مما يتلقاه ويلقن له بالتخلق وفي بعض الحالات بالسماع وبما أن الغاية في كل علم وفن هي خير ما، فالغاية في أسمى العلوم والفنون كلها أعظم خير و أقصاه و أسمى العلوم والفنون هي السياسة، وفي نظر أرسطو تفوق السياسة أسمى العلوم العقلية أو الأخلاقية فهي فوق فلسفة ما وراء الطبيعة وفوق علم الأخلاق والخير السياسي يكمن

3 - مختار عريب ،الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيواتيقا ، مؤسسة كنوز الحكمة ، الأبيار الجزائر ،ص: 80 .

في العدل كمنفعة عامة ويبدو مساواة للجميع .لا مجال للحديث عن الدولة بعيدا عن فضيلة العدل والبسالة الحربية ،لا بل من المستحيل إنشاء الدولة بدون هتين الفضيلتين حيث لا يمكن أن تقوم الدولة الفاضلة، على أساس قيام فضيلة تهذب العلاقات داخل الدولة، فمختلف الطبقات يتنافسون على المناصب، فالأغنياء يطلبون السيادة لأن الشطر الأكبر من البلاد في حوزتهم إلا أن البلاد مشتركة ، ويبقى الأحرار والنبلاء يتنازعون على الحكم وكل هذا من أجل دولة فاضلة، ومواطن صالح، ناتج عن عرق وطني فيه شرف الأصل ومن الطبيعي أن ينجب الكرام كراما، ومن أجل غاية واحدة وهي فضيلة العدل، كفضيلة اجتماعية، وتتبعها باقي الفضائل"[4]. إن التفاوت والمساواة في الحقوق السياسية فيها اختلاف من نظام إلى أخر، منها من يمتاز بالحكم للأغنياء ويكون الثاني كسلطة لأهل الفضل، فماذا عن هذه الفئات عندما تتلاقى في أن واحد ؟ وهل بإمكان أهل الفضل أن يقودوا الدولة ؟، ومن هنا يجب أن ننظر إلى قلة عددهم بالإضافة إلى ما يلقى عليهم من سهام في محاولة التأكد من إمكانية قيادتهم للدولة، وعددهم لا يكفي، كما أن الذين يلتمسون الرئاسة بسبب غناهم يبدون غير مصنفين أو الذين يلتمسون ذلك على أساس عراقة أصلهم .

تبقى الأحكام السياسية في نظر أرسطو منتمية إلى حكم الأعيان بنفس ماهو لدى الفضيلة، وهنا يمكن لصاحب السلطة أن يكون حاكما أعلى، ويخضع له الجميع في النهاية، وتبقى الفوارق أو الحدود السياسية التي يعتمد عليها البعض وإخضاع الطبقات الأخرى لسلطان واحد، هي فوارق فاسدة، مع ضرورة التساؤل عن طبيعة المشرع وأقوم الشرائع وأين يوجه شرعه هل إلى خير نخبة القوم ؟ أم إلى المنفعة الأكثرية ؟" إن ما يقوم به المشرع هو تصويب أفكاره السياسية إلى ما هو قويم يؤول إلى منفعة الدولة وإلى خير عموم المواطنين، ويبقى المواطن مشتركا في الطاعة

4 أرسطو ، في السياسة ، ص : 152 .

والسلطة أي يحكم ويحكم ليتحقق العيش الفاضل، و أفضل حكم بين الأحكام السياسية هو اعتمادا على تعليم العقل والفيلسوف الذي يؤمن بلوغ غاية الدولة "[5].فالغاية تكمن في بلوغ الهدف من الدولة و العيش الفاضل والرغيد للأفراد والجماعات داخل نظم سياسية فاضلة وتفوق مطلق، ومن هنا فهل تكون الحياة المثلى واحدة للفرد وللدولة ؟ أم هناك اختلاف ؟ الظاهر أن الكثير يسلمون بفكرة أنها واحدة فهناك من يضعون سعادة الأفراد في الغنى، فلابد من غنى الدولة أو حياة طغيانية وتكون اسعد دولة من تتسلط على اكبر عدد من الأتباع وإذا كان هناك ثناء على الفرد لفضله فهو يرجع الدولة إلى الفضيلة كأسعد الدول، ومن هناك مسألتين يجب النظر فيهما: المسألة الأولى، التساؤل حول الحياة الأجدر باختيار المرء ؟ هل هي حياة السياسة والتفكير في الدولة؟ أما المسألة الثانية: أي السياسات يجب أن تتبع بمعنى السياسة الخيرة؟ فخصائص الفكر السياسي أنه ينظر في شؤون الدولة، دون النظر في ما هو أصلح وأفضل للفرد؟ .

ويبقى الفكر السياسي من المطالب العلمية الحاضرة، ويعني الفيلسوف بالسياسة المثلى أفضل حكم سياسي فيه غاية الفلاح و حياة سعيدة لكل فرد، ويترتب على الإنسان الحصيف أن يتجه إلى أسمى الغايات، ويعتقد البعض الأخر" أن التسلط على الآخرين بصورة استبدادية هو غاية الجور، وإذا خلت السلطة من الجور كانت لائقة، دون خلوها من عائق الصفاء الذاتي، إلى جانب أن الحياة العملية السياسية هي وحدها في نظر البعض حياة، لأن الأعمال الفاضلة لا تتوفر للعوام، بل تتوفر لمن يسهرون على شؤون الأمة ويشرفون على سياستها"[6]. يؤكد أرسطو أن هناك من يدعون بالسياسة الاستبدادية الطغيانية لجلب السعادة، وعلى مستوى الدول هناك من تريد فرض سلطانها على المجاورين، والغاية ممثلة في السيطرة، كمثال" الأسكوتيون الذين هم شعب

5 أرسطو، في السياسات المصدر نفسه ، ص: 154 .
6 المصدر نفسه ،ص: 356 .

من الرعاة، متأخرون في الحضارة أشداء في الحرب نازلهم الفرس والرومان مرارا، حيث يوجه تهذيب النشء في مجمل الشرائع إلى الحرب، فهذا ميل إلى تذكية الحرب "[7]. فالمتأمل في الأمريبدو له غاية في الغرابة أن يكون السياسي من صلاحياته درس أساليب التسلط على المجاورين وفرض السيادة عليهم، وهنا يتبين أن العناية المبذولة في سبيل الحرب يجب تحبيذها كونها عناية جميلة دون اعتبارها غاية قصوى لكل الشؤون . كما أنه في بعض المخطوطات علم الحرب يكون بدل علم السياسة، مع العلم أن علم السياسة أقرب إلى مراد أرسطو، كما تبقى تربية الرئيس مخالفة تماما لغيرها، فأولاد الملوك يلقنون الفروسية والسياسة بمعنى لصاحب السلطة تربية خاصة.

إن أرسطو ينظر إلى غاية المرء في المجتمع لا إلى غاية المرء في حد ذاته وبعبارة أوضح ينظر إلى غاية الإنسان الزمنية لا إلى غايته المجردة. ومن هنا تتضح فكرة أرسطو السياسية على أن السلطة تنشأ نتيجة تطور تاريخي ويبقى المثل الأعلى للدولة يتمثل في سيادة القانون وفي الحكم الدستوري وليس الاستبدادي، فالقانون له سيادته العليا إذا ما أرادت الدولة أن تكون صالحة. ومن هنا تتضح الصورة أن أرسطو قد ساهم كثيرا في إدخال المنهجية في علم السياسة وتحليل الدساتير اليونانية بغية التعرف على أنظمة الحكم اعتمادا على المنطق وتحكيم العقل في المسائل الدقيقة وفي ذلك تأثرا بما كان لدى أفلاطون من أفكار سياسية، ويتفق أرسطو مع أفلاطون في النقاط التالية:

الدولة ضرورية لتتحقق الطبيعة الإنسانية أعلى ذروتها في التقدم والرقي .جاءت الدولة من اجل تحقيق أهداف تتمثل في توفير الشروط الطبيعية والعقلية اللازمة للحياة الفاضلة بإمكان

7 المصدر نفسه، ص :357

الإنسان أن يحقق اعلي قدر من التطور الأخلاقي في دولة المدينة فقط البشر الحقيقيون هم الذين يعيشون داخل دولة المدينة ومن يعيش خارجها فهو اله أو بهيمة .

أما نقاط الاختلاف فتتمثل فيما يلي :

يرى أفلاطون أن الدولة الهدف من تكوينها إيجاد الفرص المتساوية بين الإفراد قصد تحقيق العدالة _ بينما أرسطو يرى أن العلاقة بين أفراد المجتمع تختلف عن العلاقة التي تربط أفراد الأسرة الواحدة ويبقى الحاكم مقيدا بالقانون . _ يضع أفلاطون الثقة التامة في الحاكم الفيلسوف_ يعتقد أرسطو أن الحكم القائم على دستور أفضل وأحسن نظام تسير بمقتضاه الدولة، حتى يضمن الاستقرار ويكفل لها صفة الدوام كما انه يتوجب ان يكون الرجل الفاضل يستحق تولي الحكم لأنه أحسن وقد يكون أحق بذلك رجلين فاضلين كما جاءت مقولة الشاعر هوميروس "دع اثنين يسيران معا " _[8]

رفض أفلاطون الملكية والزواج لأن مأساة الدولة تتمثل في الجشع والطمع والارتباط الروحي بالعائلة _ يرى أرسطو أن حب التملك والتعلق العاطفي بالأسرة ظاهرة إنسانية عادية ولا فائدة من تجريد أي شخص منها ومن نقاط الاختلاف بين أرسطو وأفلاطون يتبين : أن أرسطو قد انطلق من الواقع وفسر الأنظمة من خلال دراسات تاريخية، والتركيز على دستور يخص الطبقة الوسطى وهي ذات الطبقات التي حاولت أن تفرض وجهات نظرها في الكثير من المناسبات وذلك في مدينة أثينا وبصورة خاصة في القرن الخامس فهذه الطبقة الوسطى تمثل في نظر أرسطو الاستقرار للدولة التي تبقى مخلصة للقوانين. ويبقى أرسطو معجبا بالدستور الديمقراطي القديم لصولون، حيث أراد إيجاد ضابط أخلاقي من اجل بلورة دستور سياسي يوفق بين المبدأ الديمقراطي

8 نور الدين حاروش ، تاريخ الفكر السياسي ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، الطبعة الأولى ماي 2004 ، ص :72 .

والمبدأ الارستقراطي ، مع ضرورة الدفاع عن عقيدة المساواة المتناسبة مع الكفاءة . وعلى هذا الأساس حاول أرسطو التعرف على نظام الحكم بتوجيه اهتماماته، إلى توزيع السلطات والقوى السياسية في الدولة إلى جانب فصل السلطات، بين تشريعية وتنفيذية وقضائية، وفهم أرسطو للمجتمع المدني المتميز كان أكثر تطورا من فهم أفلاطون غير أن نظريته في المواطنة كانت متأثرة بعمق بالحساسية الارستقراطية والتي تغذى بها إبان شبابه إلا أن انقراض الحكم الجمهوري الارستقراطي للاثنيين قد اسقط فكرة خدمة الصالح العام ، فالسياسة ليست هي القوة وليست هي المصالح وليست هي الحرب والتحالف من اجل السيطرة بل مجالا للإرادة العامة . ان أرسطو لا يقدم صورة عن دولة مثالية عكس أفلاطون، وزيادة على ذلك من العبث بحث الدساتير اليوتوبية بل يتوجب انتقاء دستور سوي ومتزن يحقق للفرد ما يصبوا اليه في حياته ومن غير المعقول أن نجد انسانا كاملا لقيادة الدولة .

4 / القيم الأخلاقية والسياسية في القرون الوسطى :

تعتبر فلسفة القديس أوغسطين(saint augustain) قمة الفلسفة المسيحية في العصر الكنسي، هذا لو أننا حددنا العصر الكنسي بداية من القرن الثاني، إذ يحتوي القرن الأول على تكوين الأناجيل وكتابة الرسائل حتى سقوط الإمبراطورية الرومانية، أو إلى عصر جريجوار الأكبر في القرن السادس، وظلت الفلسفة الأوغسطينية ممثلة للتفكير المسيحي التقليدي حتى نهاية عصر أباء الكنيسة بل حتى في العصر المدرسي المتأخر، رغم "أن بويس قد غير من التفكير المسيحي من الأفلاطونية إلى الأرسطية ممهدا لظهور الفلسفة المدرسية بمعناها الاصطلاحي وهي التفكير المسيحي في العصور المتأخرة، وأباء الكنيسة مهمتهم في القرن الثاني في الدفاع عن

المسيحية"[9]. إن الخطوط العامة للفكر المسيحي في العصور الوسطى الأوروبية تسوده قوتان فعالتان : النزعة الأفلاطونية من جهة والنزعة الأرسطية من جهة أخرى فالأولى ينتمي إليها القديس أنسلم و أبيلار والثانية توما الاكويني، و ألبرتس الكبير، وكلا النزعتين تشتركان في الخصائص العامة ويبقى الخلاف في طريقة تناول المسائل، ولقد كان الدفاع عن المسيحية هو الطابع الغالب على التفكير المسيحي عند أباء الكنيسة اليونان حتى القرن الثاني إلى غاية القديس ايرنييه بدفاعه عن المسيحية ضد بعض الشيع التي نشأت آنذاك، والتي راحت تعبر عن بعض الأنماط المسيحية في القرن الثاني حتى داخل الكنيسة الرسمية . لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل تعدى إلى نوع أخر من التفكير المسيحي، في مدرسة الاسكندرية التي كانت ملتقى للتفكير اليهودي والمسيحي واليوناني، وفي هذه المرحلة انتشرت المسيحية رغم أنها لم تعد بعد الديانة الرسمية للدولة، فكان من الضروري على أباء الكنيسة الاستمرار في نشر الدعوة الجديدة و الدفاع عن المسيحية ضد مهاجميها ، وتأسيس الأخلاق الدينية والتربية المسيحية ،" ليأتي "كلمنت "(klement) و أورو جين "(orgine) وعلى أيديهما نشأت بوادر التفسير الروحي للإنجيل، كما فعل فيلون في التوراة حيث ظهر التفكير المسيحي عند أباء الكنيسة اليونان فظهر في مطلع القرن الثاني واستمر إلى غاية السادس وساهم في البناء العقلي للدين في العصر الكنسي "[10] .إن تطور الفكر في العصور الوسطى، ظل مرتبطا بمقدار ما ينكشف له من أثار الفكر اليوناني، ومن هنا عرفت العصور الوسطى الأوروبية شخصيات كثيرة جريئة في أفكارها، منهم بطرس **أبيلار** الذي قيل أنه أشاد بدور العقل، ونظروا إليه كونه المبشر الأول بحرية الفكر، والتناقض بين أباء الكنيسة

9 حسن حنفي ، نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط أغسطين ؛ أنسليم ؛ توما الاكويني ، بيروت ، لبنان 1981 ص: 2 .

10 حسن حنفي ، نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط المرجع نفسه ،ص : 4

و أقوال الكتب المقدسة، إلى جانب **جيلسون(gilsone)** مؤرخ في العصور الوسطى، الذي رفض موقف ابيلار ويراه خاضعا للكنيسة وسلطانها ولآباء الكنيسة، رغم ذلك لاحظ الكثير أن موقف جيلسون مبالغ فيه على اعتبار أنه اعتمد على أقوال وردت في رسائل أبيلار إلى حبيبته **هلويز**ا بعد المحنة الكبرى لذلك كان في حالة غير طبيعية.

لقد دعى روجر بيكون (roger bacon)إلى تخليص الفلسفة من كل ما يعوق تقدمها، وأولها السلطة الكنسية وسلطة أرسطو نفسه، ورأى أن التجريب أساس أقوى من كل دليل فالتجربة تقنعنا أكثر مما يقنعنا الدليل العقلي النظري والتجربة تكفي لليقين، ومن هنا شق روجر بيكون طريقه في العلم التجريبي ، ليعيد فرنسيس بيكون(fransisse bacon) صياغته بعد أربعة قرون، إلى أخر شخصية فلسفية بارزة في العصور الوسطى ونعني بها وليم **أوكام** " (okam)الذي حاول التهذيب بين العقل والتجربة لتنشأ حركة علمية وفلسفية وعقلية في العصر الحديث والفضل يعود إلى رجال العصور الوسطى جميعا فبهم تخلصت الإنسانية من قيود العبودية. إن مشكلة الفلسفة المسيحية قائمة في عدم ايمان البعض بوجودها في الأصل فالفلسفة لها ميدانها الخاص بينما للدين ميدانه وهما متعارضان حسب البعض، بل متناقضان فالفلسفة قائمة على أساس العقل والدين على الإيمان فكان من الطبيعي إثارة مشكلة إمكانية قيام فلسفة مسيحية سواء في العصور الوسطى أو في عصور أخرى، ولقد كان القديس" **بطرس دمياني** والقديس برنار(bernard) قد رفضا فكرة حاجة الدين المسيحي إلى الفلسفة، لأن موضوع الدين المسيحي " فكرة الخلاص " لا صلة لها بالفلسفة بالرغم من قيام تيار ثالث هم المدرسين المحدثين، الذين لم يتوصلوا إلى القول بفلسفة مسيحية واعتبروا الدين متميز عن الفلسفة "[11]. يبدو أن البحث عن فلسفة مسيحية لم يجدي نفعا، رغم أن هذا التعبير : فلسفة مسيحية قد استعمله

11 عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى ، دار القلم ، بيروت ، لبنان، الطبعة الثالثة ، 1979، ص : 1، 2

بداية هو القديس أوغسطين حيث يتكلم هنا عن الفلاسفة المسيحيين خصوصا في كتابه " مدينة الله " ويعبر عن الفلسفة المسيحية أنها الحقيقية ويقول "وهي الكلمة التي تجسدت في صورة "مسيح " وهذه الكلمة هي الحياة والحياة هي النور ،والنور لم يأت تبعا لهذا إلا مع المسيحية فمحبة الحكمة هي محبة النور أو الكلمة، أي محبة المسيح أي محبة المسيحية "[12]. إن الفلسفة الحقيقية هي المسيحية، وهي موجودة وهي الدين المسيحي، كما أن أوغسطين قد فصل فصلا واضحا، بين مملكة العقل ومملكة النقل كما يؤكد أن الفلسفة المسيحية هي العقل في محاولة فهم تعاليم المسيحية، ويعبر أوغسطين قائلا " أؤمن من أجل أن أتعقل فالإيمان أولا ثم يأتي العقل بعد ذلك فيحل الشيء من حقيقة إيمانية إلى حقيقة برهانية وهذه المهمة الحقيقية للفلسفة، فليس من مهمة الفلسفة أن تبحث لتؤمن أو تتعقل لتتعقد بل تعتقد لتتعقل "[13] . واستمرت الفلسفة الأوغسطينية طوال العصور الوسطى وبلغت أوجها على يد القديس أنسلم الذي أراد أن يثبت العقائد الدينية غير معتمد على نص من نصوص الوحي .لقد جاءت المسيحية بأفكار جديدة مخالفة كل المخالفة للأفكار الأساسية التي تقوم عليها الفلسفة اليونانية "ففكرة اللامتناهي لم تكن موجودة بالمعنى الحقيقي في الفلسفة اليونانية، وإنما وجدت لأول مرة في المسيحية وبعبارة أدق في الفلسفة اليهودية المسيحية خصوصا عند فيلون وهذه الفكرة على أساسها تقوم الميتافزيقا في العصر الحديث حتى أواخر القرن الثامن عشر"[14]، ويتعرض أوغسطين إلى مشكلة منهجية أخرى وهي مشكلة العقل والسلطة أو كما يقول علماء المسلمين العقل والنقل، فالعقل عند أوغسطين لا يستقل بذاته في إدراك الحقيقة المطلقة بل لا بد له في ذلك من سلطة أخرى هي في الغالب سلطة الكتاب المقدس، والذي لجأ له أوغسطين في الحقائق الفلسفية . إن سلطة الكتاب المقدس تعني

12 المرجع نفسه ،ص : 2 .
13 المرجع نفسه ، ص: 3 .
14 المرجع نفسه ، ص: 3

الإيمان به، وهذا ما سعى إليه أوغسطين عن طريق المعرفة العقلية المحضة، انطلاقا من أن العقل يمهد لبعض حقائق الإيمان، وفي هذا الصدد يقول أوغسطين " أعقل كي تؤمن وأمن كي تعقل "[1] .وعبر القديس "أنسلم " (anslem)في القرن الحادي عشر عن ذلك على أن الإيمان الباحث عن العقل، ومن هنا بدأت ملامح الفلسفة المسيحية في الظهور وهي الفلسفة كما يفهما القديس أوغسطين في مقابل الفلسفة اليونانية، والفلسفة المسيحية عملية أي تقدم لنا حياة عملية فالغاية الإنسانية هي الخلاص لا يمكن أن تتحقق إلا في المسيحية، كما تقدم المسيحية علما بوصفه قدرة وذلك خصوصا عن طريق فكرة الخطيئة . لقد وجد أوغسطين في المسيحية الغاية الحقيقية للحياة الإنسانية، وهذا ظاهر في كتاب الاعترافات في فصله السابع، كما امتازت المسيحية عن الفلسفة في أن الفلسفة عبارة عن مذاهب متفرقة بينما المسيحية تبدو وحدة واحدة تحل فيها المشاكل بشكل واحد وبطريقة واحدة، فالإيمان المسيحي يمكن من بلوغ التميز بين الحق والباطل، في كل فلسفة مع العلم أن الإيمان يحتاج إلى التعقل ،"ولقد وجد أوغسطين في سفر" أشعيا "فقد ورد في هذا السفر أنه إن لم تؤمن لن تتعقل وهي التجربة التي رعاها أوغسطين هي بعينها التجربة التي مارسها أنسلم "[2] . ويذكر المؤرخون أن أنسلم يعبر بشكل مثالي عن العقل المسيحي.

ومن هنا أضحى الإيمان ينشد التعقل، و أراد أنسلم من وراء ذلك أن يتعقل لكي يؤمن لابل يؤمن لكي يتعقل، وحقيقة الإيمان لا تظهر عن طريق العقل، وإنما الإيمان هو الذي يظهر الحقيقة للعقل، وهذا هو المعنى الحقيقي المراد استخلاصه من عبارة الإيمان يتوج العقل، رغم أنه يجب أن ندقق في هذا الاستخلاص حتى لا يصوب في الاتجاه الخاطئ، فالإنسان مادام مؤمنا

1 المرجع نفسه ، ص : 4.
2 المرجع نفسه ، ص: 4 .

فحسب فليس فيلسوفا بعد وقد نرى أنه من بعض الحقائق الدينية ما يمكن أن تحول إلى حقيقة عقلية، وكان اكتشاف الحقيقة العقلية بوسيلة العقل، هنا يكون الإنسان فيلسوفا، و إذا تم أخذ الحقائق الإيمانية موافقة للعقل بطريقة المسيحية كان فيلسوفا مسيحيا . ما يمكن استخلاصه من الفقرات السابقة هو أنه ما يقال عن أي فيلسوف فهو ينتسب إلى دين ما، فالفيلسوف الإسلامي يجد في الإسلام ما يوافق العقل، ليثبت ذلك بوسيلة العقل، فهذه التجارب المتنوعة في تاريخ الفلسفة المسيحية منها للقديس أوغسطين أو القديس أنسلم ، وهذه التجارب تكررت في الكثير من الحالات لدى العديد من الفلاسفة، خاصة منهم الذين اعتنقوا المسيحية ومثال هؤلاء نجد الفيلسوف **مين دو بيران (maindoubiran)**والذي انتهى في أخر حياته قائلا " إن العقل يجب أن ينشد العقل عن طريق الإيمان "[1] وسيظهر هذا الأمر جليا مع القديس أوغسطين والقديس أنسلم .

1 / القديس أوغسطين : 354 430

فلسفة القرون الوسطى تبدأ على وجه التدقيق في القرن التاسع وتنتهي تقريبا في القرن الرابع عشر وعرفت بفترة الآباء أي في هذه الفترة كان التفكير مقتصرا على أباء الكنيسة، الذين حاولوا الدفاع عن الكنيسة، ضد الغارات العنيفة التي شنها الفلاسفة اليونانيون المعاصرون أي الأفلاطونيون المحدثون إلا أن العصور الوسطى تدرس عبر شخصية كبيرة قوية كان لها الأثر العظيم في الفلسفة المسيحية ألا وهي القديس أوغسطين، وهو في الأصل من عصر الآباء ولد بمدينة طاغشت في شمال إفريقيا سنة 354 م، وعرف الثقافة المسيحية في سن متقدمة . إن المشكلة السياسة عند أوغسطين، مرتبطة بمشكلة الله واتجهت عنايته الفلسفية إلى السياسة انطلاقا من

1 المرجع نفسه ، ص : 12 .

المشاكل السياسية التي كانت تضطرب بها الإمبراطورية الرومانية والتي كانت على وشك السقوط، ومن هنا اعتبر أوغسطين الفكرة المسيحية مثلا أعلى للدولة والحضارة، و أصدر كتابه مدينة الله يتناول فيه الكثير من المسائل منها السياسية ويتحدث عن الدولة، قائلا " إن الدولة لا تنشأ من عقد، ولا تنشأ كذلك عن خطايا الناس وإنما تنشأ عن الغرائز الموجودة في الطبيعة الإنسانية ولهذا فالدولة ضرورية، وليست شيئا عرضيا "[1] .والدولة التي يتصورها تستمد سلطتها من الله مباشرة ولا تكون دولة علمانية بل تكون دينية . إن الدولة من مهمتها تحقيق السعادة على الأرض وتحقيقها في الآخرة بالنسبة للمواطنين وهي غايتها الأصلية، وهنا تتحقق العلاقة بين الدولة والكنيسة، وذلك عندما تساعد الدولة الكنيسة، ويربط أوغسطين بين الدولة والكنيسة ارتباطا وثيقا وهذا بغية تحقيق الغاية المنشودة وهي السلام في الأرض ومن هنا انطلق القديس أوغسطين في معالجة المشاكل الاجتماعية الخطيرة التي كان مجتمعه يعانيها وذلك عن طريق الدفاع عن أفقر الطبقات وتقديم والمساعدة المادية لها .

ولقد" مارس أوغسطين الوظيفة الكنسية لمدة أربعين سنة " [2] .

ويتحدث أوغسطين عن الفقراء والأثرياء من منطلق المشاكل الخطيرة التي كانت غالبة على الحياة السياسية رغم اعتبارها اجتماعية بعيدا عن الجانب العرقي . في دفاع أوغسطين عن البؤساء في الأرياف بعث برسالة إلى شخص يدعى رومولوس، وقد كان من ملاك الأراضي بمنطقة هيبون، سير هذه الأراضي مجموعة من الممثلين له وصفوا بالظلم في حق المزارعين الذين يجبرون على دفع الكراء مرتين، مع العلم أنهم مطالبون بدفعها مرة واحدة، ويبدو أن المال المسلوب قد حوله بعض القيمين إلى صالحه، وهنا يسجل أوغسطين امتعاضه الشديد بشأن هذه العملية الاستلابية، مذكرا

1 عبد الرحمن بدوي فلسفة العصور الوسطى المرجع نفسه ، ص : 38 .
2 أوغسطين ، أعمال الملتقى الدولي الأول عنابة الجزائر من 1 إلى 7 أبريل 2001 المجلس الأعلى الإسلامي بمشاركة جامعة فرايبورغ سويسرا الجزء الأول ، ص: 117 .

بما يعانيها الفقراء من بؤس وظلم ويقول أوغسطين " هم يعانون اليوم، لكن على الغني الظالم أن يخشى غضب الله يوم الحساب حيث يجازي الله كل واحد بحسب أعماله "[1] .حاول أوغسطين بهذه المقاربة توضيح أن هذا الغني يخال أن سيئاته هينة وبسيطة، بل هي كبيرة وينتظر عقابا شديدا فلو تغلب على جشعه لسقى الأرض بدموعه لينال شفقة الله، ومن هنا يعبر أوغسطين عن القلق الذي كان يعتريه نتيجة تعرض الفقراء والبؤساء للاستغلال والاستلاب وتحويلهم إلى عبيد، وهذا الأمر بعيد عن الإنسانية والغاية التي وجد من أجلها الإنسان، كما أن تعقد لنظام الاجتماعي في ذلك الوقت له مايبرره، نتيجة العبودية والبؤس واضطر أوغسطين إلى محاربة الفساد لقد ورد في خطبة أوغسطين ،" أن موظفا أو عسكريا بهيبون قد كان مدمنا على أعمال الابتزاز، مما اضطر بعض ضحاياه إلى التسول والبؤس، وإفلاس بعض التجار الذين مارسوا التجارة البحرية، وبلغ السخط ببعض ضحاياه حتى اغتالوه "[2]. وهنا رفض أوغسطين هذه الوسيلة في العقاب لأن غايتها لا تتحقق، والاقتصاص للذات لا يجوز بل هو من مهمة المحاكم الرسمية وليس للأشخاص ، واعتبر أوغسطين أن قتلة هذا الموظف الفاسد من كبار المجرمين، وكان أوغسطين في سيرته محاولا الدفاع عن المستضعفين قدر المستطاع إلا أن العوائق المختلفة حالت دون أن يحقق غاياته، لا بل لم تخلوا مقاصده من الاهانة من قبل بعض الحكام . ظل أوغسطين يتألم لسماع بعض الأصوات التي ظلت تنادي بعجزه في الدفاع عن الضعفاء، رغم أنه حاول كثيرا لكنه لم يستطع، ولقد كان الفساد منتشرا في مجالات كثيرة وعلى رأسها الجبائي داخل الدولة، حيث كان الأغنياء على الدوام يلجئون إلى طرق غير منصفة في توزيع عبئ الضرائب وفي النهاية يسقطونها على كاهل الضعفاء، و في نفس الوقت يعفون أنفسهم منها، مما اضطر بالبعض إلى نقل ما يعتريهم من قلق إلى الكنيسة بغية التدخل ورفع الظلم والغبن عن الضعفاء وكان أوغسطين وبعض الأساقفة في كل مرة متأهبون

1 أوغسطين أعمال الملتقى الدولي ،المرجع نفسه، ص: 120 .
2 المرجع نفسه، ص: 122 .

للدفاع عن هؤلاء المستضعفين، ولكن اعترى الكنيسة ضعفا بعد ذلك مما أدى إلى تحرك الدولة وتدخلها . لقد كانت مهمة أوغسطين متمثلة في حماية المستضعفين، من بطش الأقوياء وخبثهم، فقد كان الأقوياء والأغنياء يطبقون القوانين الصادرة في صالحهم، دون مراعاة أدنى شروط الإنسانية، فحكام العامة كانوا في الواقع يؤدون وظائف إدارية ورأى هنا أوغسطين أنه قد كان من الواجب تعيين بمدينة هيبون مدافعا بالمعنى الأصلي والصحيح .

ودفاعا عن المستضعفين على أن يكون" منتخبا من طرف مواطنيه ومختارا من بين الأشخاص ذوي الأخلاق العالية "[1] .لقد أراد أوغسطين من خلال الخصائص التي أختارها للحاكم لمدينة هيبون محاربة الرشوة التي أثرت كثيرا على نفسيته ومازاده تأثرا هو أن الفساد دخل إلى الكنيسة ومن أحد الأساقفة .واصل أوغسطين نشر القيم الخلقية داخل مدينة هيبون وبالضبط ببلدة فوصولا وعين أسقفا شابا يدعى "**أنتونيوس** " وكان فقيرا وتكفلت الكنيسة بتربيته، وبدى على قدر كبير من الذكاء والتقوى، إلا أن الواقع لم يكن كما توقع أوغسطين، ظهر هذا الأسقف الشاب بقيم بعيدة عن تعاليم المسيحية منها الابتزاز ومساعدة تجار الفساد إضافة إلى التعسف في استعمال السلطة، مما يعني أن الفلسفة المسيحية في تعاليمها أرادت تنشئة إنسان متخلق يطرد من فضاءاته كل القيم الفاسدة، وهنا أدرك أوغسطين أن مدينة الله التي لطالما حلم بها أضحت حاملة لخطائين تضمهم الكنيسة الأرضية نتيجة الآفات الأخلاقية . أبدى أوغسطين امتعاضه لتنامي الفضائح داخل الكنيسة، وارتفاع ممتلكاتها أي زيادة في الثراء الذي أضحى مدعاة لحسد الفقراء، مما أثر على الدور الأساسي للكنيسة كما كان مع ماذكرناه سابقا فيما يتعلق بالأسقف أنتونيوس، ومن هنا لجأ أوغسطين إلى تحويل عائدات الكنيسة إلى اليتامى والأرامل، وظل أوغسطين يقول " إن المستضعفين يضعون ثقتهم في الكنيسة من أجل تحسين ظروفهم المعيشية من خلال أعمالها

1 أوغسطين ، أعمال الملتقى الدولي بعنابة، المرجع نفسه ، ص: 123 .

الخيرية وتدخلاتها لدى أثرياء القوم وعظمائهم " (2)[1] ولا يفت التنبيه إلى أن إمكانات الكنيسة ظلت محدودة دون ضمانها للمساعدة للجميع فقد أظهرت قصورا ومحدودية في ذلك .

إن تدخلات أوغسطين لتحسين ظروف الإنسان، وفق قيم المسيحية على قدر من الواقعية والرؤية السليمة حيث حارب العبودية ويرى فيها الوجه الأخر للسيطرة على الإنسان ومن هنا حاول القديس أوغسطين التوجه نحو عملية أخرى في التعامل مع العبيد، وكتب قائلا " من أراد عتق عبيده أن يفكر في مستقبلهم بكل جد مثل منحهم عملا مأجورا وأرضا يفلحونها وإلا وجدوا أنفسهم يعيشون حياة البؤس "[2]. يمكن اعتبار الغاية التي اهتدى إليها أوغسطين، هي رعاية الأثرياء لأتباعهم من عبيد، فلاحين، وأجراء، وغيرهم بمعنى أن يكونوا أكثرا سخاءا نحوهم، وكان هذا النظام الذي استأنس به أوغسطين مستوحى من الرومان قديما لكن من منظور مسيحي . مثل أوغسطين الأقوياء والأثرياء بالأشجار الكبيرة شبيه بأشجار الأرز بلبنان، التي تأوي إليها العصافير الكثيرة والمقصود بالعصافير هم المساكين المفترض حمايتهم من طرف الأثرياء هذا الموقف لم يكن فيه شيء من الثورية بالنسبة لأوغسطين ،بل كان قراءة للواقع آنذاك، والذي كان يتعارض مع بعض المسيحين المتحمسين ونذكر هنا مثالا عن القديسة" ميلاني" التي منحت بعض أملاكها إلى الكنيسة بثاغاست رغم اعتراض أوغسطين عن هذا التصرف واعتبره مباهاة لا أكثر فهل كان موقفه أكثر اعتدالا من موقف ميلاني ؟، فمدينة الله التي سعى إلى تحقيقها أوغسطين والتي أرادها الله بقيام الساعة ولكن ملئت الخطيئة قلوب البشر واتجهوا صوب الشر ورأى البعض أن هذه النظرة تحمل في ثناياها الكثير من التشاؤم و وعدم الوضوح .

1 أوغسطين ،أعمال الملتقى الدولي ،المرجع نفسه ، ص : 124 .
2 المرجع نفسه ،ص: 125 .

حيث قامت سيدة من عائلة أرستقراطية غنية من روما من عائلة فاليري الشهيرة كانت مالكة للأراضي بالغرب الروماني ألم بها حماس ديني فياض جعلها تتخلى عن كل أملاكها لتنصرف إلى إتباع تعاليم المسيحية . واصل أوغسطين نم شر القيم الأخلاقية للمسيحية رغم العوائق التي اعترضته ، وفي سنة 406هاجم الأعاجم الجرمانيين على إمبراطورية الغرب غير أن إفريقيا قد كانت في منأى عن هذه الهجمات وبمعنى أخر عانت بشكل أخر وهو تفسخ السلطة السياسية داخلها ، وكتب أوغسطين رسالة إلى أليبيوس(aliposse)"[1]متوسلا إليه أن يضع حدا للعصابات الإجرامية وان يتدخل لدى الحكومة الإمبراطورية

وامتعاض أوغسطين كان انطلاقا فكرة تجارة العبيد التي انتهجها بعض الأشرار، رغم صراحة القانون الذي كان يعاقب مثل هذه الأفعال بالإعدام، وحاولت بعض الجماعات المسيحية تحرير بعض العبيد فتمكنت من تحرير البعض واستعصى عليها الباقي وهنا تدخلت الخطيئة مرة ثاني حيث ظل البعض يحرر العبيد بالمال مع العلم أن هؤلاء كانوا مواطنين رومانيين لهم في الحماية من طرف الدولة الرومانية . إن الغاية لم تخلوا من الوسائل غير الأخلاقية، في هذه الحالة مما جعل الدولة تتفسخ وتغيب ويحل محلها الفوضى والأعمال الإجرامية، "واستمر أوغسطين في محاربة الأفعال غير الأخلاقية لكنه لم يكن بمقدوره تحقيق ذلك بل كان شاهدا على أعمال شنيعة وأكثر قساوة وهمجية"[2] . إن الكفاح من أجل الفقراء لم يتوقف في فكر أوغسطين بل استمر إلى أخر يوم من حياته من اجل غاية العدالة فعمله الكنسي لم ينقطع ودعا كل الأساقفة إلى البقاء في كنائسهم وحماية المؤمنين.

1 أسقف ثاغاست .
2 أوغسطين ، أعمال الملتقى الدولي المرجع نفسه ،ص: 127 .

وبالنسبة لأوغسطين فالراعي الأمين هو من يضحي بنفسه في سبيل مواشيه وعندما كتب أوغسطين رسالته البطولية قد تقدم في السن و أدرك أن مدينة الله ليست من هذا العالم أبدا .ليس هو هذا العالم الذي أراده ولطالما حلم به أوغسطين، بل عالم تتنافس فيه قوى الشر ورغم ذلك قد واصل أوغسطين كفاحه، فقد أبان عن قوة كبيرة في الدفاع عن الفقراء والمستضعفين، ضد المظالم الاجتماعية ولم تكن له القدرة في وضع حد لكافة المظالم ولكنه تمكن من التقليل منها وتوجيهها على الأقل، فالغاية كانت واضحة الدفاع يوميا عن الفقراء والتخفيف من مشاكلهم وبؤسهم ورأى أوغسطين أن استخدام الوسائل المختلفة التي يتوجب ألا تخلو من الأخلاقية، من شأن ذلك أن يحقق ملامح مدينة الله رغم أنها بدت صعبة التحقق، وكان لأوغسطين دور كبير في محاربة الفساد وكان له الأثر البليغ سواء بالنسبة لمعاصريه أو الذين أتو من بعده من خلال الدرس العظيم الذين استفاد منه الكل . لقد كان أوغسطين مفتونا بالمدن عبر العالم طوال حياته، كمدينة روما، قرطاجة، ميلانو، وبعد استقراره بايطاليا عاد إلى إفريقيا وكان الهاجس الأكبر الذي راود الكثيرين في أن يكون أوغسطين قد أصبح أكثر تحضرا ولا يرضى بالحياة البسيطة التي امتازت بها إفريقيا، إلا أن رد أوغسطين صريحا واضحا حيث كتب يقول " أنا إفريقي أكتب لأفارقة مادام كلنا يعيش في إفريقيا "[1]. ومن هنا أراد أوغسطين العودة إلى موطنه الأصلي من أجل العيش في فلك حياة فلسفية، هادئة ملؤها العبادة والدراسة، فعودته من ميلانو إلى ثاغاست أظهر تغيرا كبيرا لا بل عميقا ،وكأنه انتقل من المدينة الأرضية إلى مدينة الله . أثرت روما في نفسية أوغسطين وبدأ بمقارنتها بمدن أخرى وذلك في محاولة التميز بين مدينة الله و المدينة الأرضية "[2] . ويذكر أوغسطين أن حب الوطن يعتبر في الآداب الرومانية وثقافتها من أكبر الفضائل بعد حب الوالدين، ومن هنا أراد أوغسطين تمرير رسالته للأفارقة مضمونها احترام مدنهم، ولقدر حذر

1 أوغسطين ، أعمال الملتقى الدولي ، المرجع نفسه ،ص: 127 .
2 - أعمال الملتقى الدولي الفيلسوف الجزائري القديس أوغسطين الجزء الثاني، 2003، ص 75 .

أوغسطين، من الانشغال بالحياة العامة الباحثة عن السلطان ولشرف بل يتوجب كبح جماح شهواتهم الدنيوية، لتكون تطلعاتهم السياسية ناجحة ومشروعة، وبدأ أوغسطين في إرسال كتبه التي صاغ فيها خصائص مدينة الله، مدافعا فيها عن الأساقفة، وانتقادات فيما يتعلق بعدم معاقبة المجرمين الذي يرى فيها بعدا خطيرا عن الدين . ويركز أوغسطين في مدينة الله، على ماتضمنته كتبه من تعاليم التي من شأنها أن تخفف الأعباء على الناس، وبدأت ملامح مدينة الله في الظهور بعد الطلب الذي وجه لأوغسطين من أجل الفصل في بعض المسائل المتعلقة بمعاقبة المجرمين المحكوم عليهم وأعرب أوغسطين عن ارتياحه في أن" الحاكم بدأ يقترب من مدينة الله ويحترق إليها شوقا مادام ملهما بحب حياة الخلود والحقيقة وفعل الخير"[1] وبدت كتب أوغسطين تلقى صدى لمختلف الحكام الذين أظهروا قابلية للتعامل مع خصال أوغسطينية حبا في الخير و رأفة بالمجرمين، و أضحى الحكم قريبا من المدينة السماوية . إن تركيز أوغسطين على المواطن الذي يتوجب أن يكون أساسا مهما في معادلة المدينة جعل من الفضيلة مقياسا للحكم وقربا من المدينة السماوية، وهنا يكون الاشتراك بين المدينتين الأرضية والسماوية على مستوى الفضائل، ويذكر أوغسطين في مدينة الله أن عظمة بني إسرائيل قد تمثلت في إقرار قادتهم أن المنافع السياسية مثل الحرية ،السعادة، الناتجة عنها تحمل قيمتها في ذاتها ولكن يتوجب أن تفهم هذه المنافع بشكل صحيح ولا تصوب نحو الخطأ، وإذا لم يحصل ذلك ظلت هذه المنافع زائفة وبهذا المعنى يمكن فهم أورشليم الأرضية على أنها الصورة السلبية أما السماوية فهي الحقيقية .

ويرى أوغسطين أن مدينة أورشليم تعتبر نموذجا يحتذى به من قبل جميع مدن العالم وعلى رأسهم روما، وكان على المدن أن تستخلص العبر من تاريخ الصورة السلبية، أما المدينة السماوية فهي الحقيقية. بني إسرائيل وهنا يذكر أوغسطين" أن مملكة بني إسرائيل، رغم صغرها فكانت

1 أعمال الملتقى الدولي الفيلسوف الجزائري القديس أوغسطين الجزء الثاني، المرجع نفسه ، ص : 82 .

أسعد من روما "[1] . ومن هنا تمكن بنوا إسرائيل من إقامة مدينة مكتملة البنيان على هذه الأرض، اعتمادا على تعاليم الكتاب المقدس وذلك بإقامة جسر بين المدينة الحقيقية وغير الحقيقية، وهكذا اتضحت معالم الفكر السياسي لدى أوغسطين بمبدأ خاص وهو أن ما يصدق على المدن قد يصدق على الأشخاص، وهذا ما ارتبط بحياة أوغسطين نفسه فقد كان مضطرا إلى التعامل مع السلطات السياسية بغية تحسين الوضع المادي والاجتماعي لشعبه ،وهنا نقرأ الخصال الإنسانية التي تمتع بها القديس أوغسطين .تمكن أوغسطين من تغيير الكثير من الظروف الطبيعة للمواطن وتدخل باسمه، منها مظالم متعلقة بالأحكام بالإعدام و أخرى مرتبطة بالرق والكثير من الحقوق المدنية للناس، وهذا انطلاقا مما تمتع به القديس أوغسطين من معرفة بالقوانين الرومانية، ما يوضح رغبته في تحقيق العدالة الاجتماعية، وتخوف كذلك من شيء مهم وهو فهم الناس له أنه مهتم بالحياة الدنيوية أكثر ومن منظور المدينة الأرضية وهي غاية في حد ذاتها، بينما أراد أوغسطين من خلال ذلك أن يوضح أن للمدينة الأرضية دور ، دون تثبيط العزائم في البحث عن العيش الكريم للمواطن، كما أراد من وراء ذلك اعادة قراءة لبعض القيم والمؤسسات داخل الدولة ."إن طبيعة العلاقة بين المدينة السماوية والأرضية قد عرفها أفلاطون في الفلسفة اليونانية والفلاسفة الرومان"[2] حيث تصور اليونان والرومان مدنا سماوية قامت على قيم خاصة بهم، ولقد تطلع أوغسطين إلى أورشليم السماوية وفي ذلك مقاربة بالمدينة السماوية التي تصورها الخطيب الروماني شيشرون في كتابه " الجمهورية" ومضمون ذلك هو المكان الذي يجازي الله فيه من عرفوا كيف يضمنون الأمن لموطنهم الأرضي، فكان لزاما على الساسة أن يؤدوا وظائفهم المدنية انطلاقا من حب الفضيلة كغاية في حد ذاتها، ورغم ذلك فالمدينة السماوية بقية بعيدة التحقق فلا روما كما تصورها شيشرون ولا كلاما نكتاريوس اقتربت من المدينة السماوية وهنا نستنتج أن هناك غاية منشودة من

1 المرجع نفسه ،ص:84 .
2 أوغسطين اعمال الملتقى الدولي بعنابة الجزء الثاني المرجع نفسه ، ص: 88 .

قبل الحاكم تمثلت في تطهير ذاته بوسيلة الإيمان والرجاء والحب مما يؤدي إلى تنظيم الحياة الاجتماعية داخل المدينة الأرضية، ولا تستهدف إلا غاية واحدة وهي معرفة الله وحبه، وهذا الموقف اتخذه أوغسطين من أجل تصحيح فكرة شيشرون ، انطلاقا من منطق أفلاطوني مع العلم أن الديانة المسيحية وحدها هي القادرة على تحقيق ما وجده أفلوطين لحمل المدينة الأرضية في سياق المدينة السماوية والمسيح يكون قادرا على تبليغ فضيلة التواضع.وبناءا على ماتقدم يتبين أن القديس أوغسطين، قد صاغ المفاهيم الرئيسية التي من الواجب إتباعها من طرف الحاكم، كالأمن العمومي، السلم المدني، والعدل، وتمنى أوغسطين أن يكون المؤمنون الأفارقة رغم التفاوت والمظالم قادرين على التمتع بالسلم وسعادة أكبر كالأنبياء، وهذا من أجل غاية تحقيق مدينة الله . ويبقى أوغسطين قمة الفلسفة المسيحية في عصر أباء الكنيسة .

2 / القديس توما الاكويني (tomas el equwinie)1225 1274

إذا كان القديس أوغسطين يعتبر قمة الفلسفة المسيحية في عصر أ باء الكنيسة، فالقديس توما الاكويني يعتبر قمة الفلسفة المدرسية في العصر الوسيط المتأخر و تمكن من صياغة نظرياته اعتمادا على الأفكار الأرسطية وذلك في عرضه لحقائق الديانة المسيحية[1]، ولقد عبر القديس توما الاكويني عن حقائق الدين المسيحي مستعملا ثقافة العصر، ولقد كان توما الاكويني معلما للعقيدة المسيحية انطلاقا من العهد الذي عايشه، حيث لم يعد الأمر متعلقا بتعاليم دخيلة على العقل وإنما عهدها انقضى، وكان هدف توما الاكويني هو" جعل فلسفة أرسطو وحدها هي

1 حسن حنفي ، نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، المرجع نفسه ، ص: 210 .

الفلسفة المسيحية، ويهاجم كل من يتعارض معها"[1]. ويختلف توما الاكويني مع القديس أوغسطين وهو في ذات الوقت يمثل التراث اللاهوتي المسيحي، بل أكثر من ذلك تصدى لكل فكرة ذات سطوة عظيمة على الفكر المسيحي لأنها اختلفت مع المواقف الأساسية لأرسطو، ومن هنا اقتنع توما الاكويني بصحة فلسفة أرسطو، وأكثر من ذلك قدمه إلى أهل عصره مسيحيا أو يكاد، ومن هنا أراد توما الاكويني استبدال تراث بتراث أخر أي استبدال التراث الأرسطي بالتراث اللاهوتي المسيحي الأوغسطيني المألوف فكانت وجهة توما الاكويني ليس الفلسفة الأوغسطينية بل الأرسطية ،ومن هنا يمكن اعتباره أرسطيا، وفي ذات الوقت" أرسطية الاكويني ليست نقية تماما وإنما أرسطية أدخل عليها ببراعة مفاهيم مسيحية صاغها بأحكام مخالفة لأوغسطين "[2].

إن النظر في الإنسان من حيث هو مريد مختار موضوع الأخلاق، حيث لا تتناول الأخلاق سوى الأفعال الصادرة عن الإنسان من منطلق أن الغاية مبدأ الأفعال الإنسانية، ويلزم عن ذلك تعيين غاية الحياة، فالغاية القصوى تملأ شهوة الإنسان وهنا تحصل السعادة أي استفاء الإنسان لكماله، وهنا تأثر توما الاكويني بفكرة أرسطو التي كتب يقول فيها " إن الإنسان لا يسعى إلى السعادة الكاملة بل إلى السعادة التي تلائم حاله"[3]. إن الحياة العاجلة فيها سعادة ميسورة تقوم على معرفة الله ومحبته وثانيا مزاولة الفضائل وأخيرا بصحة الجسم وبالخيرات الخارجية من مال وكرامة تستعمل كوسائل للحياة الفاضلة، ومن فالإرادة العامة تميل إلى الخير وإذا كان الفعل موافقا لحكم العقل كان خيرا وإذا كان منافيا له كان شريرا، وفي الفعل الإنساني هناك ثلاثة أوجه : الأول الموضوع إن كان موافقا للعقل أو مخالفا له، والثاني الظروف من حيث هي أعراض للفعل والثالث الغاية التي يتوقف عليها ومن هنا لا يكون الفعل خيرا إلا إذا اجتمعت فيه أوجه

1 زينب محمود الخضيري ، ابن سينا وتلاميذه اللاتين ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ؛ ص: 86

2 المرجع نفسه ، ص :87

3 حسن حنفي ،نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، المرجع نفسه ،ص: 210 .

الخير فكل نقص فهوشر كما انه لا يمكن أن تقوم المبادئ الأساسية للأخلاق دون هيئة تنظمها فالدولة هيئة موحدة بتنظيم أفرادها مثلها مثل الجيش والجماعات الإنسانية تتشكل على أساس العقل والإرادة، ولقد عرف الخطيب الروماني شيشرون الجماعة"كثرة منظمة خاضعة لقانون عادل يرتضيه الفرد ابتغاء منفعة مشتركة"[1]، مع العلم أن أوغسطين قد نقد هذا التعريف لأنه لم يكن يرى أن العدالة الكاملة، يمكن أن توجد خارج المسيحية وعرف الجماعة بأنها " اتحاد أفراد عاقلين للاستمتاع معا بما يحبون "[2] ما يمكن استخلاصه من مقولة أوغسطين أن الجماعة بها أفراد قد يحبون المال، التجارة، اللذة والحرب، بينما القديس توما الاكويني يعتقد بالقانون الطبيعي ويجعله الأساس القريب للاجتماع .

من المهام الرئيسية للدولة تأمين الجماعة من الخطر الداخلي والخارجي حيث تقوم الدولة بإقامة العدالة بين الأفراد فلا قيمة للقانون الوضعي إلا إذا صدر طبقا للقانون الطبيعي وطبقا للقانون الأزلي ، ولا يحق لإنسان أن يشرع لإنسان أخر إلا باسم الله، ليتم توجيهه وفق العقل والطبيعة وإذا انعدم هذا الشرط لم يعد القانون الوضعي قانونا بل كان فساد القانون . كما أن التشريع يستتبع القضاء ويظل القانون في النهاية غاية القاضي على أساس الجزاء وان خلى منه أصبح لغوا، ويبقى العقاب تكفير عن الذنب وتأديبا للنفس ومن عوامل السلام في المجتمع وعقوبة المجتمع مشروعة ولها ما يبررها فالفرد الجاني الذي يخل بنظام العقل وينزل بإنسانيته إلى مستوى حيواني فيستحق أن يقتل كحيوان .

إن جماعة البشر معرضة في جميع الأحوال إلى الخطر الخارجي فيكون من الطبيعي الاستعداد للحرب على أن تكون حربا عادلة وهادفة ، كما حددها أوغسطين سابقا وفق ثلاثة

1 زينب محمود الخضيري ، ابن سينا وتلاميذه اللاتين ، المرجع نفسه ، ص: 86 .
2 يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، 1979 ص : 195 .

شروط : أولا أن تعلنها السلطة الشرعية وتباشرها بنفسها وثانيا إعلانها يكون وفق سبب عادل بمعنى لدفع الظلم، وثالثا أن يمضى فيها بنية خالصة فيها إرغام للعدو على قبول السلم، لا إلى الإيذاء والتسلط والانتقام ، ويتساءل توما الاكويني عن الخداع أثناء الحرب، ويرى أن الكذب غير جائز حتى ولو مع الأعداء مع العلم أن إخفاء التدابير فيبقى جائزا لضرورة المضي في الحرب لغاية واحدة وهي إحراز النصر، كما أن توزيع العمل ضروري داخل الدولة وذلك لخيرها، فكل فرد مستعد للتضحية بنفسه في سبيل الحق خاصة رجال الدين فمهمتهم" تكمن في استخدام الأسلحة الروحية من صلاة ووعظ و تشجيع إقامة شعائر الدين "[1]، ومن هنا اتجه توما الاكويني إلى تأسيس لاهوت مسيحي شامل على أن يكون العقل رفيقا للوحي والقانون الطبيعي مدمجا بالأخلاق الكاثوليكية، ومن هنا ارتبطت نظرية توما الاكويني بالحضارة المسيحية ارتباطا وثيقا بتراتبية أرسطية للغايات، من أجل مثل أعلى الهي . لقد تناول توما الاكويني مشكلات منفصلة من وجهة نظر مجموعة من المبادئ الأخلاقية الأساسية انطلاقا من" المجتمع المدني المسيحي، الذي صار مؤلفا من مجموعات وطبقات اجتماعية مختلفة في إطار الكنيسة وخارجها يوحدها حب الله تحقيقا للخلاص "[2] وسار توما الاكويني على خطى أرسطو في اشتقاق الدولة من الطبيعة الإنسانية، بغية استخلاص تبريرا للمجتمع المدني .

وأضحت الدولة تعبيرا عن الطبيعة الإنسانية وحاول توما الاكويني تسوية المفاهيم الكلاسيكية والمفاهيم المسيحية تحقيقا للمجتمع السياسي ووافق أرسطو على أن المدينة هي أعلى و أشمل كرابطة أساس تكوينها هو العقل .ما يمكن استخلاصه من الفقرات السابقة أن توما

1 يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ،المرجع نفسه ، ص : 198 .
2 المرجع نفسه، ص : 198.

الاكويني قد أيد فعلا أرسطو فيما يتعلق في حاجة الفرد إلى تبادل المنافع والحاجيات ضمن المجتمع المدني حيث تبقى الدولة هيئة موحدة ساعية إلى تحقيق العدالة على يد حكومة عادلة على أساس مجموعة من المقاييس ، على رأسها محافظة الأفراد على حياتهم باستعمال العقل والبحث في القواعد التي من شأنها أن تضع الطبقات في فضاء التعايش والسعادة الطبيعية حيث تكون مهمة الحاكم والحكومة في وضع القوانين وتنظيم العلاقات الإنسانية بين أفراد الشعب ،" فالحاكم سلطته محدودة لا يسمح له القيام بأعمال تتنافى والقانون ومهمته توفير الأمن والطمأنينة والنظام وتحقيق الوحدة وزيادة أواصر المحبة والإخاء بين الناس "[1] . إن الحكومة المفضلة عند توما الاكويني هي حكومة الفرد أو الحكم الارستقراطي بعيدا عن الديمقراطية الفوضوية، وتكون" العدالة سائدة في المجتمع عندما نضع الحدود الفاصلة بين سلطة الكنيسة و سلطة الدولة "[2]. ما يمكن استخلاصه من فكرة توما الاكويني أن الدولة اجتماع سياسي طبيعي لها قوانينه ومن ثمة وظائف أساسية تتمثل في : أربع وظائف أساسية أولها تحقيق الأمن والطمأنينة وحماية الأفراد من المخاطر والجوع، وثانيها تحقيق العدالة الاجتماعية بواسطة التشريعات، وثالثها تحقيق الأخلاق، للمجتمع البشري حسب الكنيسة ، ورابعا حماية الدولة للدين والمحافظة على وقد ركز توما الاكويني على الحرب ويرى أن الدولة عرضة للخطر الخارجي لذلك فهي في استعداد دائم للحرب وهي من إحدى وظائفها الأساسية في تحقيق الأمن. إن السياسة حسب توما الاكويني تقوم على أساس خدمة الأهداف الأخلاقية العامة، فضلا على أن الحياة الاجتماعية والسياسية هي أمر جوهري للنشاط الإنساني بحد ذاته، وهذا ما سعى إليه أرسطو من خلال المجتمع المدني الذي يضم الجماعة السياسية والمسيحية الأوسع، فالبشر يعيشون معا وكل فرد يناشد مصلحته الخاصة وهنا يتفرقون ما لم تكن هناك نافذة ترعى كل ما يتعلق بالمصلحة العامة، ولقد وهب الله الإنسان العقل لكي يوجه

1 يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ،المرجع نفسه ، ص : 200 .
2 المرجع نفسه ، ص: 201 .

اهتماماته وأفعاله وبالعقل يتمكن الإنسان من العيش مع الآخرين في تجمع سياسي، لقد نقلت التومائية السياسة بعيدا عن المفهوم الاوغسطيني الأحادي وباتت السياسة جزءا من الطبيعة البشرية وجزءا من تدبير أمور الخلق ،" فالمجتمع المدني عند أوغسطين أضحى مجتمعا عرفيا مرتبط بالكنيسة أما توما الاكويني فيرى أن المجتمع المدني نظام سياسي لجماعة مسيحية "[1] يمكن اعتبار القديس توما الاكويني لاهوتيا، وقربه من أرسطو لم يكن وثيقا فالدولة بحسب فهمه يمكن أن تكون أكثر من مجرد علاج جزئي للخطيئة كما هو الحال بالنسبة للقديس أوغسطين، ومن هنا حاول توما الاكويني تحرير العقل من تقييدات الإيمان وكان اتفاقه مع أوغسطين متمثلا في أن هناك كنيسة واحدة، رغم الاختلافات بين البشر وتنوع ميادين النشاط الإنساني فالمجتمع المدني يعتبر جزء من الكنيسة أساسا، رغم أن العلاقة بين الكنيسة والدولة في العصور الوسطى كانت متقلبة دوما ويبقى على المواطن واجب احترام وطاعة أولي الأمر مادام أن الغاية المنشودة هي العدالة .فطاعة القانون العادل أضحت من المطالب التي طالب بها القديس توما الاكويني في عصره، وبالمقابل فالقانون الجائر بالإمكان عدم طاعته، خاصة إذا لم يتوافق مع القانون الإلهي و القانون الطبيعي . إن السلطة لا تعتبر شرعية إلا إذا كانت عادلة، كما أن الشعب هو أساس السيادة في تعيين أو عزل الحاكم، كما أن قتل الطاغية أو الغاصب غير جائز للفرد من تلقاء نفسه بل يكون من قبل الشعب بأكمله أو يكون الحال على مستوى مجلس مشروع له صفة التدخل أي مشروعية استخدام هذا الحق" كما حدث في روما إذ قضى مجلس الشيوخ بإعدام أحد الأباطرة ونقض قوانينه الباطلة "[2] .ما يمكن استخلاصه من الفقرة السابقة هو أن حق اختيار الملك يعود إلى الشعب، وإذا كان اختيار الحاكم يرجع لسلطة عليا فيجب رفع أمره إليها تماما كما فعل

1 جون اهرنبرغ ، المجتمع المدني ' التاريخ النقدي للفكرة ،المرجع نفسه ، ص : 104 .
2 نور الدين حاروش ، تاريخ الفكر السياسي ، المرجع نفسه ،ص: 145 .

"اليهود حين شكوا الملك أرخيلاوس إلى القيصر أوغسطس فأنصفهم"[1]، وإذا عدم الشعب كل وسيلة فليتوجه إلى الله شاكيا فيغير قلب الملك أو يذله أو يسقطه فالله لا يسمح بالخطيئة ولا الطغيان بل عقابا لكل حاكم ظالم . يرى توما الاكويني أنه من الواجب على الفرد المحافظة على حياته، وتهيئة وتربية أبنائه لمستقبل أفضل وهذا من أصول التدبير الاجتماعي فالفرد له الحق في امتلاك خيرات مثمرة زيادة في الخير العام كل هذا من اجل أن يحقق الإنسان غاياته، في إطار الملكية المشتركة كما أن الإقلاع عن الخيرات الدنيوية، من شأن ذلك أن يكون وسيلة للفضيلة ويمكن أن تجتمع الخيرات مع الفضيلة رغم أن الإنجيل ينصح بالفقر الإرادي لأن الخيرات تؤدي إلى توليد بعض القيم الإنسانية المرفوضة اجتماعيا ودينيا، وعلى رأسها الطمع، البخل، الحسد، الكبرياء والتعلق بالدنيا وليس الشر في الملكية بل في الاستئثار بها وسوء التصرف فيها .إن مواقف القديس توما الاكويني في مجملها تبين أنه قد كان معارضا لمواقف أوغسطين انطلاقا من نظرة أخرى إلى العقل الإنساني أدت إلى الفصل بين الفلسفة واللاهوت وهنا لاحظنا أنه قد أعاد للفلسفة استقلالها بمبادئها ومناهجها وبدت فلسفته خالصة لذاتها في الشروح على أرسطو، رغم أن البعض قد ثار على أفكاره خاصة الذين عاصروه وارتبط الأمر بتحديه للسلف خاصة القديس أوغسطين، ووقفت السلطة الكنسية العليا موقفا أخر كان الأفضل حيث أيد البابوات تعاليم القديس توما الاكويني وفي أول مارس من سنة 1318 أعلن البابا يوحنا الثاني والعشرون أن مذهبه معجزة من المعجزات حيث أفاض على الكنيسة بنوره .لقد وجد الكثير ممن عاصر توما الاكويني أنه له أسلحة فلسفية وقد حاربوا بها ، ولم يجدوا ذلك عند السلف الذي كان أفلاطونيا، الوجود والمعرفة، وظلت التوماوية فلسفة تقيم الحجة على سائر الفلسفات . إن السلطة السياسية في العصور الوسطى كانت مفتتة وموزعة، بينما تجمعت فيما بعد في يد الملك وتلاشت الهيمنة

1 جون اهرنبرغ ، التاريخ النقدي للفكرة ،المرجع نفسه ، ص: 106 – 107 .

الكنسية بالتدريج وصارت السيادة البابوية ميزة لكنيسة تحولت مهمتها من تنظيم العالم المسيحي برمته إلى مجرد شريك صغير للدولة، وذلك قبل عصر النهضة الذي يعتبره كل مؤرخ وفيلسوف عادة " يقظة بعد سبات طويل " وثورة على أرسطو والكنيسة، التي أدى ظهورها كنظام مميز مستقل عن الدولة أخطر حدث في تاريخ أوروبا الغربية سواء من ناحية سياسية أو من ناحية الفكر السياسي، كما أن المسيحيين قد خضعوا لنوع من الالتزام الثنائي الأول فيه التزام مع القيصر والثاني واجبه نحو الله وظهور المفكرين المسيحيين الذين حملوا مشعل الديانة المسيحية وحاولوا توسيعها منهم القديس أوغسطين والذي لا حظنا في الفقرات السابقة أنه عاصر اللا استقرار السياسي.

هذا بالإضافة إلى الصراع بين الكنيسة والدولة الإمبراطورية، وعرفنا طبيعة شخصية القديس أوغسطين الميالة إلى محاربة العنف واستعمال القوة لحمل الناس على اتباع المسيحية .إلى جانب القديس توما الاكويني الذي تأثر بالأحداث التي جرت في المدة الزمنية الفاصلة بين القرن الخامس الميلادي والقرن الثالث عشر، كما انه لم يعتمد على أفكار القديس أوغسطين لا من ناحية التأييد او من ناحية منهجية وكان تأثره بابن رشد في بعض أفكاره لكن تأثره العظيم كان للفيلسوف اليوناني أرسطو ولا حظنا انه قد رفع من شأن العلوم السياسية والدليل هو "قرار قادة الكنيسة الكاثوليكية سنة 1879 باعتبار فلسفته الميثاق الرسمي للكنيسة الكاثوليكية "[1] . ومن هنا ساهم توما الاكويني في تطوير الفكر والسياسة داخل دولة تستطيع تحقيق العدالة الاجتماعية والسعادة البشرية كما أن نظريته جاءت معتدلة من اجل سعادة الانسان تريد تعايشا بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية .

1 يوسف كرم تاريخ الفلسفة الاوروبية في العصر الوسيط ، المرجع نفسه ، ص : 202 .

ان النظرة العامة إلى فلسفة العصور الوسطى تظهر أن هناك من قام بغرس اعتقاد في نفوس الناس وبالذات في القرن الخامس عشر، "أنهم قد قضوا على الماضي واستأنفوا ما انتهت إليه الفلسفة اليونانية وقضى عليه فلاسفة العصور الوسطى، فهذه النظرة توضح أن العصور الوسطى قد كانت عصور ظلام وفترة ركود توقف فيها الفكر الإنساني توقفا تاما "[1]، ورأى الكثيرون أنه كانت هناك هوة غير معبورة بين الفكر وما خلفه اليونانيون في القرون الثلاثة الأولى للمسيحية، وبين الفكر الذي بدأ به العصر الحديث في القرنين الخامس والسادس عشر .فهذه النظرة تقسم العصور إلى ثلاثة أقسام الأولى العصور القديمة، وثانيها العصور الوسطى، العصور الحديثة وهي الصورة الإجمالية للتاريخ وفي هذا الصدد يقول الفيلسوف شبنجلر " صورة أعمت المؤرخين وجعلت الفكرة إلي لدينا عن تطور الحضارة وتطور التاريخ العام فكرة مشوهة خاطئة كل الخطأ "[2] أن الحقيقة الدينية تتفق في كل أجزائها مع يقضي به العقل، وبحلول القرن الثالث عشر حتى بدأ ميدان العقل في التبلور ليتميز عن ميدان الإيمان، هذا التمييز سمح للفلاسفة بل للكبار منهم، وهم اللاهوتيين بالتميز بين ما للعقل وما للنقل، وكان لهذا التيار أثر ا قويا لا سيما عند القديس " بوناقنتورا" والقديس توما الاكويني وصولا إلى القديس " دنس سكوت " فنجد مثلا أن توما الاكويني أبعد من ميدان البرهان العقلي عددا وافرا من العقائد الدينية والتي ظن أسلافه انه من الممكن إثباتها بطريق العقل مثل التثليث والتجسد والخلاص .وقال انه لا يمكن أن نبرهن عليها بالعقل، ولقد رسم فلاسفة عصر النهضة الأوربية صورة التحجر العقلي للعصور الوسطى بل هناك تحرر عقلي في تلك الفترة .

1يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الأروبية ،المرجع نفسه ، ص : 203 .
2 عبد الرحمن بدوي ، فلسفة العصور الوسطى ، المرجع نفسه ،ص : 190 .

وبالتالي التفكير الأوغسطيني لم يقدم لنا فلسفة إيمانية لا تدع للعقل أي دور في صميم الاعتقاد الديني بل قدم لنا محاولة فلسفية أصيلة من أجل تعقل الإيمان المسيحي "[1] .والواقع أن القرن الخامس عشر وهو عصر النهضة الأوربية لم يأت بشيء جديد ومفاجئ بل كانت الأفكار التي ظهرت فيه استمرارا للعصور الوسطى ولمختلف الأطروحات التي تطرق إليها الفلاسفة القداس، وعليه للعصور الوسطى دور في إنماء الفكر الفلسفي وتطويره أخلاقيا وسياسيا حيث يبدأ الفكر من العقيدة الدينية ثم يتحرر العقل على صورة فلسفة ثم على هيئة علم تجريبي ليصبح عقلا عمليا فالعصور القديمة قد انتهت بالفيثاغورية المحدثة والأفلاطونية المحدثة لتمر فترة طويلة من القرن الثالث الميلادي إلى غاية العاشر الميلادي، وولدت حضارة جديدة وهي روح الحضارة الأوربية كما يقول شبنجلر، فالعمل الذي قام به روجر بيكون مرتبط بالحركة العلمية التي شارك فيها فرنسيس بيكون وجليليو وديكارت وباسكال ونيوتن، وهكذا فالعصور الوسطى لم تكن في الواقع إلا فلسفة مهمة في تاريخ الفلسفة من اجل حرية العقل في التفكير والبحث عن الحقيقة وتحقيق الوسائل المؤدية إلى تقدم الإنسانية .ويبقى القديس أوغسطين ابرز فلاسفة السياسة في العصور الوسطى حيث قام بفحص الحاضرة المدنية ونتج عن ذلك تأثير على مفكري الغرب الذين حاولوا إثبات أن المسيحية تستطيع التحكم مباشرة بالسياسة كما أن "أوغسطين رفض إعطاء الإمبراطور كل شيء فلا تستطيع الكنيسة المطالبة أن تكون لها بكليتها، أن الاستغلال الذي تطالب به الكنيسة لا بد أن يكون متبادلا "[2]. كما أن القديس توما الاكويني قد أكد على أن أفضل السياسات هي المتراتبة على الشكل التالي: الملكية لأن فردا واحدا يحكمها، الارستقراطية نظرا لأن عدة

1 صايم عبد الحكيم ،هواجس فلسفية في التراث والفكر المعاصر، مؤسسة كنوز الحكمة الطبعة الأولى، الأبيار الجزائر 2011 ص :51

2 جان توشار ، تاريخ الفكر السياسي ، المرجع نفسه ،ص : 104 .

أشخاص يمارسون السلطة بها بسبب فضيلتهم والديمقراطية أخيرا أي سلطة الشعب ،لأن الرؤساءفيها يمكن ان يكونوا من صفوف الشعب وان للشعب ان يختار الرؤساء "[1] . ومن هنا تكون نظرة توما الاكويني بعيدة كل البعد عن ان تكون ملكية مطلقة من الحق الالهي .لقد تهاوت القرون الوسطى خلال القرنين الرابع والخامس عشر حيث كان العالم الغربي على موعد مع تحولات كبيرة منها أزمات اقتصادية، مما أدى إلى الجمود المادي وخراب طبقات شعبية كبيرة وظهور الأمراض التي أفتكت بالعديد من البشر ألم يقتل الثلث منهم سنة 1348 في فرنسا وانجلترا مما أدى إلى اضطرابات سياسية، وإيديولوجية إلى جانب فضيحة الكنيسة فيما يتعلق بانقساماتها وتمزقها وبذخها وقربت النهضة وأخذت الحركة الإنسانية المستجدة تضع أسس الفردانية الحديثة وتشكلت الحياة السياسية والفكرية في ايطاليا الشمالية، واضحي دور الكنيسة اقل حضورا وانسجاما بالنظر إلى المراحل السابقة أن الإنسانيين في أوائل القرن الرابع عشر ظلوا غير قلقين من تلك المخاوف التقليدية الخاصة بالحفاظ على الحرية رغم المخاطر التي كانت تهدد خاصة مدينة فلورنسا آنذاك، كما نتج ابتزاز سياسي من خلال توظيف المرتزقة وبدأ الشاعر الايطالي فرانسيسكو بترارك 1304 1374 يشتكي قائلا" إن جيوشنا ملئية باللصوص والنهابين الذين يفترسون حلفاءهم أكثر من أعدائهم وهم إلى الهروب أسرع اقل شجاعة حربية من التخنث وفي ذات الوقت الذين يحبون اسم الحرب يكرهون الحرب نفسها لأن همهم الوحيد هو الحصول على الراتب"[2] .اقترح الإنسانيون في أوائل القرن الرابع عشر على أن يكون المواطنين مسلحين للدفاع عن أنفسهم وهو نفس التصور الذي دافع عنه أرسطو في كتاب السياسات أي دون أن يبقى المواطن مبرزا لمهاراته السياسية وإنما يتوجب توظيف المهارات القتالية وتقديم أنفسهم

1 جان توشار ، تاريخ الفكر السياسي ، المرجع نفسه ،ص : 164 .
2 كوينتن سكنر ، أسس الفكر السياسي الحديث في عصر النهضة ، ترجمة : حيدر حاج اسماعيل ، مؤسسة عبدون شومان علي مولا مركز دراسات الوحدة العربية شارع البصرة ، بيروت، لبنان ، الجزء الاول ، ص: 160 161

سبيلا للوطن .و بدأ الإنسانيون في شرح فكرة شيشرون (sesiron)حول الشجاعة قصد الدخول إلى الحياة العامة مع العلم ان بتراك قد قال" لا يكفينا ان نتعلم ما هي الفضيلة من دراستنا لأرسطو "[1] فكان من الضروري التوجه إلى حياة عملية تجسد فعليا قيم الإنسانية . وفي هذه المرحلة بدأت بعض الأفكار السياسية في التبلور إلى غاية ظهور نيكولا مكيافلي الذي أعاد صياغة جديدة غير التقليدية ليؤكد على المشاركة السياسية الحاسمة من خلال كتاب الخطابات وأهم مؤلف له وهو الأمير فكيف فسر مكيافلي فن السياسة ؟ وما هي أهم القيم الأخلاقية والسياسية في فكره؟ وهل غير من الفكر السياسي بعد الفلسفة اليونانية وفترة العصور الوسطى؟ وهذا ما سنتطرق إليه في الفصل الثاني .

1 المرجع نفسه ،ص: 182

الفصل الثاني:

القيم الأخلاقية و السياسية عند نيكولا ميكيافيلي

1-الفكر السياسي و الأخلاقي في عصر النهضة

2-السياق السياسي و الثقافي للفلسفة الميكيافيلية

3-القيم الأخلاقية و السياسية في فلسفة ميكيافيلي

-السياسة و الفضيلة

-السلطة و حجة الأقوى

-صفات الأمير الحاكم

-الدولة بين الإزدهار و الإنحطاط

الفكر السياسي والأخلاقي في عصر النهضة

عندما نشر كتاب مكيافلي (machiavel) لأول مرة في أروبا وهويتناول أخلاقيات السياسة أجمع غالبية النقاد على أنه يحتوي على أخلاقيات شريرة، وأنه لا يناسب إلا الطغاة والأشرار من الحكام ومن هنا عرف القارئ الأوربي في القرنين السادس والسابع عشر كتاب الأمير لمكيافلي"[1]. وأضحت كل المعاني الشريرة مرتبطة بمكيافلي وكتابه ففي المسرح الانجليزي يقول شكسبير " على لسان إحدى شخصياته في مسرحية " زوجات وندسور المرحات " ماذا هل أنا مخادع ؟ هل أنا مكيافلي ؟[2] .كما أن **مارلو**قد استخدم الشخصية غير الأخلاقية على طريقة مكيافلي في يهودي مالطا 1589 ولم يقتصر الأمر على المسارح الأوربية القديمة والحديثة بل امتد ذلك إلى المسرح العربي الحديث أيضا حيث ترددت عبارات كثيرة منها مقولة هذه ميكيافلية رخيصة أوهذا مبدأ ميكيافلي الرخيص ،وغير ذلك من المعاني والعبارات التي لا تحمل أي صفة للنبل والشهامة الصدق أوالوفاء وأصبح اسم ميكيافلي مرادفا للشر ولقد امتدت جذور كتاب ميكيافلي عميقا في تاريخ الفترة التي عاش فيها وقد كان مشتركا اشتراكا فعليا في الحياة السياسية المضطربة التي مرت بمدينة فلورنسا "[3]. كما أنه قد صدر قرار عام 1559 بإدراج كتب ميكيافلي جميعها ضمن الكتب الممنوعة النشر أو التداول وما يزيد الأمر وضوحا هو اختيار الجبابرة كتاب ميكيافلي كقدوة في سياساتهم وتكوينهم المعرفي أمثال موسوليني في اختياره للكتاب كموضوع لرسالة الدكتوراه وهتلر في قراءته يوميا ووضعه بمقربة من سريره "[4].

1 مكيافلي ، الأمير، ترجمة ،أكرم مؤمن ، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع، مصر الجديدة، القاهرة، 2004 ،ص 4

2 المصدر نفسه ص : 54 .

3 فاروق سعد تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع دار الأفاق الجديدة المغرب ، ص : 20 .

4مكيافلي الأمير ترجمة أكرم مؤمن ، المصدر نفسه ، ص : 4

ومن هنا ظل اسم ميكيافلي بعد مرور خمس وسبعون سنة على طباعة كتاب الأمير في انجلترا فرنسا بريطانيا ايطاليا وهويختلط في الأحاديث العامة بنعوت وصفات غير جميلة ولم يتغير أي موقف اتجاه سمعة ميكيافلي[1]". لقد عاصر فرنسيس بيكون وليام شكسبير (william shekspere) وبين أن ميكيافلي يتناول الأشخاص كماهم لا كما يجب أن يكونوا " ولم يختلف العالم المثقف في تقدير مكيافلي حيث حصل تبدل في الرأي العام فبعدما كان ملعونا أضحى مشهورا عند علماء السياسة والمؤرخين .وبدأ تسلل مكيافلي يظهر داخل التيارات الحديثة في أواخر الثامن عشر قريب من السيطرة عليها في القرنيين التاسع عشر والعشرين "[2] . لقد كان هناك إحساس عميق بالهوان لدى ميكيافلي من جراء سقوط الأقوياء وهذا ما بينه في الفصل الأخير من كتابه الذي أثار حيرة ناقديه ودهشتهم وتتضح معالم الميكيافلية في رؤيتها للدولة القومية على أنها قوة ويجب أن تعتمد في جوهرها على العمل الدائم والدينامي وعلى العدوان "[3] ولقد كتب خيرة الباحثين السياسيين في أمريكا بعيد الحرب العالمية الأولى على أن القومية قد برهنت على أنها مرحلة مؤقتة وانتقالية في طريق التوسع "[4] .ومن هنا نستخلص أن هذا الرأي ذو اعتبار وتقدير لفهم ميكيافلي والمشاكل الدولية في عصرنا فالدولة في نظر ميكيافلي قوة فيها قواعد سلوكية يتبعها الأمير حتما دون اعتماده على القيم الأخلاقية وهنا تكمن القيم التي تحدث عنها ميكيافلي كصفات أخلاقية وسياسية للأمير الحاكم فبما تميزت فلسفة ميكيافلي الأخلاقية والسياسية عن باقي الفلسفات الأخرى ؟ قد نجد إجابة يمكن أن تضعنا في السياق الصحيح لمقاربة المسألة الأم وهي القيم الأخلاقية والسياسية في عصر النهضة وبالأخص ميكيافلي .

1 فاروق سعد ، تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده المصدر نفسه ، ص : 26 .
2 المصدر نفسه ،ص : 26
3 لمصدر نفسه، ص : 40 .
4 المصدر نفسه ،ص :40

السياق السياسي والثقافي للفلسفة الميكيافلية:

عاصر ميكيافلي الفساد الأخلاقي والسياسي الذي تعرضت له ايطاليا فراح يدعوإلى الوحدة متخذا من القوة الخديعة الحيلة مفاتيح النجاح وكانت هذه الحقبة هي بداية لعصر النهضة وقد عمل ميكيافلي على توحيد بلاده ايطاليا، وبالفعل توحدت داخل دولة واحدة ولكن بحلول سنة 1512 وصلت أسرة مديتشي للحكم بفلورنسا بعدما أطاحت بالجمهوريين وفقد ميكيافلي وظيفته "[1]. لقد كان كتاب الأمير لميكيافلي مادة ضرورية لدراسة علم السياسة في عصر النهضة رغم استمرار الجدال حول الكتاب إلى جانب احتوائه على الكثير من المبادئ والمفاهيم السياسية التي اقتنع بها ميكيافلي، ومع ذلك لم يشمل على جميع أرائه السياسية وأضحى الكتاب مرجعا أساسيا لكل من يطمح للسيطرة السياسية وفي الكتاب نصائح للأمير ليحافظ على عرشه ويكون قادرا على تحقيق حلم الايطاليين في الوحدة حيث قامت جميع النصائح على فصل الأخلاق عن السياسة "[2] تميز ميكيافلي بالواقعية الشيء الذي جعل أفكاره تجد الطريق للتجسيد وجملة هذه الأفكار هي البحث عن القوة والعظمة للدولة لضمان الاستمرارية والبقاء وفصل الدولة عن الأخلاق والدين .ومن هنا كان لميكيافلي إسهاما كبيرا في بلورة فكرة الدولة القومية الوطنية نتيجة الصراع الدائم في ايطاليا بين النبلاء ورجال الكنيسة من جهة ،وعدم وجود حكومة مركزية قوية وهذا الصراع السياسي هوالذي دفع ميكيافلي إلى وضع نصائح للأمير الحاكم في فلورنسا من أجل القضاء على الأعداء حيث يريد ميكيافلي الأمير في مكر الثعلب وخبثه وبطش الأسد وبأسه والغاية هي محاربة الفساد والفوضى الذي كانت تعيشه روما " [3] .ولقد اختلف المفكرون والساسة

1 مكيافلي الأمير ، ترجمة أكرم مؤمن ، المصدر نفسه ص : 10 .
2 المصدر نفسه ص : 11
3 نور الدين حاروش ، تاريخ الفكر السياسي شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، برج الكيفان ، الجزائر ، الطبعة الأولى 2004 ص: 251

ورجال الدين في تقييم أخلاقيات فكر ميكيافلي السياسي ، حيث كتب أحد الأمراء الايطاليين على نصب تذكاري أقامه على قبر ميكيافلي ،نم في سلام لا كلمات ترقى إلى شرف هذا الرجل

أما فرانسيس بيكون فيرى أننا مدينون لهذا الرجل فهوالذي أرانا حقيقة عالم السياسة إذ علمنا الفارق بين براءة الحمامة، ورياء الثعبان على نعومة ملمس كليهما ،ونابليون الثالث قد كان يقرأ كتاب الأمير ليلة الحرب وفي المقابل اعتبرت الكنيسة ميكيافلي هوشيطان رهيب هبط على الإنسانية فارا من الجحيم وكتابه الأمير هوكتاب أودعته يد الشيطان "[1].

يعتبر عصر النهضة من أهم المراحل التاريخية التي مهدت للفكر السياسي الحديث بجميع نواحيه وتطبيقاته وفي هذا العصر ظهرت مبادئ لا تزال الإنسانية في محاولة للبحث فيها ،حيث أن الأفكار التي جاءت في هذا العصر اقتصاديا سياسيا واجتماعيا وقانونيا قد ساعد في تقدم المدينة السريع وزيادة الإنتاج "[2] لقد عرف العالم الغربي في هذه المرحلة تحولات عميقة حيث أدت الأزمة الاقتصادية إلى خراب وجمود مادي ليأتي وباء الطاعون سنة 1348 الذي قضى على ثلث سكان انجلترا وفرنسا ،دون تجاهل الاضطرابات السياسية والاقتصادية والإيديولوجية كما أن انقسام وتمزق المسيحية قد نتج عن بذخ الكنيسة، وانقسامها كما تعددت الحروب بين الأمراء بشكل عنيف وفي ظل هذا العالم المملوء بالتناقضات والفوضى إلا أن الأمر قد تغير وظهرت ملامح نهضة اقتصادية وتم إعادة توزيع القوى الروحية والذهنية بنوع من العدالة وسياسيا فكل بلد قد حدد نظاما خاصا به ،ومثل ذلك بريطانيا التي عرفت تحالف النبلاء مع الطبقة الشعبية ضد الملك للاعتراف بحقوق الإنسان ، وفي فرنسا تم الاعتماد على الإرث الروماني فيما يخص القانون والذي يعطي النفوذ للملك مما أدى إلى تشكيل حكومة وطنية قوية ،واجهت النبلاء في الداخل

1 مكيافلي الأمير ترجمة أكرم مؤمن ، المصدر نفسه ،ص : 13 .
2 نورالدين حاروش ، تاريخ الفكر السياسي المرجع نفسه ،ص :253 .

والأعداء في الخارج "وبقي الصراع في ايطاليا قائما بين النبلاء والبابا وهذا ما جعل روما في حالة يرثى لها الشيء الذي أثر في ميكيافلي ، وهويرى روما تسقط بيد الأعداء حيث اقترح مبادئ ونصائح موجهة للأمير"[1]. ان كتابات ميكيافلي أقل انتماء إلى النظرية السياسية منها إلى الأدب الدبلوماسي وبصورة عامة فقد كتب ميكيافلي عن أساليب الحكم والوسائل التي تعطي قوة للدولة ومن ثمة المحافظة على كيانها ،وأراد ميكيافلي تخليص السياسة من الاعتبارات الأخلاقية والدينية ويحاول أن ينظر إلى السياسة، كما لوكانت غاية في حد ذاتها واتجه ميكيافلي إلى نصح الأمير ألا يعبأ بالفضائل وأن يلجأ إلى الرذائل ،وكل هذا في إطار مصلحته عبر سياسة داخلية تتميز باستبعاد الكرم الذي يؤدي إلى الفقر دون طيبة تفقد هيبته وتثير روح الثورة لدى رعاياه فلابد من القسوة التي تقيم النظام وتمنع الفوضى وتحقق الوحدة وتمنع الفتنة ،ويبقى رضا الرعايا متغير .وكتب ميكيافلي يقول :" أن لا ألوم الحاكم الروماني **روميلوس** الذي قتل أخاه وشريكه في الحكم لكي ينفرد بالسلطة ويوطد سلطانه ولا ألوم الروماني الأخر **بروتس** الذي حكم على أولاده الخمسة بالموت لكي ينفرد بالسلطة ليستمر عرشه "[2]. إن الغاية التي يتكلم عنها ميكيافلي هي دوام السلطان وكتب يقول " إن الأصل في بني البشر أنهم كذابون منافقون غشاشون جشعون نهمون شريرون مراءون لا يتطلعون إلا إلى ماليس في أيديهم وربما يسامحونك إن قتلت أباهم لكنهم أبدا لن يسامحوك إن سلبت أموالهم " [3].لقد اعترض ميكيافلي على البابوية واعتراضه هذا كان من الناحية السياسية لأن "البابا كان أضعف من أن يوحد ايطاليا وليس لأنه كان يمثل الكنيسة"[4] إن الميكيافلية في عصر النهضة تطرح أفكارا جديدة بفضيلة جديدة وهذه الفضيلة تؤكد على الإحساس بالقوة والطاقة ،حيث يرمي مكيافيللي إلى أخلاق القوة فالحرب مهنة من يحكم والإمارة

1 المرجع نفسه، ص : 254 .
2 مكيافلي ، الأمير ترجمة أكرم مؤمن المرجع نفسه ، ص: 12 .
3 المرجع نفسه ص: 12
4 دراسات عربية ، مجلة فكرية اقتصادية اجتماعية دار الطليعة بيروت لبنان العدد 3 يناير 1986 ، ص : 106

الصعبة المنال هي المحكومة ،من قبل أمير كل الناس عبيده على أساس تجذر الحاكم وثباته في الإمارة . ولا شك أن ميكيافلي كان متحيزا للسلطة فيما ذهب إليه من أراء وما طرحه من تصورات ومفاهيم لطبيعة السلطة وأسباب قوتها وضعفها وموقفها من الأخر ،وطريقة التعامل معه "وكان تحيز ميكيافلي نتيجة المؤامرات والدسائس التي كانت تتعرض لها السلطة في بلاده وهذا الأمر استدعى من ميكيافلي إلى دعوة السلطة لإحكام قبضتها بتوظيف القوة والحيلة والمكر لبسط النفوذ "[1] لقد اشتهر ميكيافلي بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة وهو المبدأ الذي لا يقبل الخضوع لأي مبدأ أخلاقي داخل السياسة، وإنما تكون السياسة الناجحة هي المرتبطة بمصلحة الأمير ومنفعته الذاتية ، وهنا يفصل ميكيافلي في فلسفته بين السياسة والأخلاق ومن خلال هذا المبدأ يقول كريستيان غاوس عميد جامعة برستون الأميركية في مقدمة كتابه الأمير " لقد خضنا في سلسلة من التناقضات النفسية التي وصل إليها ميكيافلي عن طريق إحساسه الواقعي الشديد "[2] على هذا النحو يمكن اعتبار ميكيافلي رائدا من رواد التمييز أوالفصل بين الدين والسياسة من جهة وبين السياسة والأخلاق من جهة أخرى. وهذا الفصل تبناه فيما بعد غربيون كرد فعل عنيف على ضغوط الكنيسة من جراء تدخلاتها التعسفية في أنظمة السلطة السياسية والاقتصادية ومنه أضحى فصل السياسة عن الأخلاق من مطالب كل سلطة بل هوما تطمح إليه من غايات عبر وسائل بها منافع "[3] ."إن واقعية ميكيافلي قد أدت إلى إحداث ضجة في الأوساط السياسية باعتبار أن فلسفته قد قامت على نصائح قابلة للتجسيد ،واستفاد منها الكثير من السياسيين

1 سالم القمودي ، سيكولوجية السلطة ، مؤسسة الانتشار العربي ، لندن ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ص: 20 .

2 المرجع نفسه: ص20

3 المرجع نفسه ، ص : 22

وعلى وجه الخصوص " نابليون وهتلر وموسيليني وبنوشي وغيرهم من الديكتاتوريين كفن للحكم "[1]

.

القيم الأخلاقية والسياسية في فلسفة ميكيافلي :

لقد تبين من خلال السياق الثقافي والسياسي في فلسفة ميكيافلي أنه يتجه إلى الميل الطبيعي نحوالشر في الإنسان انطلاقا من بناء سياسة تقوم على فعالية القوة والقهر وهذا الأمر يتماهى وفق الفكرة القائلة إذا أردت الغاية فعليك بالوسيلة وإذا أرادت السلم فعليك بالحرب "[2] وتظهر فلسفة ميكيافلي الأخلاقية والسياسية من خلال كتاب الأمير، الذي حدد له صفات من الواجب أن يتصف بها ولا ينبغي للأمير أن يكون لطيفا وعادلا بل يتوجب عليه أن يشهر سيفه فهوى الحرب والثراء والمجد، هي أسس السياسة ونجاحها مرهون بهذه الصفات "[3] "لا يرى ميكيافلي في السياسة يوتوبيا بل يرفض ذلك تماما ورأت البرجوازية التي وصلت إلى الحكم في أرويا أن ميكيافلي مؤرخ رسمي لفلورنسا ومؤسس لعلم السياسة بالنظر إلى واقعيته الأرسطية المناقضة لأفلاطون. "حيث يعتبر **فكوياما(foukouyama**) ميكيافلي أبا للمفهوم الحديث للسياسة ومحرر ها من الضغوطات الأخلاقية للفلسفة الكلاسيكية "[4]. لقد كتب ميكيافلي إلى لورنزو(loronzo) الابن العظيم لبيرودي ميديشي قائلا " من المعلوم أن أولئك الذين يسعون لنيل رضا أحد الأمراء يجتهدون في تقديم الهدايا الثمينة في شكل : جياد أصيلة ، أسلحة ثمينة ، ثياب موشاة بالذهب وهذا ما يدخل الفرح والبهجة والسرور للأمراء بل يسعدون بها ولكنني أهدي لسموكم شيئا متواضعا يدل على إخلاصي لكم وهوكتاب صغير بعد أن درست منجزات

1 نور الدين حاروش ، تاريخ الفكر السياسي ،المرجع نفسه ، ص : 26
2 بليمان عبد القادر،الأسس العقلية للسياسة ،المرجع نفسه ،ص : 52 .
3 المرجع نفسه ص: 52
4 الحسن اللحية ، الرد على ميكيافلي ، إفريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان 1999، ص: 18

العظماء رغم أنني أعتبر هذا الكتاب لا يرقى إلى مستوى سموكم مع العلم أنني لا أستطيع أن أقدم لسموك مأهوأعظم أوأكثر قيمة من هذا الكتاب ،ومن خلاله يمكن لسموكم أن تتعرفوا على كل ما اكتسبته طوال حياتي وما تحملته من الأخطار والفقر طوال سنوات عمري، ولا يمكن لرجل بسيط أن يتجرأ على مناقشة الأمراء "[1].ودعى ميكيافلي الأمير إلى تقبل هديته في النهاية وإتباع ما جاء في الكتاب من صفات للحاكم الأمير الناجح بغية تقوية حكمه والرفع من شأنه.

إن الأمير عبارة عن سعي نظري إصلاحي و محاولة للتفكير في معضلات واقعية وفي نفس الوقت يقدم مادة سياسية وتاريخية متميزة ،ومصاغة بروح عقلانية مؤسسة فكيف أثرت المكيافلية في فلسفة عصر النهضة على المستوى الأخلاقي والسياسي؟ وما علاقة الفضيلة بالسياسة ؟ وكيف يرى مكيافلي السلطة وهل هي في الغلبة والقوة ؟ وما هي أهم القيم التي جاء بها خاصة في كتابه الأمير من نصائح للحاكم ؟

1 / السياسة والفضيلة :

إن انشغال ميكيافلي بالفساد السياسي ،قاده إلى الفضائل المدنية التي غذت السلطة الرومانية فلم يكن قادرا على النظر في المجتمع المدني خارج مقولات الجمهورية المألوفة فلقد استبق الفهم الخاص بالدولة والمجتمع "فلقد كان الفاتيكان لا يزال يستشهد بأقوال البابا اينوسنت (inousent)الثالث والبابا بونيفيس(bounifisالثامن أويستشهد بأقوال البابا غيلاسيوس(glasiose) ،إلا أن النظام القديم قد تأكل ومن هنا قام ميكيافلي بدمج محاولات فكرية لتحقيق الفضيلة والتوازن من دون تدخل قوة أخلاقية سرمدية"[2]. لقد استنكر ميكيافلي

1 مكيافلي ، الأمير ، ترجمة أكرم مؤمن المرجع نفسه ص: 16
2 جون اهرنبرغ ، المجتمع المدني التاريخ النقدي للفكرة ، ترجمة : علي حاكم صالح ؛ حسن ناظم ، مركز دراسات الوحدة العربية بين النهضة شارع البصيرة الحمراء ، بيروت ، لبنان 2008 ، ص: 122

المركزية البابوية كاستبداد ملكي مطلق سيطر على أرويا الغربية برمتها فالسلطة السياسية في العصور الوسطى كانت مفتتة ،ثم أضحت بين يدي الملك وتلاشت الهيمنة الكنسية بالتدريج وأضحت الأنظمة الملكية المطلقة الشكل المميز للتنظيم السياسي في أروبا الغربية "ومن هنا اقتنع ميكيافلي أن الكنيسة لم تعد قادرة على توفير إطار للنشاط السياسي ومن هنا تطلع ميكيافلي إلى أمير خلاق ليزيل المؤسسات القديمة والاتجاه إلى تأسيس مجتمع مدني "[1] .إن كتاب الأمير قد تناسب مع البيئة المضطربة وغير المنظمة التي عرفتها مجتمعات كثيرة مضمونها، افتقار الحكام إلى الشرعية وكانت المواطنة أمرا محالا .ومن هنا استبق ميكيافلي ملوك الكنيسة واعتبر مجددا سياسيا بلغة القوة التي أضحت تمثل الحل في عصر غارق بالفساد، إن بلورة ميكيافلي للأفكار السياسية أدى به إلى القول أنه للأمير القدرة في التصرف بكل حرية مع احترام عادات الشعب واحترامها ضمن النظام الاجتماعي القائم فالأمير لا يجب أن يغير قوانينهم ولا ضرائبهم "[2]. يتعين على الأمير تثمينه للهبة حيث يرى ميكيافلي أنه من الأفضل أن يكون الأمير مهابا من أن يكون محبوبا فمن الصعوبة بما كان الحفاظ على الصفتين معا ،فالمهابة أفضل بكثير ليحافظ الأمير على شخصيته وهبته بمعنى إذا لم يستطع الأمير أن يحصل على الحب فانه يتجنب الكراهية على الأقل "[3] يرى ميكيافلي "أنه من الواجب على الأمير في سياسته أن لا يغفل عن أملاك رعاياه الخاصة بل ويمنع نفسه من المساس بممتلكات الآخرين لأن الإنسان قد ينسى موت أبيه بسهولة عن نسيانه لضياع ميراثه"[4]. ومن هنا فلسفة الأمير تقوم على الشدة لا الاغتصاب وبدون هذه الصفة لا يحافظ على قوته ولا مهابته ولا وحدة جيشه وبهذه الصفة بإمكانه أن يبني سياسة قوية عبر فضائل يحبها الشعب ومن هنا لن يخذله الشعب مطلقا وتكون الهبة قائمة ودائمة ولا تتأثر .

1 المرجع نفسه ص: 124
2 جون اهرنبرغ المجتمع المدني التاريخ النقدي للفكرة مرجع سابق ص: 126
3 أكرم مؤمن ، الأمير مصدر سابق ص : 71 .
4 المرجع نفسه ص : 71 .

"ويذكر ميكيافلي هنا كيف أن الحاكم **سكيبو(skipo)** الذي كان مشهورا في عصره فقد ثارت عليه قواته في اسبانيا نتيجة شفقته المفرطة مما أدى الى الفوضى ولامه في المقام : **فابيوس (fabios) ماكسيموس (maximos)**وأطلق عليه لقب مفسد الجندية الرومانية "[1] .وكل هذا نتيجة التساهل لذلك يتوجب على الأمير أن يحافظ على مهابته وشخصيته ويترك الناس يحبونه بمحض أرادتهم دون غصب كما أنه من الواجب أن يتجنب الكراهية . المدمرة ويبقى الشعب محترما الأمير وخائفا في نفس الوقت وهذه سمة المهابة التي يتكلم عنها ميكيافلي "إن فضيلة الأمير تجد أمامها رجال والأكيد أنهم رجال وهم المعنيين بتشكيل العلاقات الإنسانية ، في حالة وجود غنى حقيقي ومن هنا بإمكان الفضيلة أن تخلق السياسة "[2] .

يؤكد ميكيافلي "أن الأمير مطالب بإدخال البهجة في قلوب الناس من خلال الاستعراضات والمهرجانات فضلا عن اهتمامه بكل مدينة باختلافها انتماءاتها وكل هذا على أساس صفاته التي يتميز بها من سخاء وكياسة لتكون سياسته ناجحة وفضيلته إنسانية وهنا رغبة في الأمان حركت ميكيافلي وشأنه في ذلك شأن دانتي ومارسيليوإلى جانب الكثير الذين اهتموا بالسياسة رغبة منهم في الأمان "[3] .يقدم كتاب الأمير النصيحة العملية للقيادة في عصر فاسد رغم أن ميكيافلي قد كان ميالا إلى جمهورية روما باحثا عن ازدهار سياسي ضمن دستور مناسب يؤمن الحرية والاستقرار مع ضرورة أن يقدم المواطن المصلحة العامة عن المصلحة الخاصة ،لاتقاء شر الفساد الشخصي ويركز ميكيافلي في هذه الحالة على الصفة الأساسية للأمير في سياسته وهي "أن يوصف بالرحمة وليس الشدة ،لكن أن يكون الاستخدام العقلاني للرحمة حتى لا تضيع السلطة أوتضعف بل يجب أن تظل قوية تماما كما فعل قيصر بورجيا الذي جلب الأمن إلى روما كما أنه

1 المرجع نفسه ص : 7

2 jean francois duvernoy Machiavel agrégé de philosophie bordas page 113

3 جون اهرنبرغ المجتمع المدني التاريخ النقدي للفكرة مرجع سابق ص : 127

من الضروري أن يعود الأمير إلى الشدة متى رأى ذلك مهما وضروريا حفاظا على المواطنين وولائهم له "[1] ".إن فضيلة الأمير صفة ترشد إلى قوة الطبع الشجاعة الحربية والمهارة الحسابية والقدرة الاغوائية والثبات والتغلب على الأعداء والمنافسين لتبقى الثروة إلى جانبه إذا عرف كيف ينتهز الفرصة المناسبة ،فالتسلط والعنف والخداع تهيمن على السياسة وإذا كان الأمر كذلك فلابد من استخدام هذه القوى في خدمة الصالح العام واستعمالها بفعالية بوصفها وسائل لغاية مشروعة "[2] .إذن تعتمد السياسة عند ميكيافلي بالدرجة الأولى على الردع مرتكزة على الهيبة تطرد من فضاءاتها الإخلاص وحفظ الوعود وتبنى على أساس القوة فالغاية عند ميكيافلي تبرر الوسيلة . "تبقى غاية الأمير القوة والأمن وبسط السلطان في الخارج وإذا أراد الحفاظ على سلطته فعليه بعدم التقيد بالفضيلة مع ضرورة استخدام الخير والشر انطلاقا من الحاجة الملحة والشخص الذي يريد السير وفق الفضيلة لا يصلح للحكم فالأمير، لا يشرع بل يصنع الحرب وهو انشغاله الرئيسي

فقد يرمى بصفات القسوة وهوأمر لا يهمه لأنه هدفه طاعة الرعية له "[3]. لقد كان ميكيافلي واثقا من الصراع داخل المجتمع الذي يتحول بالضرورة إلى صدام سياسي رغم أنه قد يعزز الحرية إذا استطاعت المؤسسات السياسية من حل الجدالات التي تنشأ عن الصراع الطبقي أوالمصالح الشخصية ."وهنا سجل ميكيافلي عظمة روما التي كانت تستجيب للصراع عن طريق القوانين والمؤسسات التي يسرت التمثيل السياسي لمختلف الطبقات وهنا استطاعت السياسة المنظمة تنظيم المجتمع المدني والدفاع عن حقوقه وكان هذا ضد الارستقراطية التي حاولت تحويل العامة إلى رقيق"[4]. إن المحافظة على المرونة من قبل الحكومة والتي يركز ميكيافلي عليها الاهتمام

1 أكرم مؤمن الأمير مصدر سابق ص : 85

2 خليل أحمد خليل ، تاريخ الأفكار السياسية ، معهد الإنماء العربي كتاب الفكر العربي 8 بيروت، ص: 55

3 يوسف كرم تاريخ الفلسفة الحديثة ، المرجع نفسه ، ص: 25

4 جون اهرنبرغ المجتمع المدني التاريخ النقدي للفكرة ،المرجع نفسه، ص: 129

كشيء أساسي في الأوقات العصيبة ويربطها بمسألة الحظ في نسج العلاقات البشرية حيث يمثل الحظ نصف أعمال الإنسان ،حيث يشبه ميكيافلي الحظ بالنهر الهائج القوي الذي يقتلع الزرع ويهدم المباني حيث يفر الناس من أمامه بل ويستسلم الجميع لهيجانه لأنهم لا يستطيعون الوقوف أمامه بل ومقاومته ،والحظ تظهر قوته إذا لم تكن هناك تدابير ضده وإذا نظرنا إلى ايطاليا فسنجد بأنها لم تكن محمية كما هو الشأن بالنسبة لفرنسا أو ألمانيا لذلك لم تستطيع مقاومة الفيضان لذلك يرى ميكيافلي" أن الأمير لا ينبغي أن يعتمد على الحظ فقد يهلك في النهاية ولا يمكنه الاستمرار بكل قوة ويبقى السعيد هو الذي تتفق أعماله مع متطلبات العصر، وبالعكس تماما تكون خصائص التعيس، فهناك اختلاف بين من يصل بالتسرع وأخر بالعنف إلى جانب المكر أوالصبر وهناك من يستخدمون عكس هذه الصفات "[1] .لقد علمت روما لميكيافلي أن المرض السياسي الأشد فتكا هوالمصلحة الشخصية الفالتة والشقاق الحزبي هو حامله مما يؤثر على تنظيم مجتمع مدني سليم وذلك انطلاقا من الصراع الاقتصادي وفشل المؤسسات السياسية وضغط طبقة النبلاء المتواصل وأضحت المواطنة ما يبعد الناس عن الانشغال الأناني بأنفسهم وهذا الأمر قد كان سببا رئيسيا في انحطاط الحضارات القديمة العظيمة.

ومنه "فالمصلحة الخاصة قد حطمت روما وبنفس الطريقة تم تهديد فلورنسا فالرجال لا يفعلون الخير ما لم تكن هناك ضرورة إلى ذلك قد تدفعه بهم إلى الفعل، وإذا تم منحنهم فضاء من الحرية ليفعلوا ما يحلوا لهم يفتح المجال للفوضى والاضطراب ومظاهر الفقر والجوع تؤدي بالرجال إلى العمل والكد .وبالمقابل قد تكون القوانين في صفهم ولهم اختيار في النهاية فما الحاجة إلى القوانين والتشريعات مادامت أنه تمضي من دونها أي لا اعتبار لها ولا اهتمام "[2] .ومن هنا اتجه

1 مكيافلي ،الأمير ترجمة أكرم مؤمن المصدر نفسه ،ص: 120
2 جون اهرنبرغ ،المجتمع المدني التاريخ النقدي للفكرة مرجع سابق ص: 133

ميكيافلي إلى التطلع للسلطة السياسية التي تتجه بدورها الى تنظيم المجتمع المدني ،في الأوقات العصيبة والمتدهورة حيث كانت ايطاليا ممزقة بشكل رهيب داخل بيئة مليئة بالحروب والانهيار الاقتصادي واستحالة الحياة في هذه الحالة وكل المجهودات التي قام بها البعض في سبيل رفعة روما والخير العام انهار بفعل الضعف الذي اعترى المسيحية والسلطة غير الشرعية التي عملت دون وازع أخلاقي "فلا يمكن قيام مجتمع مدني قوي بدون سياسة قوية وبدون حكم الناس بأنفسهم أي على أساس الاستقلال لتزداد العظمة داخل المدينة فالأثينيون قد أحرصوا في فترة مائة عام بعد تحررهم من طغيان ("بيسيستراتوس)(pisistratus)واستطاعت روما استعادة هيبتها وعظمتها بعد التحرر من ربقة ملوكها"[1] .فالمدن العظيمة تبنى على أساس الجماعة وليس على أساس الأفراد وفي الأخير تمكن ميكيافلي من بلورة وصياغة وجهة نظر جديدة وبالإمكان على أساسها تقويم الحياة الإنسانية حيث أعاد الاعتبار إلى الحقل السياسي المستقل ،أملا منه أن ينظم المجتمع المدني حتى يجنب ايطاليا مآسي أخرى وسقوطا مذلا جديدا." لقد كانت ايطاليا في زمن ميكيافلي كبقية أرويا تخرج من العصور الوسطى وتدخل إلى عصر النهضة .وتخرج من النظام الإقطاعي وتخرج من نظام المماليك والاستقلال عن نظام الكنيسة والسلطان البابوي لتدخل عصر القوميات الحديثة تخضع لإرادة الدوقات والكونتات واللوردات ،وأفضى هذا الأمر إلى فصل الدين عن الدولة وعن الأخلاق "[2] .

إن السلطة عند ميكيافلي تعتمد بالدرجة الأولى على الردع فهي في أبسط صورها قمعية ترتكز على الهيبة وممارسة فنون القتال ،ويطرد من فضاءاتها الإخلاص وحفظ الوعود تؤسس على

1 المرجع نفسه ، ص: 134
2 لويس عوض ، ثورة الفكر في عصر النهضة الأوربية ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة، الطبعة الأولى ، 1987 ، ص: 77

الخيانة والقوة ومن هنا يبني ميكيافلي فلسفته على القوة ويتوجب على الأمير أن يظهر بمظهر الشجاع لا الجبان الخائف ليتقدم إلى الأمام ويبحث عن سلطة المهابة لا سلطة المحبوب، فهو معروف بالشدة ولقد ذكرنا سابقا أن الإنسان في نظر ميكيافلي متسامح إذا تعلق الأمر بمقتل أبيه لكنه لا يكون كذلك في ضياع أملاكه وقد طبق هذا التصور على المجتمع الايطالي الذي ظل فاسدا ولا أمل في إصلاحه ما يعني إيمان ميكيافلي بالحكم الاستبدادي والقوة .

Kihd, hglrhg

2 – السلطة وحجة الأقوى:

كما يؤكد ميكيافلي" على القوة المرتبطة بالحرب دون فكر أوفن والتحضير لها فذلك هوالفن الوحيد الذي يحافظ على السلطة ويقوي من يحكم ومن فقد إمارته تعاطي اللهووالترف ولم يهتم بالجيش ولا السلاح ففن الحرب عامل أساسي في الارتقاء إلى السلطة وكل من يريد تولي القيادة "[1] .في الفصل الثالث من كتاب الأمير يتكلم ميكيافلي عن التوسع الاستعماري وعن حروب التحرير حيث يعطينا مثالا عن استيلاء لويس الثاني عشر ملك فرنسا على مدينة **ميلانو**وضمها إلى أملاكه لكن سرعان ما ثار أهل المدينة على الملك وقاموا بطرده من ايطاليا نهائيا وكان ذلك بواسطة الحرب الضروس . "وهنا استخلص ميكيافلي أن السياسة تتمثل في ثورة الشعوب ضد حكامهم بغية تغييرهم بحكام آخرين ، وهنا وضع ميكيافلي بعض القوانين السياسية والتي يراها مناسبة لحركات التوسع القومي وبأسلوب أفضل من التوسع الفرنسي في ايطاليا"[2] .وهنا يركز ميكيافلي على ضرورة أن يكون الأمير في حاجة دائمة لحب الناس ليتمكن من السيطرة على بلاده رغم قوة جيوشه ،لذلك فالأمير مطالب بالحيطة والحذر لأمرين: بإبادة نسل الأمير السابق

1 فاروق سعد تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده ،المرجع نفسه ،ص: 131
2 لويس عوض :ثورة الفكر في عصر النهضة الأوربية ،المرجع نفسه ،ص: 78

وعدم إجراء تعديل في القوانين والضرائب ليكون جسم الدولة ناجحا وذوكيان واحد "[1] "إن قوة سلطة الحاكم تتمثل في التغلب على الصعوبات التي تعترضه وعلى رأسها مقاومة الاضطرابات التي تصيب الدولة ما يقتضي كما يرى ميكيافلي أنه من الضروري أن يقيم الأمير داخل الأراضي التي تخص حكمه ما سيجعل ملكيته أكثر أمنا وسيطرة كما أن الرعايا يكونون مخلصين للأمير ولهم من الأسباب لمحبته والسير في نهجه، وإذاكان الولاء للحاكم القديم فسرعان ما يتغيروا بمجرد تخويفهم من الأمير الجديد "[2]. إن الصراع الذي يشكل في نظر ميكيافلي منطق الأحداث التاريخية هوالذي يستدعي القوة ،الذي يحايث خطاب الأمير في الفصل التحريضي الذي يدعوفيه ميكيافلي إلى تحرير ايطاليا من البرابرة يستدعي منا القول أن السياسة والقوة لا تنفصلان . يتحدث ميكيافلي عن أمير جديد قوي متصف بصفات الثعلب والأسد وهومن التشبيهات المعروفة في الأدبيات السياسية فالبشر كما يرى ميكيافلي لا يستحقون الرحمة العطف والمحبة والسبيل الوحيد لاستمرار السلطة يكمن أساسا في القوة .

إن التركيز على أمير قوي عبقري ايطالي رجل رصين قدير يريد إضفاء السعادة والخير على الشعب ،فهذا الأمير الجديد نوع أخر من البشر لا مثيل له في السابق فهذه الإشراقة من الأمل أوحت بأن الله قد اختار إنسانا لإنقاذها من الاستعباد والاضطهاد ويشبه "ميكيافلي هذه الحالة بالاستعباد الذي طال اليهود والاضطهاد الذي مس الفرس وتمزيق اليونانيين فهذا الإذلال والغلبة على الأمر دفع إلى التفكير في أمير يداوي جراح ايطاليا"[3] .إن القوة التي تمجد الأمير هي الاستعداد لدور القيادة بشكل أقوى عبر إرادة من حديد الذي تتخطى الصعاب والعوائق التي قد تعترض الأمير حيث لا تستطيع أية قوة أن تؤثر عليه أو تقوى عليه ،أو تحاول تدميره فالقوة هي

1 مكيافلي :الامير المصدر نفسه ،ص: 23
2 المصدر نفسه، ص: 25
3 فاروق سعد :تراث الفكر السياسي، المرجع نفسه ص : 197

التي تجعل منه حاكما حقيقيا ،يعمل من أجل مصلحة بلاده فالله حقق المعجزات والتي لا مثيل لها من بحار وسحب ،وكل ما من شأنه أن يساهم في عظمتك أيها الحاكم ،وما بقي لك سوى انجاز ما تبقى وهذا الأمر ليس غريبا عن الايطاليين ،الذين يجتهدون في إبراز كفاءاتهم وتجاوز الأساليب القديمة واستبدالها بما هو جديد فالعظمة ينالها الأمير على أساس الأسس السليمة التي يعمل وفقها إلى جانب أنه سينال الإعجاب والاحترام . كما يؤكد" ميكيافلي على أن الايطاليين متفوقون في القوة والمهارة والذكاء إلا أن الجيش فهناك فشل يعتري الايطاليين انطلاقا من الضعف الذي يتصف به القادة ،الذين لا يطاعوا ونتيجة ذلك هو فشل الجيوش الايطالية وانهزامها وكان ذلك في كل الحروب التي قامت خلال عشرين سنة وكان ذلك واضحا في مدن **كابوا ، جنوا ، فايلا ، تارو ، بولونيا ، مستري** "[1] إن الأمير الحاكم حسب ميكيافلي وهو المنقذ المحرر أن يقتفي أثار العظماء من القادة الذين حرروا بلادهم وأنقذوها وتكمن القوة في تشكيل الجيوش الوطنية أوما تعرف بالقوات الوطنية ،حيث أن الإخلاص لا يكون إلا من قبل هذه القوات التي من الواجب أن تحترم من القائد لتنال رضاه دفاعا عن الايطاليين فالأسبان والسويسريين من المحاربين الأشداء ،لكنهم بالرغم من ذلك لايستطيعون الصمود لأن الأسبان ضعفاء أمام هجمات الفرسان أما السويسريين فيخشون ملاقاة المشاة ، فلابد من تنظيم جديد يعطي قوة للأمير الحاكم ويرفع من سمعته ويذيع صيته ويصبح أكثر عظمة وتتحرر ايطاليا وهذا ما سيعزز مكانة الحاكم بين أبناء وطنه طاعة وولاء ولن يتأخر أي ايطالي عن الولاء له وهذا ما عززه الشاعر **بترارك (betrarke)**[2] قائلا : "استثار الغضب حمية الأبطال فحملوا السلاح وسعوا للنزال،

1 المرجع نفسه ،ص: 199

2- مكيافلي : الامير ترجمة أكرم مؤمن ،المرجع نفسه ص : 125

جمعت أرض الأجداد أيادي الرجال"[1] إذن يتوصل ميكيافلي إلى أن السلطة تستوحي من الأقوى والقوة تسلط وخديعة ندالة وقبح فعندما يصل أحد المواطنين إلى الحكم أوالإمارة باستخدام وسائل حقيرة ومشينة أوعندما يصبح أحد المواطنين أميرا بدعم مواطينيه ويعطي ميكيافلي مثالين الأول قديم والثاني حديث . لم يبزع نجم **أجاثوكل الصقلي** ، الذي لم يكن من علية القوم وأرقى المجتمع ليعتلي عرش ساراكوزا ،بل جاء من قاع طبقات المجتمع حيث كان أبوه فخارا وعاش تعيسا طوال حياته وكان ذودهاء شديد وانضم إلى الجيش ثم قرر أن يصبح أميرا على سراكوزا وبالقوة وأن يحافظ على سلطته بالعنف دون انتظار خطوات دستورية متبعة في الجمهورية آنذاك واتفق مع **هاملكار القرطاجي**[2] الذي كان يحارب إلى جانب جيوشه في صقلية ليستدعي مجلس الشيوخ وتبين الأمر أنه عبارة عن تشاور لمشاكل الجمهورية إلا أنه قام بذبح جميع أعضاء مجلس الشيوخ وجميع من حضر الاجتماع بما فيهم أثرياء المدينة وأعيانها وبعد أن تحقق له ذلك تمكن من احتلال المدينة لينصب نفسه أميرا دون عصيان مدني أومشاكل ودونما منازعات داخلية "[3] .إن هذا الأمير ازداد قوة بعد غزوه للعديد من البلدان وتقدم كثيرا دون مساعدة من أحد بل التدرج في المناصب العسكرية هو الذي أوصله إلى ذلك .

وبعد تضحيات كبيرة وتجاوز الصعوبات والمخاطر حتى وصل إلى منصب الأمير بشاعة كبيرة ولكن هل قتل المواطنين فضيلة ؟ فالتغرير بالأصدقاء وفقدان العقيدة والرحمة والدين ،هذا ما يوصل إلى القوة وليس إلى المجد فالبربرية التي ميزت **أجاثوكل الصقلي** جعلته أمير ناجح لكن دون قيم أخلاقية ،توحي بإنسانيته فلا نستطيع القول أن هذا الأمير قد اتبع الفضائل أو حسن

[1]مكيافلي : الامير ترجمة أكرم مؤمن ،المرجع نفسه ص : 125
[2]- فاروق سعد : تراث الفكر السياسي ،المرجع نفسه ص : 97

3فاروق سعد : تراث الفكر السياسي ، المرجع نفسه : ص 97

الطالع في الوصول إلى السلطة وإنما الخديعة والنذالة . وفي المثال الثاني يقدم ميكيافلي صورة أخرى للحكم في عهد البابا الاسكندر السادس "[1] "،حيث نشأ **أوليفيروتودافيرمو**يتيم الأب يرعاه خاله **جيوفاني فوغلياني** (giovanie fouglianie)ليكون جنديا تحت قيادة باولوفيتلي ليتحصل على مركز عسكري ممتاز وبعد موت **باولو** حارب الشاب إلى جانب أخيه **فيتيلوزو**وتحت إمرته وبمهاراته وصل إلى قائد القوات المحاربة إلا أنه أحس بالمهانة وهوتحت إمرة قائد أخر فقرر أن يكون أميرا على مسقط رأسه " فيرمو" واحتلها بمساعدة أهلها كما ساعده البنادقة ورغب في تفقد مدينته وممتلكاته وهذا ما كتبه لخاله جيوفاني كما أنه يود الوصول إلى مدينته وهومرفوع الرأس في صورة معتبرة تليق به وبالفعل ،تم استقباله بحفاوة نظرا لمكانة خاله المعتبرة وانتظر **أوليفيروتو**بعض الأيام ليعد خطته الشريرة الماكرة حيث دعى الجميع إلى وليمة كبرى بما فيه خاله وبعد العشاء بدأ الحديث عن عظمة الحاكم **البابا الاسكندر** وبعد ذلك حدث ما لم يكن منتظرا هاجم الجنود الحضور وقتلوهم بما فيهم الخال **جيوفاني** ، وبعد هذه المجزرة امتطى **أوليفروتو**حصانه وجاب شوارع البلدة ليعين أميرا بعد حصاره لدار القضاء ولتقوية موقفه أحاط نفسه بجمهرة جديدة من العسكريين والمدنيين ، لكن سرعان ما انهار بعد خدعة من قيصر بورجيا وأعدم بعد ذلك"[2] .إن المقارنة بين الحاكم الأول والثاني تبين لنا كيف أن **أجاثوكل الصقلي** استطاع البقاء في منصبه لمدة طويلة وبعد العديد من الجرائم الوحشية دون ثورة داخلية على الرغم من البعض لم يعمروا طويلا في الحكم ، وقت السلم وليست وقت الحرب وقد يكون ذلك نتيجة استخدام القسوة بطريقة مناسبة فالنوايا الشريرة قد توظف بطريقة مثلى وحسنة فقد يجني الأمير الحاكم الثمار فيما بعد وارتكاب الفظائع بشكل خاطئ ومن شأنه ن يؤدي إلى ازدياد المعارضين

1 ولد باسم رودريك دي بورخا وبالايطالية بورجا1432 1503
2 مكيافلي :الأمير ترجمة أكرم مؤمن المرجع نفسه ، ص: 53 - 54

الذين يثورون على الحاكم فنحن أمام حالتين متشابهتين في الفظاعة في استخدام الخديعة والندالة في الحكم ،ولكن بصورة مختلفة الأولى التي استخدمها **أجاثوكل الصقلي** الذي عرف كيف يعالج مشاكله مع الرعية دون استخدام الفضائل، وهذا ما أدى به إلى الاستمرار في الحكم لمدة طويلة بينما أصحاب الطريقة الثانية والتي كان بطلها **جيوفاني** فمن الصعب الاستمرار في الحكم والحفاظ عليه . يجب على الأمير أن يحدث تغييرات تؤكد للعامة انه في خدمتهم ليكسبهم إلى صفه لتزداد الثقة بين الأمير ورعيته، مع ضرورة أن يعيش الأمير مع رعيته على أن يستخدم الشدة في وقتها .أما الخير لا يجني الأمير منه شيئا لأنه اضطرار بلا فائدة .إذن القوة تسلط وخديعة كما سبق وأن ذكرنا فالأمير الناجح مرهوب ومحبوب في نفس الوقت ماكر ومدمر وهي تقنيات الممارسة السياسية كما يرسمها ميكيافلي ، بغية الحفاظ على السلطة بمختلف الوسائل والمظاهر وهذه سمة السلطة وحجة الأقوى. واستطاع ميكيافلي من وضع قانون ينص على أن الضعفاء يرفعون الولاء والطاعة للأقوى الذي يكون بالضرورة ذو قيم خاصة منها أن يحابي هؤولاء الضعفاء الذين يطلبون الحماية من طرفه مع الحذر من هؤلاء أن يشتد عود أحدهم ويصبح خطرا على الأمير سواء في القوة العسكرية أو السلطة، فلابد أن يبقى الأمير هو الأقوى ويديم سيطرته ونفوذه بقوته الخاصة وبمعونة من أقل منه قوة ومثل ذلك هو الفشل الذي حصل للملك **لويس الثاني عشر** ،حين غزا ايطاليا حيث سرعان ما فقدها من جديد لأنه سياسته كسرت قواعد السلطة. يتحدث ميكيافلي في كتابه الأمير عن حوار بينه وبين الكاردينال **روان** بمدينة **نانت** الفرنسية : حيث قال له **الكاردينال** "الايطاليين لا يفهمون في الحرب فأجابه ميكيافلي : إن الفرنسيين لا يفهمون في السياسة أي في الدولة فلو فهموا ما الدولة لما سمحوا للكنيسة أن تتعاظم إلى هذا الحد

كما أن التجربة قد دلت على أن فرنسا هي سبب قوة الكنيسة في ايطاليا واسبانيا وسبب خراب ملك فرنسا هما ايطاليا وفرنسا "[1]

كما يتحدث ميكيافلي في الفصلين السابع والثامن من كتاب الأمير عن ثلاثة نماذج من الأمراء :

الأول : بقوة الغير أوبالصدفة

الثاني : بطريقة الحظ

الثالث : بطريق الإجرام أوالغدر أوالمكر

هذه الصفات الثلاثة متاشبهة لأنها لا ترث السلطة

"**فالنموذج الأول:** يرتفع إلى منصب الأمير عن طريق الصدفة أوبقوة الآخرين لا يواجه صعوبات كثيرة حتى يصل إلى السلطة ،لكنه يواجه صعوبات ومشاكل في الحفاظ على منصبه ومثل ذلك ما حدث في الكثير من الحالات الإغريقية في مدن ايونا وهيلسبونت ، وهم من جعلهم داريوس أمراء للسيطرة على هذه الأماكن من أجل سلطانه وسلامته ومثلهم في ذلك الأباطرة الذين وصلوا إلى الحكم بفضل الرشاوي الممنوحة إلى الجيش، وكان حسن الطالع في صفهم مما مكنهم من تحقيق السلطة والبقاء فيها ومن يساعدهم في ذلك ويضرب ميكيافلي في هذا الصدد مثالين : فرانسيسكو سفورزا وقيصر بورجيا حيث أصبح فرانسيسكو دوقا لميلانو بقدراته وهو الواقع مواطن عادي أما قيصر بورجيا والذي عرف بدوق فالنتين حصل على السلطة على أساس نفوذ والده وسرعان ما فقد ذلك بعد سقوط نفوذ والده ،رغم اتخاذ جميع التدابير

1 لويس عوض ، ثورة الفكر في عصر النهضة الأوربية المرجع نفسه ،ص: 81

لتعزيز البقاء في السلطة بمساعدة الجيوش وعطفهم ،فمن الضروري أن يعمل الحاكم على وضع أسس مسبقة قد يتمكن من تطوير مواهبه لاحقا وإذا لم ينجح في النهاية فهذا ليس خطا منه لا بل سوء الحظ أو الطالع وما ينجر عنه وعندما أراد الاسكندر السادس أن يرفع من شأن ابنه الدوق كان عليه أن يمر بكثير من الصعوبات حاضرا ومستقبلا حيث لم يجد له منصبا لأي ولاية لا تخص الكنيسة بحيث كانت القوات المسلحة في ايطاليا تحت إمرة الذين يخشون عظمة البابا وبالتالي لم يعتمد عليهم فاتجه إلى إثارة الفتن في المدن الايطالية بغية ضمان السيادة على البعض منها "[2] .

ومن هنا يتبين أن مجيء الملك إلى ايطاليا قد كان بمساعدة البنادقة ورضى الاسكندر. "وتمكن من تحقيق أهدافه ،التي رسمها كما عزم الدوق على الاعتماد على أسلحته الشخصية وقوته الذاتية أوأن يعتمد على حسن الطالع لغيره حيث قام بإضعاف قوات الكولون و الأورسيني في روما وأضحت العلاقة بين الدوق وشعبه شديدة ثم انتهز الفرصة ليبطش ويسحق زعماء الكولون والاورسيني، وتغلب الدوق على جميع الصعوبات التي اعترضته في سياسته وذلك بمساعدة الفرنسيين إلا أنه لم يعد يثق بالغير سواء تعلق الأمر بالقوات الفرنسية أو الأجنبية ،كما لجأ إلى الخداع ليخفي أسراره واستمر الدوق على هذا المنوال وبقوة ليبسط سلطته على الجميع كما كسب ثقة الشعب وسار البعض على منواله وبدأ الدوق في إنشاء حكومات قوية وقاسية ليحكم الشعب كما رؤى الدوق أن السلطة المتناهية غير مناسبة حيث أنه قد تولد الكراهية في نفوس الجماهير وأنشأ دارا للعدالة برئاسة رجال ممتازيين ، وأعلن عن أن القسوة التي استخدمها قد كانت ذات أهداف قام بتحقيقها الوزير المعين وعند ما حانت الفرصة قام بقتل الوزير المعين **روميرو**وشطر جسده إلى قسمين ثم ألقى به في شيزينيا وبجانبه سكين ملطخ بالدماء فذهل الشعب لهذا المنظر

2 مكيافلي: الأمير ترجمة أكرم مؤمن ، المرجع نفسه ، ص: 44

إلا أنه رضي بذلك"[3] .ما نفهمه من هذه السياسة أن الغاية بررت الوسيلة في الحفاظ على السلطة بمعنى أن الملك عين وزيرا قاسيا ليحكم زمام الأمور ولكن عندما رفض الشعب قساوته قام الملك بقتله فلا تهم الوسيلة المستخدمة بل الغاية من الفعل .

إن انتهاء الدوق من تحقيق أهداف حاضرة أدى به الأمر إلى النظر للمستقبل بأربعة طرق

أولها القضاء على جميع الأفراد الذين ينتمون إلى الأسر الحاكمة والطريقة الثانية هي الفوز بصداقة نبلاء روما لكبح جماح البابا، أما الطريقة الثالثة فهي السيطرة على المجتمع أما الطريقة الرابعة اكتساب أكبر قدر من القوة الممكنة وبالفعل تمكن الدوق من السيطرة بشكل كامل على المجتمع .

وهنا "تمكن الدوق من تقوية مكانته ولم يعد يخشى الفرنسيين الذين طردهم الأسبان من مدينة نابولي" [4]. فمراجعة ما قام به الدوق يؤدي بميكيافلي إلى القول أن هذه الشخصية مثالا يحتذى به فهو حاكم شجاع اعتمد على طموحه ،فالأمير الناجح هومن يؤمن نفسه ضد أعدائه ويكسب الأصدقاء مستخدما الخديعة والقوة حتى تكون الغلبة في صالحه وهنا بإمكان الشعب أن يحبه بل يخشاه لتجتمع فيه الكثير من الصفات التي سنتكلم عنها في المبحث الموالي على رأسها الصرامة والشفقة والكرم ومداركه واسعة ،كما أنه يحافظ على صداقته مع الملوك والأمراء بطريقة تسعدهم إذا أفادوه وتخيفهم منه إذا نال منهم مضرة .هذا مثال عن دوق اختار احتلال المماليك بفضل مساعدة الآخرين أوما يعرف بالصدفة وحسن الطالع "**أما النوع الثاني من الأمراء** فهومن وصل إلى السلطة بفضل الحظ أومايسمى بالكفاءة ويتكلم ميكيافلي هنا عن الإمارات الكنسية وهي في الأصل محكومة بعادات دينية قديمة وهي عادات قوية تحافظ على أمرائها الذين يحكمون

3 مكيافلي: الأمير ترجمة ،أكرم مؤمن ، المرجع نفسه ،ص: 64 - 47
4 فاروق سعد الأمير تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده، المرجع نفسه ،ص : 92

ولا ياتهم ولا يدافعون عنها ودون اهتمام بالرعايا ورغم ذلك فهم لا يفقدون هذه الولايات فهي إمارات أمنة وسعيدة فهي محمية من الله "[5]. ويتساءل ميكيافلي كيف تمكنت الكنيسة من الوصول إلى هذه القوة الزمنية العظيمة ؟ .لقد كانت ايطاليا قبل مجئ شارل ملك فرنسا خاضعة لحكم البابا والبنادقة وملك نابولي ودوق ميلانووالفلورنسيين وتمثلت مهمة هؤولاء في عدم السماح لأجنبي بدخول ايطاليا بقوة السلاح دون أن توسع حكومة من الحكومات الراهنة أملاكها وقد تطلب الأمر عناية وحماية خاصة من البابا والبنادقة ، رغم الضعف والشلل الذي اعترى البابوية مع العلم أنه هناك من البابوات من كانوا متمتعين بالقوة في تلك الفترة ومثل ذلك البابا " **سيكستوس(sectiose)** الذي بالرغم من قوته وحسن طالعه لم يمكنانه من التخلص من مختلف الشرور فبقي البابا قليل الاحترام في ايطاليا ،لتظهر حقيقة أخرى تمثلت في مجيء الاسكندر السادس الذي جعلنا نقول أن البابا من الممكن أن يسود بالمال والقوة ولقد كان هدفه إعلاء مرتبة الكنيسة رغم أن البعض قال بأنه وجد الكنيسة قوية وقوة الاسكندر قد دمرت الأحزاب وطرد الفرنسين من ايطاليا واستحق الثناء الكبير لأنه حافظ على قوة الكنيسة .

"وأضحت الكنيسة ذات قوة إلى غاية مجيئ قداسة البابا ليوالعاشر والذي وجد الكنيسة في وضع قوي للغاية حيث واصل الطريق في تقوية الإمارة الكنسية بواسطة قوة السلاح كما بدأ أسلافه البابوات ".[6] ومن هنا أصبحت البابوية قوة عظمى متمتعة بمهابة كبيرة وكل يحترم الإمارة الكنسية**أما النموذج الثالث من الأمراء** فهوالذي يعتمد على المكر ويساعده حسن الطالع بفضل دعم النبلاء وهي الطبقة الأرستقراطية إلى جانب تأييد الجماهير وهذا ما يسميه ميكيافلي بالإمارة المدنية فالطبقة الارستقراطية والجماهير البسيطة موجودة في كل مدينة وهما متعارضتان

5 مكيافلي: الأمير ترجمة ،أكرم مؤمن الأمير المرجع نفسه ،ص: 63

6 فاروق سعد : الأمير تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده ، المرجع نفسه ،ص: 104 .

وذلك لأن الشعب يريد تحاشي تسلط الطبقة الأرستقراطية ،التي تسعى للبطش بعامة الشعب وإذا رأت الطبقة الأرستقراطية أنها عاجزة عن مواجهة الشعب تلجأ إلى تعيين أمير منهم في استطاعته تحقيق ما يرغبون فيه من مطالب أما عامة الشعب فيحولون تقديم أمير منهم لمقاومة طبقة النبلاء وهنا يتمكن الشعب من الاحتماء من بطش النبلاء بفضل هذا الأمير القوي، إن الأمير الذي يصل إلى السلطة بمساعدة الطبقة الأرستقراطية يجد صعوبة كبيرة في الحفاظ على منصبه في حين الأمير الذي يرفعه الشعب قد يكون أفضل حظا منه بحكم أن الشعب كقوة قام بتعيينه للدفاع عن مصالح الأفراد فيكون هدف الشعب أنبل من أهداف النبلاء. ويرى ميكيافلي أن الأمير لا يستطيع حماية نفسه من شعب ناقم عليه ويرفضه فالشعب كقوة بإمكانه حماية نفسه من النبلاء لأنهم قلة وجحيم الأمير يتمثل في سخط الشعب عليه وفي النهاية سيتخلى عنه حتما وينظر إلى بديل أخر لعله يحقق له أماله المرجوة، وما قد يخشاه النبلاء هوالمعارضة الفعالة والجدية بحثا عن الغلبة لذلك لابد للأمير أن يعيش مع الشعب على خلاف النبلاء فالعامة يرضون بالعدل بينما النبلاء يرغبون في التعسف والبطش ،كما أنه من الواجب على الأمير أن يحافظ على صداقته ومحبته للشعب باعتباره مختار ومنتخب من طرفه في حين أن الأمير الذي يصل إلى السلطة عن طريق النبلاء فلابد أن يسعى إلى كسب ود الشعب وعطفه .

ولأن يتحقق ذلك" يرى ميكيافلي أنه يجب أن يضمن الحماية لجميع الأفراد الذين يحكمهم حتى يقفوا معه في أوقات الشدة والعصيبة لقد استطاع **نابيس أمير اسبارطة** من الصمود أمام حصار اشتركت فيه بلاد اليونان بأسرها متعاونة مع الجيش الروماني واستطاع أن يحمي بلاده محافظا في نفس الوقت على مكانته مع مشاركة فئة قليلة من الشعب في هذه العملية والذي لم تكن معادية له . ويرى ميكيافلي أن من يبني على الشعب إنما يبني على أساس واه من الطين

وقد يصدق هذا القول على المواطن العادي الذي يحول الاعتماد على الشعب للتحرر من الطغيان فقد تتلاشى أحلامه وسيجد نفسه مخدوعا وهذا ما حدث **لجراكي** في روما **وجيور جيوسكالي** في فلورنسا ،فالشعب لا يخدع أميرا يدعم ولايته بالشجاعة والاستبسال هوقوي القلب في النهاية وهنا بإمكان الأمير أن ينجح في تسيير إمارته دون أن يتحول إلى أمير مستبد مطلق ."[7]

كما يرى ميكيافلي أن الأمير يحتاج إلى رجال في الظروف الصعبة فالأمير الحكيم هومن يبحث عن وسائل تجعل رعاياه في حاجة مستمرة إلى حكومته وهنا يخلصون الولاء له . ومن هنا يتبين أن الأمير العاقل يبحث عن الوسيلة المناسبة بغية الوصول إلى الغاية وهي الطاعة له في كل الأوقات والحالات .

3 / صفات الأمير الحاكم :

يتحدث ميكيافلي في كتابه الأمير عن صفات الأمير الحاكم حيث يجعل منها أساس نجاحه ويفتتح تحليله بصفتين هما السخاء والبخل ويقول " من الأفضل للأمير أن يكون كريما سخيا إلا أن السخاء بمعناه عند العامة قد يؤذي صاحبه "[8]. إن الأمير يريد أن يشتهر بالسخاء بين الناس وألا يتخلى عن كل المظاهر الفخمة وقد يستهلك الأمير جميع موارده ويضطر إلى فرض الضرائب الباهضة على الشعب في سبيل المحافظة على الشهرة مما قد يسبب للأمير كراهية من قبل الجماهير أوالشعب.

كما يسميهم ميكيافلي بالرعايا مما يؤدي إلى التقليل من احترامه إذا أضحى فقيرا وسخاء الأمير قد يستفيد منه إلا القلة وفي النهاية إذا أراد أن يغير من طبعه فانه يتهم بالشح والتقتير ،

7 فاروق سعد : الأمير الفكر السياسي قبل الأمير وبعده المرجع نفسه ، ص: 106
8 مكيافلي: الأمير ،ترجمة أكرم مؤمن ، المرجع نفسه ، ص : 58

فالأمير الذي لا يستطيع ممارسة السخاء بطريقة تضره ألا يخشى أن يوصف بالتقتير بل سيعتبر سخيا بمرور الزمن فالاقتصاد الذي يعتمد علية الأمير قد يكون كافيا للدفاع على النفس وهودخل كاف ضد كل من يريد أن يشن حربا على الأمير ، وهنا يحضر ميكيافلي مثالا حول "البابا جوليوس الثاني الذي كان بحاجة إلى هذه السمعة حتى يتمكن من شن الحرب واستطاع ملك فرنسا من شن عدة حروب دون أن يفرض أي ضريبة استثنائية على شعبه "[9]

أ/ **السخاء:**

ومن هنا يتوجب على الأمير ألا يعبأ إذا ما وصف بالبخل . يتوجب على الأمير أن يكون قادرا على حماية نفسه وألا يصبح حقيرا وفقيرا دون اضطرار منه أن يصبح جشعا زمن هنا قد يكون الشح رذيلة تمكنه من الحكم ، ولقد قيل بأن قيصر قد حصل على الإمبراطورية عن طريق سخائه أوغيره من وصلوا إلى السلطة الأعلى بفضل السخاء أوحتى بالتظاهر وكتب **ميكيافلي قائلا"** انك إما أن تكون أميرا أوفي طريقك إلى الإمارة ويكون السخاء في الحالة الأولى مضرا أما في الثانية فمن الضروري حتما أن يعتبرك الناس كريما جوادا "[10] إن الجود ضروري للأمير ليحافظ على مقامه فهناك الكثيرون من الأمراء حققوا أشياء كثيرة وعظيمة عن طريق جيوشهم ومع ذلك اعتبروا على غاية الجود والسخاء ،ويؤكد ميكيافلي قائلا : " إن الأمير قد ينفق من أمواله الخاصة ومن ثروات الآخرين وأموال الرعية ففي الحالة الأولى وهي إنفاقه من أمواله الخاصة ، لا بد أن يعرف عنه الاقتصاد في الإنفاق وفيما عدى ذلك يجب أن يهتم بأن يكون سخيا ،وهوأمر ضروري

9 فاروق سعد : الأمير ، تراث الفكر السياسي قبل وبعد ،المرجع نفسه ،ص: 140
10 مكيافلي: الأمير، ترجمة أكرم مؤمن ، المرجع نفسه ،ص: 84

لأمير يسير بجيوشه ويعيش على سلب الملكيات والغنائم والفدية فهو ينفق من ثروة غيره كما أن جنوده لن يساندونه دون أن يكون سخيا معهم "[11] .

ومن الممكن أن يكون الأمير سخيا بما لا يملك أو ما يملكه رعاياه كما فعل كورش والاسكندر والإنفاق من ثروات الآخرين لا يحط من سمعة الأمير بل سيرفع من قدره وقد يؤذيه الإنفاق ، مما يملك فالكرم قد يحطم نفسه بنفسه ، فكلما زاد كرم المرء فانه يفقد القدرة على المزيد منه فيتحول إلى إما فقير حقير أو جشع مكروه ليتحاشى الفقر وما ينبغي أن يتجنبه الأمير هو أن يصبح فقيرا أو مكروها لذلك يتوجب على الأمير أن يشتهر بالحرص الذي يجلب له اللعنة وليس الكراهية دون جشع لأن ذلك يجلب له والكراهية معا .

وعليه فهتين الخصلتين كشيء من السخاء وشيء من البخل يجب أن يشهر بهما الأمير وبطريقة دون أن تؤدي إلى الإضرار به ويبقى في تفكير دائم في الوصول إلى الغاية المطلوبة والحفاظ على السلطة وبالوسيلة التي يراها مناسبة .

ب/ الرأفة والقسوة :

ماالأفضل للأمير أن يكون محل محبة أوأن يكون محل خشية ؟

عندما نتحدث عن الرحمة والقسوة أو ما يسميه ميكيافلي بالشدة واللين نلاحظ تركيزه على الرحمة دون القسوة الفظيعة مع استخدام الرحمة بشكل صحيح وتاريخيا قد كان قيصر بورجيا من القساة الغلاظ القلوب مع العلم أن قسوته هته قد جاءت بالنظام والوحدة لرومانا وفرضت الاستقرار والولاء .

11 مكيافلي: الأمير ترجمة أكرم مؤمن ،المصدر نفسه ، ص :84

ومن جانب أخر" قد يوصف الامير بالقسوة ،فلا يكترث للأمر وقد يؤدي هذا الامر الى وحدة رعاياه وولائه ويكون هنا في استخدام الرأفة والرقة، وينتج عن ذلك اضطرابات ينجم عنها الكثير من سفك الدماء والنهب والسلب "[12] إن الحفاظ على أمن وأمان الرعايا من اهتمامات الأمير حتى باستخدام القسوة ، فتنفيذ حكم الإعدام على فئة قليلة من الناس لا يضر بالعامة والأمير الجديد هو من يتوجب أن يوصف بالشدة والقسوة لأن الولايات الجديدة تعاني دوما من الأخطار.

ولقد قال فرجيل (virgile) على لسان ديدو (didot) :

حالة بلادي وشئوني مستعصية

دولة في المهد وعرش متزعزع الأركان

هذه الظروف قاسية

تمنعني من نشر قواتي في كل اتجاه

لأحمي أملاكي بقوة وأحرس شواطئي عن كثب "[13]

وقال" **فرجيل على لسان ديدو:**

على كل أمير أن يواجه الحالات الحرجة ومقتضيات الملك الجديدة باتخاذ التدابير المناسبة وحماية الملك بإقامة حراس على مسافات بعيدة "[14] "ويرى ميكيافلي أنه من الضروري على الأمير أن يكون حذرا فيما يقوم به من أعمال وأن يكون شجاعا لا جبانا له من الحكمة الكافية لتسيير

12 فاروق سعد الأمير تراث الفكر السياسي قبل وبعد الأمير المرجع نفسه ،ص : 14
13 مكيافلي :الأمير، ترجمة أكرم مؤمن ، المرجع نفسه ،ص : 87
14 فاروق سعد الأمير تراث الفكر السياسي قبل وبعد الأمير المرجع نفسه ، ص: 145

الأمور دون غرور مع الحذر الشديد ،وهومطالب بإزالة الريبة وهنا يظهر لب المشكلة في أن يكون الأمير محبوبا أم مهابا أي هل يكون الأمير محبوبا أكثر منه مهابا أم مهابا أكثر منه محبوبا ؟"والأصح هوأن يكون الإنسان محبوبا ومهابا في نفس الوقت وقد يكون من الصعوبة الحفاظ على الصفتين معا وتبقى المهابة هي الأفضل .ويرى ميكيافلي أن عامة البشر ينكرون المعروف ويحبون المراوغة في الحديث مراءون ميالون إلى تجنب الأخطار يمتازون بصفة الطمع ويريدون الكسب وقد يكون الرعايا في صف الأمير طالما أنهم استفادوا منه وقد يقدمون أنفسهم وأطفالهم فداءا للأمير ولكن عندما يثورون فثمة رأي أخر "[15]. إن الأمير الذي يعتمد على وعود رعاياه حتما سيهلك فهذه العملية غير أمنة ولن تكون في صالحه فالبشر لا يترددون في الإساءة إلى ذلك الذي يجعل نفسه محبوبا بينما يترددون في الإساءة الى من يخافونه .

فالمحبة قد تتحطم بفعل أنانية الناس فالمصلحة أسبق من المحبة والمهابة طريقة صحيحة لا تعرف الفشل أبدا . وضمن هذا المعنى كتب ميكيافلي قائلا " انه على الأمير أن يجعل نفسه مهابا بطريقة تجعله انم لم يحصل على الحب فانه يتجنب الكراهية على أي حال وذلك لأن المهابة وعدم وجود الكراهية من الممكن أن يجتمعا معا ويستطيع تحقيق ذلك كل من يمتنع عن التدخل في أمر أملاك رعاياه ونسائهم وعليه ألا يأمر بإعدام أي شخص إلا بعد التأكد من المبررات الكافية لذلك ويوضح أسبابه ويجب أن يمتنع عن الاستيلاء على أملاك الغير ،فالإنسان قد ينسى موت أبيه بسهولة عن نسيانه لضياع ميراثه ولا حاجة للأمير أن يوجد الذرائع لاغتصاب ملكيات الغير فمن يعيش على النهب سيجد دائما سببا يغتصب به متاع الآخرين بينما مسببات الإعدام أقل بكثير وتزول سريعا "[16]. قد يعرف الأمير بالشدة أوأن يكون صارما فهذه الصفة ستجعل

15 مكيافلي ترجمة أكرم مؤمن الأمير ، ص: 88
16 المرجع نفسه ،ص: 85 - 86

جيشه موحدا خاضعا لنظام موحد ومثل ذلك "**هانيبال** الذي على الرغم من قيادته لجيش يتألف من رجال من مختلف الجنسيات ويقاتل في بلاد أجنبية لم يقع أي نزاع بينهم أويظهر أي عصيان للأمير لا في أوقات سعده ولا في فترات نحسه ومثل هذا الوضع قد جعل منه إنسانا مهابا ومخيفا في عيون جنوده"[17] ."إن بقية الخصال غير كافية للأمير في حالة **سكيبو**الذي كان مشهورا في عصره وباقي العصور الوسطى فقد ثارت عليه قواته اسبانيا وسبب انهياره هوشفقته المفرطة، مما أتاح لجنوده قدرا من الفوضى وهذا لا يتفق مع النظام العسكري هذا ما أدى" **بفابيوس مكسيموس** إلى لومه عن ذلك وأطلق علية لقب مفسد الجندية الرومانية فهذه الطبيعة المتساهلة قد تقلل من هيبة الأمير وشخصيته حيث قد دمر أحد ضباطه مدينة لوكرا ولم يعاقبه "[18] وهنا يؤكد ميكيافلي أن مهابة الأمير وحب الناس له خاضعة لإرادتهم الحرة مع بقاء الخوف قائما من الأمير الذي يعتمد على ماله من سلطان لتقوية حكمه مع ضرورة الابتعاد عن الكراهية المدمرة .

ج/ الاحتقار والكراهية :

يتحدث ميكيافلي هنا عن الاحتقار والكراهية ضمن صفات الأمير الحاكم ويطرح سؤلا مفاده : كيف يتجنب الأمير الاحتقار والكراهية ؟ "إن أول ما يجعل الأمير مكروها هوأن يكون جشعا أو يغتصب ممتلكات الرعايا أو نسائهم فهذا ما يجب أن يمتنع عنه ومادام الأمير لا يقوم بهذا العمل فالرعايا سيعيشون في رضا كامل ،وعلى الأمير ألا يكون متقلبا وطائشا ولا مخنثا ولا جبانا أوضعيف العزيمة وهذا ما يجب على الأمير تجنبه في النهاية كما يتجنب القبطان صخرة قاتلة"[19]. إن العظمة من الصفات التي تزيد من شأن الأمير وترفع من قيمته حيث تكون القدرة

17 فاروق سعد : الأمير تراث الفكر السياسي قبل وبعد الامير ،المرجع نفسه ، ص : 143
18 مكيافلي: الأمير ترجمة أكرم مؤمن المرجع نفسه ،ص: 86
19 المرجع نفسه ،ص: 92

والمجد من اهتماماته دون أن يتراجع عن قراراته أويقبل طعنا أونقضا ،حتى لا يكون عرضة للخداع والتضليل ليحقق الأمير سمعة طيبة بين رعاياه حتى يكون في منأى عن أية مناورة للتأمر فهوقدير و محترم من طرف الرعية .

يؤكد ميكيافلي أن الأمير يخشى شيئين :" الأول داخلي ويتعلق بالرعايا والثاني خارجي يتعلق بالأجانب وهنا يمكن للأمير أن يحمي نفسه من العدوان الخارجي بفضل الأسلحة وهذا بالإضافة إلى الأصدقاء المخلصين على أن تكون قوة الأمير في امتلاكه للأسلحة الجيدة وتبقى الأحوال الداخلية هادئة في ظل غياب المؤامرات التي بإمكانها أن تحدث الاضطرابات وبالإمكان أن يحدث هجوما على الأمير من قوات أجنبية لكنه يتحمل الصعاب وهذا ما حدث بالفعل مع **نابيس الاسبرطي"**[20] إن التأمر أمر لا يمكن نكرانه فالرعايا بإمكانهم أن يتآمروا على الأمير فمن الضروري أن يحتاط ، من أجل أن يسود النظام داخل إمارته وبالإمكان تجنب التأمر بفضل سمعة الأمير ومحبة الرعايا له شريطة أن يبتعد عن صفتي الاحتقار والكراهية . إن الغاية من التأمر على الأمير إرضاء للشعب عبر وسيلة الاغتيال ولكن إذا علم الأمير بهذا التأمر فحتما سيغير من سياسته ويتجنب إثارة جموع المواطنين .

إن المؤامرات التي تحاك ضد الأمير لا تكون ناجحة بالضرورة لان المتآمر لا يكون ناجحا بمفرده دون وجود مجموعة من المواطنين الناقمين على الأمير ، فالناقم يكتشف بسرعة انطلاقا من النية في التأمر رغم أنه يعرف أن هذا الأمر محفوف بالمخاطر وحتى يستجيب الناقم لا بد أن يكون واحد من اثنين :إما صديق مخلص لك أوعدوشديد العداوة للأمير وهنا يوضح " ميكيافلي بشكل تفصيلي هذا التصور قائلا :" إن المتآمر لن يجد حوله سوى الحقد والخوف والشك

20 مكيافلي: الأمير ترجمة أكرم مؤمن المرجع نفسه ،ص: 93

والعقاب أما الأمير فهو محاط بقوة القوانين والأعوان الذين يحمونه وولاية تدافع عنه "[21] .إن المتآمر يشعر بالخوف قبل تنفيذ المؤامرة وبعدها حيث يكون الشعب عدوا له ولا يجد ملاذا له في النهاية .يقدم ميكيافلي مثالا تاريخيا حيث يقول " لقد تأمر الكنسكي على هانيبال بنتوفلي أمير بولونيا وهو جد هانيبال، الذي لم يكن له أقارب سوى جيوفاني وهو لايزال طفلا في ذلك الوقت وبعد الاغتيال ثار الشعب وقتل الكنسي وذلك بسبب السيرة الطيبة التي تتمتع بها عائلة بنتفولي في ذلك الوقت " [22] .فضلا عن ذلك لم يعثر الشعب على حاكم بعد مقتل هانيبال ليتم العثور على شخص كان يعيش في فلورنسا وكان والده حدادا وله صلة قرابة بالأسرة الحاكمة فجاء به الشعب إلى المدينة وولاه على الحكم. وظل يحكمها حتى أصبح جيوفاني شابا وهو في سن مناسبة للحكم حيث لم يكن هناك خليفة أخر لهانيبال سواه . ومن هنا يتبين أنه على الأمير ألا يهتم بالمؤامرات خاصة إذا كان الشعب يناصره ويحبه فهذا الأمر يحافظ له على السلطة مع الحذر من المستقبل، لذلك من الضروري أن يبقى الأمير محافظا على الروابط مع الشعب أسها المحبة ليرضى الشعب عنه ويسود السلم والأمان داخل الدولة . يقدم ميكيافلي مثالا عن فرنسا ،وهي من خيرة الدول في التنظيم والحكم بها مؤسسات تعتمد على حرية الملك وسلامته وفي مقدمة هذه المؤسسات البرلمان وسلطته ومن هنا اتجه الملك في ذلك الوقت إلى التعرف على مطامع النبلاء وحماقاتهم فقام بكبح جماحهم وأدرك من ناحية أخرى ما تحمله الجماهير من كراهية للنبلاء العظام وهي في نفس الوقت تقوم على الخوف "[23].

21 المرجع نفسه ،ص: 94
22 مكيافلي: الأمير،، ترجمة أكرم مؤمن ،ص: 94
23 فاروق سعد الأمير تراث الفكر السياسي قبل وبعد الأمير، المرجع نفسه ،ص: 156

يختتم ميكيافلي فكرته " بقوله انه على الأمير أن يحترم نبلاء ولايته لكن عليه أيضا ألا يجعل عامة الشعب يعادونه " [1] .ولكن هناك رأي مخالف لميكيافلي حيث كان الأباطرة الرومان يعيشون يعيشون حياة النبلاء وأظهروا قوة عظيمة ومع ذلك فقدوا سلطتهم وإمبراطورياتهم وقتلهم من تأمر عليهم من رعاياهم ،وهنا يناقش ميكيافلي أسباب هلاك الأباطرة الرومان عبر مجموع الصفات التي تمتعوا بها ويبدأ من **الفيلسوف ماركوس**" [2] (markos) إلى ماكسيمينوس(maximinos) وصولا إلى : ماركوس وولده **كومودوس وبرتينكس وجوليانوس وسيفروس** وولده **أنطونيوس وولده كركلا وما كرينوس وهاليوجابولوس والاسكندر وما كسيمينوس** وكل هؤولاء الأباطرة الرومان كانت أمامهم صعوبة ثالثة وهي" ضرورة تحمل قساوة الجنود وجشعهم ولقد كانت هذه الصعوبة من الأسباب الرئيسية في سقوط الكثير من الأباطرة فمن الصعوبة إرضاء الجيش والشعب معا بسهولة مع العلم أن الشعوب تفضل الأمير المعتدل رغبة في الراحة بينما الجنود يحبذون أن يكون الأمير ذا طابع حربي ، شرسا ، قاسي ومتعطش على أن يظهر بهذه الصفات اتجاه الشعب "[3] إن الأباطرة الذين لم يتمتعوا بالكفاءة والسمعة المناسبة لم يتمكنوا من كبح جماح الفريقين كان مصيرهم الخراب ومن هنا يتبين أن الإمبراطور الروماني قد لجأ إلى كل وسيلة من شأنها أن تجنبه التعرض لكراهية جماهير الشعب، وإذا حدث عجز في تحقيق هذا الأمر فكان لزاما عليهم تجنب كراهية أقوى الفريقين وأهمهم شأنا والغاية واضحة هي تقرب الأباطرة من الجنود بغية الحصول على عطف استثنائي بدلا من التعلق بالجماهير الشعبية . من الأسباب الرئيسية في سقوط الأباطرة الرومان هو" التواضع ومحبة العدل وعدم محبة الشدة وهذا ما حدث فعلا لماركوس وبرتيناكس والاسكندر مع العلم أن ماركوس قد

1 مكيافلي :الأمير ،ترجمة أكرم مؤمن المرجع نفسه ،ص: 95
2 الإمبراطور الروماني السادس عشر 121 180
3 نيكولا ميكيافلي ، الأمير ، ترجمة : الدكتور عبد الرزاق عبيد دار صالح تلانتيقيت للنشر والتوزيع بجاية الجزائر 2011، ص: 112

عاش عزيزا ومات كريما حيث انه ورث الحكم دون تفضل من الشعب أو الجند فضلا عن تمتعه ببعض الفضائل التي جعلت منه محترما بين أوساط الجماهير وحافظ على الشعب والجيش ولم يتطاول عليه أحدا كما أنه لم يكن محتقرا ولا مكروها "[1]. وعلى النقيض من ماركوس فقد كان بريتيناكس في عهد كومودوس فلم يستطيعوا مجاراة الحياة الشريفة التي أرادها كومودوس ،فأضحى مكروها امبراطورا بغير رغبة من الجنود والذين ألفوا الفوضى بالإضافة إلى الاحتقار نظرا لكبر سنه فكان السقوط سريعا في بداية الحكم . ومن هنا يتبين أن الأعمال الصالحة قد تجلب الكراهية في نفس مستوى الأعمال الشريرة، لذلك يرى ميكيافلي أن "الأمير الذي يريد الحفاظ على دولته أن يرتكب الشر في بعض الحالات حيث يسير الأمير مع التيار فإذا كان الجنود في صفه فعليه الاهتمام بهم ،بينما إذا كان الشعب في صفه يتوجب عليه العناية بهم فالغاية واحدة وواضحة هي المحافظة على السلطة ففي كل الحالات فالأمير يجب أن يتبع هوى الأقوى سواء تعلق الأمر بالجيش أوالشعب أوالنبلاء مع ضرورة الابتعاد عن الأعمال الصالحة لأنها مضرة لا بل هالكة للأمير"[2] .يقدم ميكيافلي مثالا أخر عن الاسكندر الذي عرف بطيبته لدرجة أن الكثير ممن عاصروه قد أثنوا عليه إذ أنه لم يعدم أحدا طوال فترة حكمه خلال أربعة عشرة سنة مع العلم أنه أعتبر حاكما مخنثا وأجاز لوالدته أن تسيطر عليه واحتقره الناس وانهار وتأمر عليه الجيش وقتله .إذا نظرنا إلى "**صفات كومودوس وسيفيروس وأنطونيوس وكاركلا وما كسيمينوس** فنجدهم أنهم قد وصلوا إلى أقصى درجات القساوة والجشع فضلا عن أنهم استطاعوا أن يكتسبوا الجنود إلى صفهم دون إساءة إلى الشعب مع العلم أن النهاية قد كانت مؤسفة للجميع ماعدا سفيروس، الذي تمتع بقوة خارقة في الحكم لأنه بباساطة حافظ على الصداقة مع الجنود إلا أن البطش بالشعب ظل قائما كما نجح في استقطاب الشعب والجنود إلى صفه واعترف به ورضي عنه

1 مكيافلي: الأمير ،المرجع نفسه ، ص: 96 – 97
2 فاروق سعد ، الأمير تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده المرجع نفسه ، ص: 159

الجميع استطاع هذا الحاكم " **سيفيروس** إجادة استخدام صفتي الثعلب والأسد التي يجب أن يقلدهما الأمير وبما أن **سيفروس** قد كان قائدا للجيش الروماني في **سلافونيا** وهويعلم بتكاسل **جوليانوس** قام بإقناع الجنود بأن يذهبوا إلى روما للثأر لمقتل **بريتناكس** وسار بهذا الادعاء إلى روما دون أن يكشف عن نواياه وأهدافه وحتى عند وصوله إلى ايطاليا لم يعلم به أحد .

وهنا ظهرت صفتي القوة والمكر لديه أي أسد مفترس وثعلب ماكر ، وأنتخب إمبراطورا وقام بقتل جوليانوس . إن كل من يتناول أعمال سيفيروس سيجده أسدا مفترسا وثعلبا ماكرا وهومهاب لدى الجميع لا يكرهه الجيش وله سلطان كبير وانطلاقا من سمعته الطيبة فقد احتمى بمحبة الشعب له دون كراهية تذكر مع العلم أنه كان جشعا لكن ابنه **أنطونيوس** قد تميز بقدرات عظيمة جعلته محل إعجاب الشعب ومحبوب من الجند وهورجل حرب بإمكانه تحمل صعوبات كثيرة، ولقد كان قاسيا ووحشياإن "الوحشية والقسوة التي تميز بها ابن سيفيروس" أنطونيوس " [1] قد تسببت في قتل الكثير من مواطني روما إلى جانب الإعدامات التي قام بها ومن هنا تحول إلى حاكم يكرهه الناس ويمقته الجميع وفي النهاية قتل من قبل فرقة من أفراد جيشه "[2] .إن المهابة من الصفات الواجب أن تتوفر في الحاكم كما أكد ميكيافلي وجاء بمثال سيفيروس الناجح الذي جمع بين مكر الثعلب وافتراس الأسد بينما سوء استخدام القسوة يؤدي إلى هلاك الحاكم . ينتقل ميكيافلي إلى حاكم أخر وهو" **كومودوس** الذي كان بوسعه الاحتفاظ بمنصبه والذي وصل إليه بالوراثة والذي تميز بالوحشية في طباعه كما ظل يجامل الجيش ليسطر وينهب الشعب فضلا عن أنه لم يحترم شخصيته كإمبراطور ودون هبة من الجنود الذين احتقروه انطلاقا من القيم التي امتاز بها، وتميز بنزوله إلى حلبات المصارعة ليتحدى المصارعين مما أدى هذا الأمر إلى تنامي

1 إمبراطور روماني حكم مابين 138 161
2مكيافلي :الأمير ترجمة ، أكرم مؤمن ، المرجع نفسه ،ص : 99

الكراهية من ناحية والاحتقار والازدراء من ناحية أخرى بمعنى، أنه أساء لنفسه ولإمبراطوريته وقتل في النهاية بتأمر من البعض" [1]. إن قوة الأمير تكمن في احترام مرتبته دون إساءة لسموه فالوحشية ليست صفة من شأنها أن تحافظ على قيمة الأمير بل تكون سببا في هلاكه لذلك لا بد للأمير أن يتفادى الكراهية والاحتقار ليكون ناجحا.

عزيمة بها عظمة وشجاعة وقوة وصرامة وهذا ما يؤدي الى احترام الشعب للأمير ولا يجرؤ أحدا في مخادعته أومغالطته . ويتحدث ميكيافلي عن شخصية أخيرة وهي تتعلق بالرجل المحارب مكسيمينوس "[2] ،حيث انتخب إمبراطورا خلف للاسكندر الذي وصفه الشعب بالمخنث وذلك بعد موته إلا أنه لم ينعم بهذا الانتخاب مدة أطول نظرا لتعرضه للكراهية والازدراء انطلاقا من عاملين أساسين أولهما الأصل الوضيع للاسكندر وثانيهما التأخر في الالتحاق بحكم روما وتميز بالقسوة والشدة واقترف الكثير من الأعمال الوحشية ،فالاستياء من أصله الوضيع والكراهية خوفا من وحشيته دفع بالكل إلى السخط عليه وقتله في الأخير . لا يريد ميكيافلي التحدث عن الإمبراطور **هيليوجالوباس وماكرينوس وجوليانوس لانهم كانوا في غاية الاحتقار ويختتم ميكيافلي بقوله** " إن أمراء عصرنا يلقون صعوبات أقل بكثير ممن ذكرت فهم مضطرون إلى إرضاء جيوشهم بدرجة كبيرة ،وهم إن كانوا ذوي وضع خاص إلا أن مايواجهونه من صعوبات سرعان ما ينتهي حيث لا يوجد من بينهم من يملك جيشا يرتبط ارتباطا وثيقا بإمارات الحكم والمقاطعات كما كان الحال في الجيوش الرومانية" [3]"إن الاحتقار والكراهية صفتين لا تقودان إلى نجاح الأمير في الحكم ولا يريد ميكيافلي الكلام عن هذا النوع من الأباطرة المنهزمين والمحتقرين .ويتكلم

1 فاروق سعد ، الأمير تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده ،المرجع نفسه ،ص: 163
2 إمبراطور روماني حكم مابين 235 , 238
3 مكيافلي :الأمير ترجمة أكرم مؤمن ،المرجع نفسه، ص :101

ميكيافلي قائلا " وحينذاك لم يكن هؤولاء الأباطرة حريصين على إرضاء الجند قبل إرضاء الشعب سوى أن الجند كانوا يفعلون ما لم يستطيعه الشعب ماعدى الأتراك ومماليك مصر فان إرضاء الشعب أكثر من الجنود أمر يلتزم به الأمراء كافة لأن الشعب يفعل ما لا يفعله الجنود وأنا هنا أستثني سلطان الأتراك لأنه يحتفظ باثناعشر ألف من المشاة حوله دائما وخمسة عشر ألف من الفرسان وعليهم تتوقف سلامة المملكة وقوتها "[1] .يعود ميكيافلي من ناحية أخرى ليتكلم عن الأباطرة الذين يريدون إرضاء الجند بكافة الطرق ويستثني من ذلك الأتراك ومماليك مصر ومن جانب أخر بإمكان الشعب أن يعمل أكثر من الجند إلا أن القوة التي يظهر بها الحاكم انطلاقا من القوة العسكرية التي يملكها، تمكنه من بسط سلطته وهذا عبر عددية الجنود الذين هم تحت امرته ومثل ذلك سلطان الاتراك الذي أعطى قوة وسلامة لمملكته . [2]

إن الغاية في هذه الحالة واضحة هي الحفاظ على قوة السلطان عبر وسيلة الجنود دون اهتمام بالشعب الذي أضحى لا يمثل حيزا من الاهتمام للحاكم . ويرى ميكيافلي من جهة أخرى أن السلطان ملزم بالحفاظ على ود جنوده دون النظر إلى الشعب ويمكننا أن نلاحظ أن ولاية السلطان تختلف عن ولايات الأمراء الآخرين فهي تشبه البابوية المسيحية فأبناء الأمير المتوفى لا يخلفونه على العرش وإنما يخلفه أولئك الذين ينتخبهم أصحاب الشأن والسلطة لهذا المنصب . يميز ميكيافلي بين السلطان والأمير فالسلطان إن أراد الحفاظ على السلطة لا بد من كسب ود الجنود ولا يكون الشعب محور اهتمامه ،وفي ذات الوقت مملكة السلطان شبيهة بالبابوية المسيحية كما أنه لا يمكن توريث الحكم كما هومعروف في حكم الأمراء .

1 فارق سعد : الأمير ، تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده المرجع نفسه ، ص: 165
3 مكيافلي :الأمير ترجمة أكرم مؤمن ،المرجع نفسه، ص :101

إن سقوط الأباطرة كما ذكر ميكيافلي، يكون عبر الكراهية أوالاحتقار وكل إمبراطور قد سار على نهجه الخاص فكان النجاح أوالفشل هوعنوان كل واحد ولقد حاول **برتيناكس والاسكندر** تقليد **ماركوس** ولكن دون فائدة تذكر بل كانت محاولات ضارة وكان كلاهما أميريين حديثين وماركوس أميرا بالوراثة نفس الشيء بالنسبة كاركلا وكومودوس وماكسيميميموس فلم يستفيدوا من تقليدهم لسيفيروس ،حيث لم يتمتعوا بما لديه من قدرات حتى يسيروا على نهجه والأمير الحديث العهد لا يستطيع تقليد أعمال ماركوس أثناء ولايته دون تقليد لسيفروس بل يجب أن يأخذ من هذا وذاك ما يفيده وما يرفعه من أجل حكم صارم وقوي داخل دولة قائمة ووطيدة الأركان .

د/ المحافظة على العهود : يتساءل ميكيافلي عن كيفية المحافظة على العهود من قبل الأمير حيث نال الثناء الكبير إذا ما وفق في المحافظة على العهود دون مكر أوخداع ، إلا أن الواقع يؤكد لنا أن الأمراء الذين حققوا أعمالا عظيمة لم يصونوا عهودهم إلا قليلا بل استخدم البعض منهم المكر للتأثير على العقل .

يرى ميكيافلي "أن هناك طريقتين للقتال واحدة لها قواعد وقوانين والثانية تعتمد على القوانين فقط والطريقة الأولى للبشر والثانية للحيوانات المفترسة "[1] .إن الطريقة الأولى غير كافية لتحقيق الأهداف عادة لذلك يلجأ الإنسان إلى الطريقة الثانية ومن الضروري أن يكون الأمير متحكما في الطريقتين بمعنى إجادة استخدام الطريقتين معا أي طريقة الإنسان والحيوان وهذا الأمر نصح به قدماء كتاب الحكام في الماضي مستشهدين بمثال" أخيل وغيره من الأمراء الذين أرسلو إلى **شيرون القنطور الخرافي** ، ليربيهم ويعلمهم بطريقته أي النصف الإنساني والنصف الحيواني

1 مكيافلي: الأمير، ترجمة أكرم مؤمن ، الأمير ، ص: 89

وهذه دعوة للأمير الذي لا بد له من الطريقتين ليكون ناجحا فطريقة واحدة لا تكفي"[1] . إذن على الأمير أن يتعلم طريقة الحيوان بل هم مجبر على ذلك في تقليده للثعلب والأسد معا فالأسد لا يستطيع حماية نفسه من الفخاخ كما أن الثعلب لا يستطيع الدفاع عن نفسه أمام الذئاب فمن الضروري أن يكون الأمير ثعلبا ليواجه الفخاخ وأسدا ليرهب الذئاب ،ومن يريد أن يكون أسدا لا يفهم الأمر جيدا . فعلى الأمير ألا يحفظ عهدا يضر بمصلحته وينسى الاهتمام بالوعود وقد يعتقد البعض أن هذا المبدأ شرير بالنظر إلى طبيعة البشر خيرة بمعنى كل البشر يكونون أخيارا فيكون هذا المبدأ شريرا في هذه الحالة وإذا كان البشر أشرارا لا يحافظون على عهودهم وهذا بطبيعة الحال وهنا فالأمير بإمكانه عدم المحافظة على عهوده في هذه الحالة ولم يفشل أي حاكم في اختلاق الأعذار المقبولة التي يبرر بها عدم الوفاء بالعهد وفي ذلك أمثلة تاريخية تؤكد ذلك فالعديد من العهود قد بطلت بسبب عدم الوفاء بها من قبل الأمراء ولهم من المشروعية للتبرير وتحقيق الغاية المطلوبة .إن الأمراء الذين استطاعوا تقليد الثعلب قد حققوا الكثير من النجاحات الباهرة إلا أن التوفيق في هذه المهمة يتطلب شيئا مهما وهو إخفاء الأمير لهذه الصفة بمهارة، مع التمويه والخداع خاصة من جانب الناس البسطاء ،الذين ينخدعون بسرعة ومنهم العديد الذين هم على استعداد لقبول أي أمر واقع فخداعهم سهل للغاية .

يقدم ميكيافلي مثالا حديثا يتعلق **بالاسكندر السادس**" الذي كان يحاول دائما التغرير بالناس والذي نجح في هذه المهمة حيث كان من الذين يقدمون الضمانات وتأكيد الأمور عن طريق الحلف الكاذب وكان بارعا في عدم الوفاء بالعهود لذلك نجحت حيله بامتياز "[2] .لقد كان

1 فاروق سعد ، الأمير تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده ،المرجع نفسه ، ص: 148
2 مكيافلي: الأمير، ترجمة أكرم مؤمن ، المرجع نفسه ، ص: 90

الاسكندر السادس أستاذا في الكذب وأعظم فاسق عرفه التاريخ ورغم ذلك قد كان يوهم الناس بالفضيلة كما قال ميكيافلي . كما أنه ليس من الضروري أن يتصف الأمير بالصفات المذكورة سابقا وهنا يقول ميكيافلي" إن المحافظة على التحلي بهذه الصفات والحفاظ عليها أمر خطير لكنه أمر مفيد على أي حال وعلى ذلك فمن المفيد أن يبدوالأمير رحيما وفيا حلو الصفات صادقا متدينا وأن يكون ذلك فعلا وليس مظهرا فقط ولكن يجب أن يتهيأ عقله لكي تتحول إلى أضداد هذه الصفات عند الحاجة "[1] .إن الأمير الجديد لا يمكنه مراعاة كل الأشياء الخيرة فهو مضطر للحفاظ على دولته فهولا يفي بالعهود أويخلص لها بعيدا عن الرأفة الإنسانية والدين فهو مضطر للشر كوسيلة لبلوغ الغاية وهي الحفاظ على النظام والسلطة .كما يتوجب على الأمير أن يصون لسانه دون أن يفضح نفسه بأقواله مما قد يتناقض مع الصفات المذكورة وهي التظاهر بالرحمة، حفظ العهود، الشعور الإنساني النبيل، الإخلاص، التدين لذلك من الضروري أن يبدورحيما وصادقا ومستقيما ومتدينا أمام من يراه ومن يسمعه وهذه الصفة الأخيرة ضرورية لأن الناس يحكمون على ما يرونه بأعينهم وليس على ما يدركونه فكلنا يستطيع الرؤية لكن قلة قليلة تستطيع أن تدرك واقع الحال الذي أنت عليه وهي غير قادرة على مواجهة الكثرة التي تحميها مهابة الأمير وفي كافة أعمال البشر وخاصة الأمراء فالغاية تبرر الوسيلة وهذا حكم لا يمكن نقضه "[2].

يصل ميكيافلي إلى أن غاية الأمير المطلوبة وهي أن يصدقه الناس بوسائل متعددة وصفات تجعله دائما هو الأقوى والجميع أمير لم يذكر اسمه والذي كان يدعو إلى السلام والوفاء وهو في الحقيقة عدولهما ،ولو اهتم بأي منهما في مناسبات عديدة لضاعت منه دولته وخسر اسمه يتبعون

1 المصدر نفسه ، ص: 90 ،91
2 فاروق سعد ، الأمير: تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده المرجع نفسه ، ص: 150

سياسته دون مزايدات أو قراءات خاطئة .وهنا يكون الأمير حاكما بوسائل تظهر أنها شريفة في ظاهرها بينما في باطنها أمر أخر كما يمدحه الناس في طبيعة الحكم الذي يتبعه ،ويقدم ميكيافلي مثالا عن **الشهرة:** يتساءل ميكيافلي عن كيفية اكتساب الشهرة من قبل الأمير أي كيف يعمل الأمير لاكتساب الشهرة ؟. إن ما يؤدي إلى احترام الأمير هو الأعمال العظيمة والأعمال غير العادية بصفة عامة ويذكر ميكيافلي مثالا عن ملك **الأراغون** باسبانيا وهو أمير حديث العهد وأول ملك في العهد المسيحي وهو ملك ضعيف ورغم ذلك اكتسب شهرة كبيرة ومجدا ذوذروة كبيرة وأعماله خارقة للعادة وعظيمة وبدأ عهده بمهاجمة غرناطة "[1] إن هذا الملك قد أضحى مشهورا بفضل عزيمته وإصراره ونال شهرة وسلطانا وقام بصيانة الجيش بواسطة أموال الكنيسة والشعب ومن خلال الحروب الطويلة وضع لنفسه شهرة ومكانة بالإضافة إلى أنه تشدد دينيا . لقد استخدم هذا الملك مختلف الوسائل لبلوغ غاياته حيث يتحجج بذرائع متنوعة حيث هاجم إفريقيا ثم فرنسا كما قام بطرد العرب من مملكته وسلبهم ما يملكون وأذهل الجميع بمشاريعه العظيمة وجعل الشعب مشغولا بالتطلع إلى النتائج وبقي هذا الملك ذو شهرة على أساس أنه لم يترك مجالا لأي إنسان ليحس بالاستقرار أويبدي عملا ضده ،وهكذا يكون هذا الأمير نموذجا للأمير ذوالشهرة العظيمة ،والتي أوصلته إلى مرتبة الإجلال والتقدير. ويرى ميكيافلي أنه من المجدي أن يقدم بعض الأمثلة البارزة على عظمته في الإدارة الداخلية والمثال التاريخي **لبرنابو** في ميلان يؤكد ذلك من خلال أعماله ومن الناحية الدينية يجب على الأمير أن يظل يبحث عن طريقة مناسبة للثواب والعقاب .

وهذا على أساس أنه يريد أن يحقق من خلال أعماله ما يقوده إلى الشهرة والعظمة إلى جانب التميز الذي يجعله في حالة من المهابة الدائمة. كما أن الأمير في ظل الاحترام الذي يلقاه

[1] فاروق سعد :الأمير تراث الفكر السياسي قبل وبعد الأمير، المرجع نفسه ،ص: 174

من العامة وذلك انطلاقا من الإخلاص في الصداقة أو شديد العداء، وهنا يتوجب على الأمير أن يكون محددا لكل علاقاته بصرامة شديدة دون تردد .ان السياسة المتبعة تكون ناجحة باعتبار أنه المقرر في جميع الحالات . "يؤكد ميكيافلي أن الأمير لا يبقى محايدا فإذا اشتبكت دولتان مجاورتان للأمير في حرب فلابد من موقف الذي يؤدي إما إلى خوف من الدولة المنتصرة، أو عدم الخوف منها وفي كلتا الحالتين يجب أن تعلن عن موقفك بصراحة وأن تخوض الحرب فعدم خوضك إياها في الحالة الأولى يجعلك فريسة سهلة للمنتصر، مما يبعث في نفس المهزوم الرضي والبهجة ولا تجد سببا أو مبررا للدفاع عن موقفك ،كما أنك لن تلقى أحدا يرحب بك إذ أن المنتصر ايا كان لا يرغب في اتخاذ أصدقاء لا يطمئن إليهم ولا يسارعون إلى مساعدته ،في وقت شدته أما المهزوم فلن يرحب بك بدوره لأنك لم تخض المعركة إلى جانبه دفاعا عن قضيته "[1]. إن هذه الصفات تمكن الأمير من تقوية شخصيته وموقفه لبيتعد عن الانهزام والقهر، كما يتعلم الأمير كيف يتخذ موقفا شخصيا اتجاه قضية معينة أو حرب كما يتوجب على الأمير آن ينحاز للمنتصر يصل ميكيافلي إلى القول أن الايتوليون طلبوا من أنطيوخيوس المجئ إلى بلاد اليونان لطرد الرومان منها فلبى طلبهم فمن هنا بعث أنطيوخيوس بالرسل والخطباء إلى الأخيين أصدقاء الرومان لتشجيعهم للبقاء على الحياد بينما أقنعهم الرومان من الناحية الثانية بخوض المعركة إلى جانبهم وانتقل الموضوع إلى الاخيين لمناقشته وانتقل الموضوع إلى مجلس الاخيين لمناقشته وهنا رد "**سفير الرومان** بقوله "ليس ابعد عن الحقيقة مما استمعتم إليه من قول من الأفضل والأجدى لدولتكم عدم التدخل في الحرب، إذ أن عدم تدخلكم فيها سيجعلكم مفترقين إلى كل عطف وكل سمعة بالإضافة إلى أنكم ستصيرون حتما الجائزة التي يحصل عليها المنتصر أيا كان "[2].

1 فاروق سعد ،الأمير تراث الفكر السياسي قبل وبعد الأمير ، المرجع نفسه ، ص: 176
2 المرجع نفسه ، ص : 177

إن الأمير مطالب بتحديد موقفه صراحة ،لأحد الطرفين فإذا انتصر من انضم إليه الأمير سيظل يدين له بالمعروف ،مهما كان قويا لتبقى الصداقة مستمرة بينهما وتبقى الخيانة بعيدة عن خصال المنتصر ،ولا يستطيع البطش بمن ساعده في محنته وحتى في حالة انهزام حليف الأمير فيبقى الاعتماد عليه أمرا ضروريا فقد يصبح قويا في مرحلة أخرى ويبقى على الأمير أن يناصر أحد المتحاربين وهذا في مصلحته ولضمان مستقبله واستمرارية نظام حكمه . إن الأمير كما يرى ميكيافلي مطالب بالحذر في التحالف مع الأقوى إلا إذا كان مضطرا إلى ذلك وفي هذه الحالة فالأمير بإمكانه الاعتداء على الغير وإذا ظفر الحليف بالنصر فسيظل الأمير تحت سلطته وإمرته ومن واجب الأمراء تجنب أن يكونوا تحت إمرة غيرهم ويقدم "ميكيافلي مثالا توضيحيا في هذه الحالة ويتعلق الأمر بدوق ميلانو الذي اتحد معه البنادقة رغم أنهم قد كان بإمكانهم تجنب هذا التحالف الذي أدى إلى تدميرهم ."[1]

لا يمكن للدولة أن تظل مطمئنة إلى سياستها ،بل يتوجب أن تضع الشكوك نصب عينيها فيتوجب تمييز طبيعة الصعاب التي قد تتعرض إليها لتتجنب اقل الأضرار باعتبار أن كل السياسات مشكوك في أمرها ، فمن الحكمة أن نكون قادرين على معرفة وتهذيب طبيعة الصعاب التي تواجه الدولة . ويركز ميكيافلي في الأخير على ميل الأمير إلى أصحاب الكفاءة والمهارة والجدارة وتفضيل المقتدرين هذا على أساس تشجيع النخبة من الأفراد في جميع أنواع الفن تجارة كانت أم زراعة أو أي نوع من المهن التي يمتهنها الناس، مع مكافأة كل من يعمل بإخلاص ،ويسعى لتحسين أحوال الدولة كما يجب على الأمير أن يلهي شعبه بالمهرجانات والمعارض في المواسم السنوية المتنوعة وفي نفس الوقت يكون الأمير مهتما بجميع الأطياف الاجتماعية ويعطي المثل بالاجتماع

1 مكيافلي :الأمير، ترجمة أكرم مؤمن ،المرجع نفسه ،ص: 110 – 111

معهم في كل مرة يستدعي الأمر ذلك ليظهر كريما وعظيما ،دون أن يقلل من احترامه وإجلاله ليبقى أكثر قوة وشهرة .

4. الدولة بين الازدهار والانحطاط :

يتكلم ميكيافلي عن سقوط ايطاليا في يد البرابرة مما استدعى الدعوة إلى تحريرها ويركز الاهتمام على أمراء ايطاليا الذين أضاعوا ولا ياتهم ، فالأمير الجديد يبدو وكأنه قديم في الحكم بمعنى يصبح أكثر ثباتا في ولايته وحكمه وكأنه يكتسب خبرة كبيرة وطويلة ويتابع الناس سيرة الأمير الجديد أكثر من متابعتهم للأمير الذي ورث الإمارة انطلاقا من السيرة الذاتية للأمير التي لابد وان تكون فاضلة وانجذاب الناس يكون حول ما يحصل أنيا دون النظر إلى الماضي البعيد خاصة إذا كانت الحالة الراهنة جيدة ،ويرضون بها دون أخرى مع العلم أن الناس سيدافعون عن الأمير وهكذا يتضاعف مجده ويكسب الأمير الجديد العار انطلاقا من الفشل في الحفاظ على السلطة لافتقاده الحكمة المطلوبة ."إن انحطاط الدول وازدهارها يعود إلى قوة الملك أو ضعفه وإذا تناولنا الأمراء الذين فقدوا عروشهم نجد ملك نابولي ودوق ميلانو وغيرهما كثير ويتعلق الأمر بالضعف الذي اعتراهم كما ذكرنا فالبعض منهم يعادي شعبه وبعضهم الأخر يشتكي من قلة الأسلحة فهذه الأسباب هي التي تسقط الأمراء والملوك "[1]. يوضح ميكيافلي أن رجل الحرب يعرف كيف يحافظ على سلطته وعرشه ومساندة الشعب له ويقدم مثال تاريخي يتعلق الأمر"**بفيليب المقدوني**، لم تكن له دولة قوية يمكن مقارنتها بروما أوبلاد اليونان بل كان عارفا بشؤون الحرب ورجلا عسكريا، وكيف يؤمن علية القوم ،وكان ذلك سندا قويا له في مواصلة الحرب سنوات طويلة ،وان كان قد ضاعت له بعض المدن ورغم ذلك قد حافظ على مملكته "[2].

1 مكيافلي: الأمير، ترجمة أكرم مؤمن ، المرجع نفسه ، ص: 117
2 فاروق سعد : الأمير تراث الفكر السياسي قبل وبعد الأمير المرجع نفسه ، ص: 188

وهنا يركز ميكيافلي على فكرة مناشدة الأمراء للحظ وإلقاء اللوم عليه ما نتج عن ذلك فقدانهم لإماراتهم ولم يفكروا في أيام الرخاء والسلام بأن الأمور قد تتغير واعترى الأمراء ضعفا رهيبا فعوض الدفاع عن بلادهم وإماراتهم يفضلون الهروب وكانوا يأملون في أن الشعب قد يعيدهم إلى السلطة في يوم من الأيام ،وهذا الأمر قد يحدث ولا يحدث حيث لا يمكن الاطمئنان لهذه الوضعية فالأمير هنا لا يعتمد على نفسه بل على الغير وتبقى طرق الدفاع عن إمارات الأمراء هي التي تعتمد على النفس وعلى القدرات الخاصة دون إعانة من أخر.

لقد ركزنا ونحن ندرس الأمير لمكيافلي على مقدار ما يمكن أن نبين أنه جسد القيم والمشاغل التي عكست طريقة الأمراء في الحكم ، ولقد كان سوء الفهم لكتاب الأمير هو السمة الغالبة في عصره وذلك انطلاقا من سوء فهم وتقدير بين الكتاب والأدب السياسي التقليدي وكان الزعم أن كتاب " الأمير " لا يصنف بأي حال من الأحوال وقيل" أنه يتجاهل التصورات والمقولات التي اعتاد المنظرون السياسيون الأخر ونفي جيله أن يعبروا بها عن أنفسهم "[1]. وتبقى قوة الدولة في استخدامها للأسس القوية كما يقول مكيافلي " أن الأسس الرئيسية لكل دولة تؤلفها القوانين الجيدة والسلاح الجيد "[2] "ان تركيز مكيافلي على القوة يتعلق بإدارة الحكم، وكتب قائلا " يجب ألا يكون للأمير هدف آخر إلا اكتساب مهارة الحرب تنظيمها وعلمها "[3]

وإذا كان الحاكم راغبا في الحفاظ على دولته ليحقق أهداف الشرف والمجد والشهرة وهو يحتاج في نفس الوقت لتعهد المجموعة الكاملة من الفضائل المسيحية والأخلاقية أيضا ، وهناك يركز مكيافلي في الواقع من حيث الأهداف الصحيحة التي على الأمير أن يستهدفها وهي الشرف

1 كوينتن سكنر :أسس الفكر السياسي الحديث ،المصدر نفسه ،ص : 249

2 المصدر نفسه ،ص : 251

3 المصدر نفسه ،ص : 251

والمجد والشهرة وتبقى موهبة الأمير في اكتساب الصفات الحميدة لا بل التظاهر بها في جميع الأوقات .غالبا ما قيل أن مكيافلي قد حاول فصل السياسة عن الأخلاق وهذا ما جسد سوء الفهم للعلاقة بين نظرته وبين معاصريه ، وكان الاختلاف في فهم ووعي الأهداف التي جاء من أجلها الأمير وهوالفرق الحاسم الذي يفصل بينهما ، وتبقى أهداف مكيافلي ممثلة في الشرف والمجد والشهرة ، ومن هنا لا مفر للحاكم أن يكون نصف إنسان ونصف وحش وهنا يجب على الأمير أن يحس استخدام دور الوحش والإنسان ليكون ناجحا في سياسته بمعنى أن يكون سلوكا متماهيا مع نموذجين "الأسد والثعلب " ولكن رأى البعض أن مكيافلي أضحى شيطانا بمعنى رجل شرور شيطانية وأصبحت سمعته على هذا الشكل مع الأخلاقيين المسيحيين وكما سماه بعض المؤلفين "معلم الشر ". ولقد بقي اسم مكيافلي مادة كاريكاتورية في القرن السادس عشر وهناك ميل للشجب المخيف في مناقشة أعماله، وهذا ماكتبه" جانتيه" (jantier في كتابه ضد مكيافلي ولقد أجمع الكثيرون على أن مكيافلي في فلسفته لا أخلاقيا ولا متدينا انه حقا معلم الشر.

هكذا بدى لنا مكيافلي في عصر النهضة ،مؤرخا وفيلسوفا ، وسباقا للنظرية السياسة الحديثة رغم الصعوبات التي حالت دون أن تصل فلسفته للجميع .إلا أن ذلك اتضح أكثر بعد موته ،واتجه محور الاهتمام الى قراءة كتابه المميز الأمير والذي كان ممنوعا في وقت سابق ،فحضور المكيافلية كان لها الأثر المهم في العصر الحديث والمعاصر الى جانب الفكر العربي، فهل يمكن الكلام عن نهاية للمكيافلية في ظل الاهتمام بها ؟فكيف قرأ فلاسفة الفلسفة الحديثة نيكولا مكيافلي ؟ وهل تمكن فلاسفة الفلسفة المعاصرة من فهم ووعي النظرية المكيافلية؟ وهل استطاع الفكر العربي وعي نظرية مكيافلي السياسية ؟وكيف ساهم مكيافلي في اثراء الفكر السياسي

والأخلاقي وما تأثيره على الفكر الحديث والمعاصر ؟وهل لقيت نظرية مكيافلي الصدى المطلوب في الفكر السياسي المعاصر ؟ هذا ما سيتم توضيحه في الفصل الثالث حيث سنتطرق الى الفيلسوف الروسي غرامشي والفلسفة الانجلزية والفرنسية الحديثة الى جانب الفلسفة الفرنسية المعاصرة وصولا الى الفكر العربي .

الفصل الثالث:

الميكيافيلية في الفكر السياسي الحديث و المعاصر

1-الميكيافيلية و الفلسفة الحديثة

2- الميكيافيلية و الفلسفة المعاصرة

3- الميكيافيلية و الفكر العربي

الميكيافلية في الفكر الفلسفي الحديث والمعاصر :

إن تفكير ميكيافلي لم ينل التقدير المناسب والمستحق إلا منذ القرن الثامن عشر فترجمت أثاره إلى العديد من اللغات حيث يثني عليه روسو، ويحلل فيخته كتاب الامير في خطابه للشعب الألماني كما يشهد له هيجل بالعبقرية ويعتبر رانكه ميكيافلي مؤسس المنهج التاريخي الحديث كما سماه كافور وزعماء الريزور جيمنتو أنه رسول الوحدة الايطالية، ولم يكن في اعتقاد ميكيافلي أنه بإمكانه التنبؤ لتاريخ البشرية المقبل كما تنبؤ غاليليو بحركات الكواكب السيارة ومقصده لم يكن بعيدا عما قصده ماركس ،بعد قرون تلت ومضمون الأمر هو السيطرة على المستقبل وتسييره وكسب قوى جديدة في السياسة نتيجة معرفة قوانين التاريخ ولقد كانت فكرة السيادة التي شغلت جانبا هاما في تفكير ميكيافلي وحازت اهتمام الكثير من المفكرين السياسيين الذين تلوه أولهم المحامي جون بودان[1] 1530 1596 الذي كتب كتابه المسمى " عن الجمهورية " الذي نشره عام 1576 مقدما قيام النظرية السياسية على قواعد تاريخية وعلى ملاحظة الواقع ودراسة المؤسسات السياسية والقانونية وتتمثل" قيمة بودان في طريقته التحليلية تأثيرا على هوبز"[2] الذي نقل الفكر السياسي من السيادة الالهية إلى الحاكم المطلق بالتعاقد ، ومن هنا انتج هوبز 1588 1679 رؤية جديدة مغايرة لطبيعة المجتمع والدولة ورأى ان المجتمع هو من ينتج تلك الصلاحية الشرعية وليس القوة الذاتية للحاكم كما هو لدى ميكيافلي بل السيادة التي يهبها المجتمع ويخلعها على الحاكم.

1 محامي فرنسي أول من اهتم بكتابات مكيافلي 1530 1596
2 فاروق سعد: تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده ، المرجع نفسه، ص: 253

لقد افترض توماس هوبز حالة طبيعية يكتنفها العنف والحرب والقسوة والخوف والاضطراب واصف حالة المجتمع بالوحشية، تجعل من الإنسان في حرب مع الأخر مما استدعى قيام التعاقد الاجتماعي، كما اتسم جون لوك 1632 1704 بروح الفردية كما كان لدى هوبز فهو يرى ان المجتمع لم ينشأ إلا لحماية الحقوق الطبيعية للفرد والمصالح الشخصية التي بررت وجود المجتمع، واعتبر لوك أنه بالقانون تتكرس مصلحة الفرد وبواسطته تكون حماية حقوق الملكية الخاصة والحريات الشخصية كما يلزم لوك الفرد في ابرام العقد بأن يخضع إلى رأي الاغلبية، مع العلم ان الناس متساوون في الحقوق الطبيعية.

ويبدأ روسو 1712 1778مشواره في النظرية السياسية بتأسيسه لفكرة السيادة عبر منظومة جديدة وان كانت هيئتها العقد الاجتماعي دون تنازل عن السيادة ولا تقسيمها ومن ثمة اعادة بناء المجتمع المدني سياسيا على قواعد سلمية.

المكيافلية في الفكرالفلسفي الحديث :

1 النظرية السياسية عند توماس هوبز :1588 1679

بعد دراستنا السابقة لميكيافلي فيما يتعلق بالقيم الأخلاقية والسياسية ننتقل إلى فكر هوبز السياسي كرؤية جديدة ومغايرة لطبيعة المجتمع والدولة ولم تعد معتمدة على الدين فضلا على اعتمادها على البعد الفلسفي ويرى هوبز أن المجتمع هو صاحب الشرعية وليست القوة الذاتية كما كان مع ميكيافلي ،بل السيادة التي يهبها المجتمع ويخلعها عن الحاكم، ولم يكن هدف هوبز هو النظر في أحوال السلطة والحكم في انجلترا وفرنسا بل دراسة أفضل السبل في بناء الدولة على أساس فلسفي متين وتثبيت استقرار سياسي على أسس متينة رغم أن هوبز له اقتناع انه وجد الحل

النهائي لمسالة الدولة على أساس تجاوز أحوال العصر ويصرح هوبز" بأن كتاب تيوسيددس قد نبهه إلى الاخطار التي يمكن ان تعرض الديمقراطية الدولة والمجتمع لها"[1].

يفترض هوبز وجود حالة طبيعية يكتنفها العنف والحرب والقسوة، والخوف والاضطراب في محاولة منه إلى وصف حالة المجتمع وهي في ذات الوقت حالة وحشية تجعل الإنسان في حرب دائمة مع الأخر مما استدعى قيام العقد الاجتماعي بغية بلورة المجتمع المدني وهنا يتحول الإنسان من الكينونة الطبيعية إلى السياسية، ليدخل إلى مجال الدولة ويلتزم بالأوضاع القانونية داخلها، رغم أن هذه الحالة لم تلقى اجتماعا لدى أرسطو أو التي منها تنشأ الدولة، ومن هنا أضحى عقد هوبز" ينقل السيادة من الشعب إلى الحاكم وبالتالي يحصل التعاقد داخل طرف واحد وهو الشعب ولا يدخل الحاكم في العقد وهذا الأمر يثير إشكال كبير وهو أن الحكم سيكون تنازليا عوض ان يكون تعاقديا وسياسة هوبز قد حاولت تجاوز فلسفة أرسطو"[2] ،مرتكزا على اللغة كأهمية كبيرة للتواصل والتفاهم ويؤكد قائلا " لولا اللغة لما كان بين الناس لا دولة ولا مجتمع ولا عقد ولا سلم كما لا يمكن أن يكون ذلك بين الأسود والدببة والذئاب"[3] ، فالمجتمع السياسي حسب توماس هوبز ليس واقعة طبيعية انه بالنسبة اليه الثمرة الاصطناعية لميثاق ارادي ولحساب مصلحي وهذا ما يخالف فكرة أرسطو الذي يرى أن المجتمع السياسي ليس واقعة طبيعية.

1 توماس هوبز: اللفياثان ،الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة ،ترجمة ديانا حرب وبشرى صعب ومراجعة وتقديم رضوان السيد الطبعة الأولى ، يناير 2011 أبوظبي الامارات العربية المتحدة ،ص :12

2 علي عبود المحمداوي : الفلسفة السياسية المعاصرة من الشموليات إلى السرديات الصغرى ،ابن النديم للنشر والتوزيع دار الروافد الثقافية للنشر الطبعة الأولى ،2012 السانيا وهران الجزائر ، ص : 262

3 جان توشار : تاريخ الفكر السياسي المرجع نفسه ، ص :260

إن العقد الذي أراده هوبز يوجد الرغبة في السلم،وهو من الاهتمامات التي وجه فيها محور اهتمامه فالدولة هي مجموعة المصالح الخاصة ومن هنا فدورها الدفاع عن المواطن، من أجل غاية واحدة وهي الحماية مع ضرورة أنه يتنازل عن حقوقه للدولة، فمبرر وجود الدولة تأمين الأمن وأية سلطة روحية لا يمكنها معارضة الدولة والملك ليس فقط أداة الدولة بل الكنيسة أيضا انه يمسك باليد اليمنى السيف وباليد اليسرى عصا الأسقفية ومن هنا تظهر الدولة وأيضا وحدتها ولا مكان للأحزاب أو التكتلات وفي هذه النقطة ومجالها يسبق هوبز جان جاك روسو، ولم يتوقف هوبز في نقده لفكرة فصل السلطات ويدعم بقوة فكرة أطروحة السيادة المطلقة وليس للملك أي قيد خارجي يحد من سلطته.

ويعتبر هوبز تناحر القوى بين البشر ظاهرة طبيعية ضرورية وحاول "أن يستخلص نتائج منطقية تفرض بناء السياسة بناءا عقلانيا ويختلف تمام الاختلاف مع التصور الفلسفي اليوناني، والرجوع إلى الطبيعة والضرورة قد كان المبدأ الذي عاد إليه هوبز وسبينوزا وجان لوك وجان جاك روسو،لا من أجل البحث عن الطبيعة على غرار ما ذهب االسوفسطائيون قبل أفلاطون بل من أجل بناء عقلي للسياسة التي تضمن الحرية للجميع "[4] .ومن هذا التصور الذي أسسه هوبز يمكن القول انه قد عارض المفهوم الأفلاطوني والأرسطي للإنسان ودعى للنظر فيه على أساس واقعي طبيعي، وانتقد المفهوم الأخلاقي الميتافيزيقي للإنسان في الوقت الذي كان بلده غارقا في الفوضى والحرب الأهلية.

إن محاولة هوبز تحرير الإنسان من الخوف والأوهام قد كان من أجل محاربة حالة الفوضى التي كانت عليها الحياة الطبيعية، بخلاف المجتمع المدني الذي يضمن الحقوق على أساس القانون

4 بليمان عبدالقادر : الأسس العقلية للسياسة ،المصدر نفسه ،ص :53

الطبيعي الذي يدافع عن الذات بجميع الوسائل بغية تحقيق السلم والأمن على أساس التعاقد الجماعي، والدولة تظهر كشخص واحد بشرط أن يتم برضى جميع الإفراد،" ومضمون العقد الذي يقصده هوبز هو ذلك الاتفاق الذي ينسج بين الأفراد والذين قرروا أن يكون لهم ملك أي سلطة مركزية والتزموا بالتخلي عن جزء من حرياتهم لهذه السلطة أو هذا الحاكم "[5] ومن هنا فالحاكم فوق العقد والقوانين لأنه ليس طرفا في العقد ويتمثل دوره في خدمة المصلحة العامة ونشر العدالة داخل الدولة.

إن السلطة التي وضعت في يد الحاكم لا يستطيع أحد نزعها وحتى الإفراد المتعاقدين لا يستطيعون إلغاء هذا العقد فالتخلي عن العقد يؤدي إلى نشوب الحرب الأهلية لتعود الفوضى من جديد ونعود إلى الحياة البدائية، وانطلاقا من الصفات التي يتصف بها البشر منها حب الذات والأنانية إلى جانب حفظ العهود.

وتشكل قوانين الطبيعة منها العدالة، الإنصاف، التواضع، الرحمة، نقيضا للأهواء الطبيعية والتي توجه الإنسان إلى التحيز والغرور والانتقام وهذه القواعد الطبيعية تثير المخاوف، وتبقى الاتفاقيات البعيدة عن السيوف مجرد ألفاظ خالية من أي قوة تؤمن الحماية.

إن الحماية التي يقدمها الحاكم مرتبطة بالمصالح والممتلكات العمومية لتحقيق العدل والحرية والمساواة والاعتناء بالضعفاء والسهر على حياتهم حيث يتحمل كل الأعباء دون ان تتقاسمها أية هيئة كانت تشريعية أو شعبية، ويبقى البشر في تنافس دائم نحو الكرامات والأمجاد وتظهر الرغبة و الكره وتبرز الحرب أخيرا، ومن هنا يقوم الجميع بإخضاع إرادتهم لإرادة واحدة

5 نور الدين حاروش: تاريخ الفكر السياسي ،المصدر نفسه ،ص: 297

وفي شخص واحد وكأن" فرد يقول للأخر أنني أخول هذا الرجل أو هذه المجموعة من الرجال وأتخلى عن حقي في أن يحكمني أو تحكمني شرط ان تتخلى له أو لها عن حقك "[6].

فالمجموعة المجتمعة تدعى في هذه الحالة بالدولة، وعندما تتفق وتتوافق مجموعة من الأشخاص و الذين منحتهم الأكثرية حق التمثيل وكل هذا من اجل الحصول على السعادة و الحصول على الحماية من خطر الآخرين، فالدولة تقوم على تعهد الجميع ليكون التفويض من خطر الآخرين، فالدولة تقوم على تعهد الجميع ليكون التفويض للحاكم في النهاية، وهذا هو التشكيل الهندسي للدولة حسب هوبز وفق ثلاث قواعد : يأتي الحاكم المطلق نتيجة اتفاقية ، وهو ليس طرفا في العقد، وأخيرا فالأفراد مجتمعين أو منفردين مسؤولون عن جميع أعماله، لذلك توجد وسيلتان لبلوغ السلطة المطلقة، فالوسيلة الأولى تعرف بالقوة الطبيعية، أما الثانية فتعرف باتفاق البشر فيما بينهم خضوعا لشخص واحد.

عندما أخضع ميكيافلي الإيمان لمصالح الأمير فقد أراد من وراء ذلك إحداث قطيعة مع العصور الوسطى ليتبعه هوبز معلنا عن فاعلية قوة السلطة التي يتمتع بها صاحب السيادة رغم أن جون لوك 1632 1704 قد قال " انه بقدر ما تبدو الدولة بالغة القوة كما يراها هوبز فإنها لا تستطيع أن توفر أساسا قويا كفاية للمجتمع المدني "[7] . ولقد افترض هوبز وجوب الطاعة والحاجة اليها على الدوام، ليتمكن صاحب السيادة من الحفاظ على النظام ولكن السلطة المطلقة قد تتمتع بها مجموعة ولها وجوب الطاعة من قبل الجميع، حيث منحه الشعب وسائل القوة طالما أنهم يلجأون اليه في حاجتهم وتلبية رغباتهم ولكن أين تكمن الضمانة للحقوق ؟.

6 توماس هوبز: اللفيتان ،المصدر نفسه ،ص :180

7 جون اهرنبرغ : المجتمع المدني التاريخ النقدي للفكرة ،المرجع نفسه، ص : 171

ان دولة المستبد المطلق كما رأها هوبز لن تكون ضرورية والمصلحة الفردية هي التي أدخلت قيم العداء العنف والحقد التخريب المتبادل حيث يكون الأمر معاينا في حالة الطبيعة المسالمة ولم تكن هناك سلطة متواجدة للفصل في مختلف الخصومات ومن هنا أضحت الدولة أكثر من ضرورة في تنظيم حياة البشر قضاءا على خرق النظام من طرف الأفراد والذين يتجهون إلى المجرى الطبيعي العفوي في العقاب المتبادل، لذلك فلا بد من سلطة قوية تحد من هذه العفوية بشكل صارم ويتمثل ذلك في الدولة.

إن فلسفة هوبز السياسية جعلت منه يؤسس لفلسفة السيادة المطلقة للحاكم لوضع حد للفوضى إلي يعرفها المجتمع، عكس ما تصوره فلاسفة اليونان فبدلا من قبول الإنسان كما هو في الواقع، راح هؤلاء يبحثون عن كائنات مجردة لا تناسب سوى ما في عقولهم من عالم للمثل، فقيم الإنسان التي ذكرناها سابقا والتي يركز عليها هوبز اهتمامه تبين أنه ينقاد إلى التعصب والحمق ومختلف القيم الجاهلة لأنه يعج بالخوف والحسد والغيرة والشهوة، مما يؤدي إلى الأخطاء ميلا نحو العدوانية والأنانية، "فالسياسة لا يمكن ان تكون منسجمة إلا إذا قامت على فهم حقيقي على للإنسان ولا يمكن أن يكون حكمها مستقرا إلا إذا اعترفت بالأهواء الإنسانية كطاقة أساسية للحياة والسعادة"[8] لا يمكن للمجتمع أن يستقر في ظل وجود الأهواء، الخوف و الغيرة والفرح والغضب إلى جانب الأنانية رغم أن هذه القيم تختلف من مجتمع إلى أخر، كما أن مفهومها يقترب من فلسفة مكيافلي كامتداد لفلسفته عند هوبز، فماهية الإنسان الطبيعي لديه لا تكشف عن انفصال العقل وتعاليه على الأهواء وإرادة الإنسان ليست مسرحا يتبارز عليه العقل والشهوات فالبشر تسيرهم الرغبة ذاتها ويختلف من شخص إلى أخر، ومن ينشأ الانشقاق وبصورة عامة

8 بليمان عبدالقادر : الأسس العقلية للسياسة ،المرجع نفسه ص : 53

المشكلة السياسية ولو لم تكن الرغبة موجودة لما كانت السياسة مشكلة بين البشر ولما كتب هوبز كتاب اللفيتان، والذي يذكر فيه قائلا " تركيب جسم الإنسان هو في تبدل مستمر فانه من المستحيل أن تسبب الأشياء نفسها فيه الشهية والتجنب ذاتها دائما فكيف بالأحرى يجمع البشر جميعا على الرغبة في الموضوع نفسه أيا كان"[9] .

يجب التركيز على أن فلسفة هوبز السياسية في دراستها لطبيعة الإنسان والمجتمع ونشوء الدولة وأصلحها تنح منحا عقلانيا ويدافع عن الحكم المطلق وليس كما فعله سابقوه باسم الحق الإلهي للملوك أو باسم مصلحة الأفراد أو باسم البقاء والسلم، فهو يجعل الحكم دنيويا ويدل على منفعته، ومبررا لذلك بفكرة السلطة الزمنية التي يتبعها الحاكم خلاصا من إشكالية الدين والسياسة وما عرف تاريخيا بالسلطة الروحية، وأضحت الكنيسة عند هوبز مؤسسة فحسب " وعلى غرار أية مؤسسة يجب أن يكون لها رأس والرأس هو الحاكم فالدين بأية معنى يخضع للقانون والحكم "[10] ومن هنا تكون فلسفة هوبز مهتمة بالتعاقد الاجتماعي حيث لا يمكن تصور مجتمع وسياسة بدون ذلك وهو في ذات الوقت لا ينفي دور العقل بل ينطلق من فكرة التساوي المطلق بين البشر على أن يكون طبيعيا في القوة على اعتبار أن الأضعف يستطيع بالحيلة القضاء على القوي وفي الذكاء الذي يكون فيه البعض أكثر حكمة.

وتتضح "فلسفة هوبز في كونها ذات معالم حداثوية تبرز خصائصها كما يلي :

1. إرساء قواعد الحكم المطلق بعيدا عن السلطة الدينية وإخضاع الكنيسة للسلطة المدن.

9 توماس هوبز: اللفيتان المصدرنفسه ص : 61

10 علي عبود المحمداوي :الفلسفة السياسية المعاصرة ،المرجع نفسه ص : 28

2.الخلاف مع فكرة أن الدولة كائن طبيعي ذو بعد ميتافزيقي بل هو مصطنع من ارادة الإنسان.

3.الكشف عن ألية الديمقراطية في اختيار الحاكم.

4.والهدف في الأخير هو السلم وتحقيق العدالة باسم القانون المدني الإنساني " [11]

وعليه تبقى الغاية واحدة هي المحافظة على الوجود، ولا يبقى من فرق بين الغزو والاعتداء و المقاومة والدفاع ولا فرق بين الظلم والحق اذ كلاهما يثير الشك المتبادل

2 من سيادة الحاكم إلى سيادة الشعب : جون لوك 1632 1704

بعد تطرقنا للنظرية السياسية عند توماس هوبز الانجليزي نعرج إلى الفيلسوف الانجليزي جون لوك الذي اتسم فكره بروح لفردية كما كان لدى هوبز حيث يرى ان المجتمع لم ينشأ إلا لحماية الحقوق الطبيعية للفرد والمصالح الشخصية التي بررت وجود المجتمع، ويعتبر لوك أن القانون هو الذي يجسد مصلحة الفرد كما تكون الحريات الشخصية محمية إلى جانب حقوق الملكية الخاصة، ويختلف لوك مع هوبز في ان الحاكم يكون طرفا في العقد المبرم، وبعكس فلسفة هوبز السياسية يعتقد لوك "أن حالة الطبيعة هي حالة سليمة نسبيا وليست الطبيعة بالنسبة إليه لا مفترسة كما يرى هوبز ولا كاملة عند روسو أن حالة الطبيعة هي حالة الطبيعة هي حالة الأمر الواقع أنها وضع قابل للإكمال "[12]يبني لوك فلسفته السياسية على فكرة فصل السلطات، بمعنى السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية يجب ألا يجتمعا في نفس الأيدي، "فالسلطة التنفيذية الروح التي تعطي الشكل والحياة والوحدة للدولة والسلطة الشريعية محددة بالحقوق الطبيعية وهي سلطة الحرية وهذه الحرية هي من أجل السعادة وعلى هذا الأساس فكل سلطة لكي تكون سياسية يجب

11 علي عبود المحمداوي :الفلسفة السياسية المعاصرة ،المرجع نفسه ، ص : 28
12 جان توشار تاريخ :الفكر السياسي المصدر نفسه ،ص :296

ان تكون أولا عادلة "[13]. ومن هذه النقطة تتضح الفكرة لدى لوك انه إذا تخلت السلطة عن الحقوق الطبيعية وعلى رأسها الحقوق الطبيعية وخاصة الحرية والملكية الفردية، هنا يحق للأفراد الثورة كحق يبيح حسب لوك تأمين الحقوق واحترام الشرعية مع ضرورة التعقل ولقد كان القصد لدى لوك من تعاقد الإفراد تحقيق جملة من الأهداف.

إن المحافظة على أملاك الناس وعدم السماح لأية هيئة أو فرد أن يعتدي على الآخرين، والضامن الوحيد هو منح ثقة محدودة للملك لمنع الطغيان، ووضع الثقة الكاملة في البرلمان وإسناد قضايا العدالة إلى المحلفين والقضاة ويكون فصل تام بين هذه الهيئات فكل هيئة تعمل في مجالها واختصاصها، وإذا كان هوبز قد أوجد أسلوب العقد بصورة عقلانية ليفسر نشوء الدولة والحكم المطلق فيها، ومن ثمة خالف لوك هذه النظرية ومفهوم العقد عنده يكون بالتراضي" فالعقد هو نوع من الاشتراط والتكليف من الشعب من المجتمع إلى الحاكم مادام أنه طرفا أساسا في العقد وعليه أن يتحمل مسؤولية ذلك التكليف وعليه يجب محاسبته ان أخل بذلك العقد الذي أبرمه الشعب معه"[14].

ان فلسفة لوك السياسية تتجه صوب تصور تأسيس الدولة على اساس العقد ويرى أن الأفراد على قدر من المساواة والحرية ويخضعون لسلطة العقل والطبيعة بخلاف الحرب و العنف التي كانت مع هوبز.

لقد رفض لوك الحكم المطلق وتبريره عند هوبز فيقول " ان الملكية المطلقة التي يزعم بعضهم انها نمط الحكم الوحيد لا تتفق مع طبيعة المجتمع المدني لأن هدف المجتمع المدني تلافي

13 نور الدين حاروش: تاريخ الفكر السياسي ، المصدر نفسه ،ص : 3

14 علي عبود المحمداوي الفلسفة السياسية المعاصرة ،المرجع نفسه، ص:29

تلك المساوئ التي تنجم ضرورة عن كون كل امرئ في الطور الطبيعي الحكم في القضايا التي تعنيه هو ومعالجتها بإقامة سلطة معروفة بوسع كل فرد من افراد ذلك المجتمع أن يلوذ بها... وحيث لا يوجد قوم لا سلطة بينهم من هذا النوع الذي يحتكمون اليها في النزاع بينهم، فهؤلاء القوم ما يزالون في الطور الطبيعي "[15] وبالعودة إلى الحالة الطبيعية ينحو لوك منحى يؤيد فيه واقعية هذا الطور الطبيعي ويرى في ذلك منبعا طبيعيا تستمد منه القوانين وهو ملاذ الإنسان في النهاية ويعزو لوك تأليف المجتمعات إلى مشيئة الله التي فطرت وطبعتهم على حب الألفة، والاجتماع فانبثق المجتمع المنزلي ثم المجتمع المدني أو السياسي.

وانطلاقا مما سبق يبدو أن لوك يعود إلى أرسطو ونظريته الطبيعية في تكوين المجتمع إلا أنه يضفي فكرة التعاقد لتكوين الدولة، وبما أن هوبز قد فشل في فهم مسألة الحفاظ على الذات لم يعد بحاجة إلى سلطة صاحب السيادة "السياسة الإمرة" فالحفاظ على الذات يمكن ان يندمج الآن مع حماية الملكية ومن هنا يدعو لوك إلى حماية الحقوق الطبيعية قبل السياسية، فالأرض وهبت لجميع بني البشر لينمعوا بخيراتها ومنطلق لوك قد كان ارتكازا على فكرة انه لكل فرد الحق في ان ينال رزقه من هبات الطبيعة و يستفيد منها.

ويواصل لوك تصوره قائلا " لكني سأحاول أن أبين كيف أن يتملكوا بضعة أجزاء مما وهبه الله للبشر جميعا ومن دون أي اتفاق صريح بين عامة الناس "[16] . فالطبيعة تعطي للإنسان حقا خاصا في التملك استنادا إلى الحرية الطبيعية وملكية الفرد لشخصه بالذات وهنا أدرك لوك قيمة الملكية الخاصة كشرط ضروري للحياة الإنسانية على نحو أفضل من هوبز، وهذا ما يراه الفيلسوف

15علي عبود المحمداوي ، الفلسفة السياسية المعاصرة ، المرجع نفسه ،ص:30

16 جون اهرنبرغ :المجتمع المدني المصدر نفسه ،ص : 172

الانجليزي برتراند راسل قائلا " بالنظر لحالة الطبيعة كان لوك أقل أصالة من هوبز الذي اعتبرها حالة حرب للكل ضد الكل، والحياة فيها بغيضة بهيمية،وقصيرة "[17] ومن هنا تتضح فكرة لوك السياسية في سياقها المنهجي كالأتي:

1. عزل السلطة المدنية عن الدينية
2. التأسيس النموذجي الديمقراطي الليبرالية من خلال آلية اختيار الحاكم وممارسته للحكم ومحاسبة المجتمع له وكيفية تكون المجتمع من الأفراد وتشكل السيادة الشعبية.
3. ابتعاده عن بعض ميتافزيقيات هوبز مثل فرضية حالة الطبيعة الوحشية بتنظيره لحالة واقعية ليس فيها الشيء الكبير من الحرية والسلام المطلق ولا الحرب والرعب الدائمين بل هي حالة استقرار نسبي .
4. حاول لوك أن يحرر البشرية من فكرة السلطة المطلقة التعسفية بتأكيده على مبدأ المساواة والحرية.

ويرى برتراند راسل أن هناك دهشة في بعض أجزاء القانون الطبيعي عند لوك فهو يقول مثلا " أن الأسرى في حرب عادلة هم عبيد بمقتضى قانون الطبيعة"[18]. وطبيعيا فيحق للفرد ان يعاقب من يعتدي عليه أو على ما يملك حتى بعقوبة الموت وهنا لم يقدم لوك تحديدا فلو قبضت شخص متلبسا بسرقة صغيرة فيما الحق هنا ؟ بمقتضى قانون الطبيعة أطلق عليه النار، وهنا الملكية بارزة في فلسفة لوك السياسية وهي السبب الرئيسي في تأسيس حكومة مدنية فالغاية

17 برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية ،الكتاب الثالث الفلسفة الحديثة ،ترجمة محمد فتحي الشنيطي ،الهيئة المصرية العامة للكتاب الإسكندرية 1977 ص : 199

18 المصدر نفسه، ص : 202

الكبرى والرئيسية لجميع الناس هي ان يتحدوا داخل مجتمعات ديمقراطية، مع المحافظة على ما يملكون، وبالتالي للإنسان حق قانوني يحمي به نفسه.

من المسلم به أن آراء لوك السياسية قد كان لها الأثر الكبير في تطور الفكر السياسي والاقتصادي هذا إلى جانب الفكر السياسي التعاقدي الذي جاء به كتمهيد لمذهب روسو" كما أن تمييزه للسلطات الحكومية ،وهذا ما بدأ به مونتسكيو 1689 1755 كأساسا من الأسس التي يرتكز عليها الدستور الأمريكي إلى جانب نظريته في حقوق الإنسان الطبيعية التي تعد من أهم الأسس الفلسفية التي ترتكز عليها الوثائق التي تعرف باسم شرعية حقوق الإنسان منذ الثورة الأمريكية سنة 1776 والثورة الفرنسية سنة 1789 "[19].

ما يعني أن الطور الطبيعي قد طور الحرية، فالإنسان أضحى مميزا بحرية التصرف بشخصه وممتلكاته.

" فالبشر جميعا متساوون وأحرار فينبغي ألا يوقع أحد منهم ضررا بحياة صاحبه أو صحته أو حريته أو ممتلكاته "[20] ".ويعتنق لوك في عرضه لمبادئ السياسة، التقليد شبه التاريخي الذي كان سائدا في ذلك العصر وظهرت حالة من حالات الطبيعة الفطرية ونتيجة لعقد اتخذه الأفراد مشتركين للخضوع لحاكم أو عدة حكام في سبيل الحصول على مصالح بعينها"[21] .يؤكد لوك على

19 فاروق سعد :تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده ،المصدر نفسه ،ص : 259 260

20 ملحم قربان: قضايا الفكر السياسي القانون الطبيعي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع الطبعة الأولى 1982 بيروت لبنان ص : 55

21 زكي نجيب محمود الموسوعة الفلسفية المختصرة ،نقلها عن الانجليزية فؤاد كامل جلال العشري عبد الرشيد الصادق

دار القلم، بيروت لبنان، ص : 372

أن حقوق الحاكم محدودة كغيره من الناس، بواسطة قانون الطبيعة وهذا ما نقل الحكم من الحاكم إلى السيادة الشعبية ،ويمكن استرداد تلك السلطات إذا زالت الثقة، مع العلم أن لوك قد عارض السلطة المطلقة إلا أنه لم يكن ديمقراطيا، وتكون الدولة حامية لحقوق الأفراد وينبغي أن ينص القانون الوضعي على أن الثأر تقوم به الدولة، فإذا رأيت شخصا ينقض على أخيك انقضاضة قاتلة فمن حقك أن تقتله ولكن حيثما يوجد القانون تفقد هذا الحق الذي تأخذه منك الدولة وهنا يمكن القول أن القواعد الأخلاقية والقانون الطبيعي في انسجام ،ويتوجب التركيز على القوانين الحسنة والقوانين السيئة ولتطبيق القواعد الأخلاقية لا بد من رعايتها من طرف القانون الوضعي وبواسطة القانون الطبيعي، كما أن"الأمر عند لوك يقوم على القواعد الأخلاقية أرساها الله وعلينا أن نجدها في الإنجيل"[1] .مما يعني أن الإنسان مرتبط بالأساس اللاهوتي وبإمكان ذلك ان يعزز حقوقه لبلوغ السعادة الجماعية.

ويرى زكي نجيب محمود "أن نظرية لوك السياسية رغم ما قد يبدو عليه من خلو المغامرة ورغم أنها عرضت بلا شك عرضا مصطنعا عبر لوك تعبيرا واضحا عن الرأي المستنير في عصره "[2].

".[2]

يرى برتراند راسل" أن التأمل السياسي في القرن السابع عشر، قد كان هنالك نمطان للنظرية الخاصة بأصل الحكومة ولدينا نموذج لأحد النمطين عند" سير روبرت فيلمر" (robert filmer) المتوفى سنة 1653" ويسلم هذا النمط أن الله منح بعض الأشخاص السلطة ويمثلون الحكومة الشرعية والثورة على هذه الحكومات ليست خيانة فقط وإنما هي كفرا أيضا"[3]. ان هذه

1 برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية ،المصدر نفسه، ص :205

2 زكي نجيب: محمود الموسوعة الفلسفية المختصرة ،المصدر نفسه ،ص :373

3 برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية، المرجع نفسه ،ص : 206

النظرة قد لاقت إقبالا منذ العصور السحيقة ففي الحضارات القديمة فالملك شيء مقدس واعتبرها الملوك نظرية رائعة. ويمثل جون لوك نظرية سياسية ذات نمطية مختلفة تقوم على أساس التعاقد الذي يمثل أساس قيام الدولة المدنية أي هي من صميم الوجود الإنساني وليست شيئا تقيمه سلطة إلهية .ومن هنا يبني لوك نظرية العقد الاجتماعي على الحقوق الطبيعية للإنسان وهي الحقوق التي لا تزول بقيام الحكومة المدنية ،حيث يقول " بما أن البشر كما قيل هم بالطبيعة أحرار ومتساوون ومستقلون، فلا أحد يمكن أن يحرم من هذه الحالة ولا أن يخضع للسلطة السياسية الأخر بدون موافقته الخاصة، إن الطريقة الوحيدة التي يمكن لأي فرد أن يتنازل بها عن حريته الطبيعية ويتحمل التزامات المجتمع المدني تكمن في إجراء اتفاق مع بشر آخرين ،من أجل التجمع والاتحاد في جماعة بحيث يعيشون مع بعض في الرفاهية والأمن والسلام ويتمتعون بأمن أموالهم ويحمون أنفسهم "[1].

ومن هنا يتبين أن الحالة الطبيعية التي يصفها جون لوك يسودها السلام والمعونة المتبادلة وتكون الحقوق الطبيعية ملك لكل إنسان،ليؤكد على وجوب أن يكون المجتمع المدني مستمدا من رضا أفراده، وتكون السلطة المدنية ذات أحقية في صنع القوانين وحتى العقوبات واستخدام قوة الجماعة في تنفيذ القوانين ومعاقبة كل من لا يمتثل لها في سبيل الخير العام ولا يمكن لهذه السلطة أن تنشأ إلا بالرضا بين الحاكم والمحكوم عكس ما جاء به هوبز.

ويرى **عبد الرحمن بدوي**" أن جون لوك قد قال "أن القانون الطبيعي ليس متطورا في عقول الناس وإنما هو ناشئ عن اتفاق الناس"[2]. ومن هنا استنبط لوك فكرة الحق الطبيعي في الملكية، أي في اقتناء الأشياء وهو حق طبيعي داخل المجتمع المدني وبدون حدود،مع أنه من

1 نور الدين حاروش: المصدر نفسه ،ص : 308
2 عبد الرحمن بدوي :امانويل كانط فلسفة القانون والسياسة الناشر وكالة المطبوعات 27 شارع فهد السالم الكويت ص 9:

الضروري أن يكون القانون الطبيعي فعالا ليصبح ذو فعالية ليقبل البشر على الاجتماع ، ورغم محاسن الطور الطبيعي ألا أن الإنسان لجأ إلى القانون لحماية نفسه من مختلف المخاطر " وهنا يحمل كلا منهم على التنازل بيسر عن صلاحياته الفردية بمعاقبة المسيء وفقا للقوانين التي ارتضتها الجماعة أو فوضته بذلك عن طريق أحد النواب، وهذا هو منشأ السلطتين التشريعية والتنفيذية والحكومات والمجتمعات الأصلي"[1]. ومن هنا تصويب لوك كان على أساس" فصل السلطات ليتمكن الإنسان من ممارسة الحياة بشكل أفضل وتبقى لكل سلطة اختصاص نوعي، وهكذا غادر البشر الدولة الطبيعية لتشكيل مؤسسات قانونية ويبقى البشر متساوون في الحقوق الطبيعية والتي يمكن بلورتها في ثلاث حقوق " حق الحرية، حق الملكية، حق الحياة ومن هنا يمكننا أن نستنتج بأن المجتمع المدني عند لوك للقانون أو العدالة فالقانون موجود حتى قبل أن يتم العقد وما يجب أن يقوم به المجتمع هو تنظيم القوانين وجعلها مجسدة في أرض الواقع ،وهذا ما عبر عنه **إميل برييه** قائلا "إن الميثاق الاجتماعي لا يخلق أي شيء جديد،فهو عبارة عن اتفاق بين أفراد المجتمع يجتمعون ليستخدموا قوتهم الجماعية في وضع تلك القوانين موضع التطبيق"[2] .ومن هنا نستخلص أن القوانين الوضعية يجب أن تستمد تعاليمها من القوانين الطبيعية.

3 نظرية السيادة الشعبية عند روسو : 1712 1778

لقد وجد **روسو** نفسه منساقا إلى طرح مسألة مغايرة تماما وجديدة ويبتدئ روسو كتابه العقد الاجتماعي بعبارته الشهيرة "يولد الإنسان حرا ويوجد الإنسان مقيدا في كل مكان "[3] .ويؤسس روسو لفكرة العقد الاجتماعي دون تنازل عن السيادة ولا تقسيمها اذ تشكل الإرادة العامة روح الشعب ومصلحته العليا وهي في

1 ملحم قربان :قضايا الفكر السياسي، المصدر نفسه ،ص : 56 57
2 اميل برييه: تاريخ الفلسفة القرن السابع عشر ،ترجمة جورج طرابيشي ،دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان الطبعة الأولى 1983 ،ص : 328
3 علي عبود المحمداوي :الفلسفة السياسية المعاصرة، المصدر نفسه، ص : 32

ذات الوقت حاملة السيادة ،وقبل وجود الإنسان داخل دولة كان يعيش في حالة فطرية وجميع الأفراد فيها متساوين هذا بالإضافة إلى أن تصرفاتهم لم تكن معتمدة على العقل ولكن إلى المشاعر الفطرية فظهور الإثم والشر والسلوك اللا أخلاقي، ما هي إلا سمات نحو المدينة وارتقاء لحضارة،لتظهر العلاقات الاجتماعية في حال من التأزم ما أدى إلى بروز فكرة التملك والمنافسة والتفضيل والتفوق والغنى والفقر واشتد الصراع وانقرض التفاهم وإرساء أسس الدولة وفق عقد بمقتضاه يستتب السلم والاستقرار، لذلك يرى روسو ان القضاء على تلك السمات هو إعادة بناء المجتمع المدني سياسيا على قواعد سلمية، ذلك أن روسو يؤمن بالرؤية الأرسطية في تكوين المجتمع من الأسرة إلى الدولة، وفي العقد الاجتماعي يتنازل الأفراد عن جميع حقوقهم لصالح الجماعة وينشأ التعاقد الاجتماعي عندما يضع كل فرد إرادته الخاصة تحت إرادة أعلى منه ،وهذا ما يسميه روسو بالإرادة العامة، يبحث روسو عن الطبيعة على غرار ما ذهب إليه السوفسطائيون قبل أفلاطون بل من أجل بناء عقلي للسياسة التي تضمن الحرية للجميع،ويرى روسو قائلا " أن نبحث عن شكل للتجمع يحمي شخص كل واحد وممتلكاته بمجموعة القوة المشتركة، ويظل بواسطته كل واحد وان اتحد مع الجميع ،لا يطيع سوى نفسه فيبقى حرا بنفس الدرجة التي كان عليها في السابق ،ذلك هو المشكل الأساسي الذي يتكفل العقد الاجتماعي بتقديم حل له"[1].

إن نظرية العقد الاجتماعي عند روسو تدور حول السلطة والنظام السياسي الذي ينشأ عن تعاقد الناس واتفاقهم ووقف روسو عند سؤال محير وهو : كيف يمكن التوفيق بين الحرية الأصلية للأفراد وبين السلطة التي تتولى السيادة في البلاد ؟ .ومن خلال السؤال نستشف التعارض

1 جلال الدين سعيد :معجم المصطلحات ،دار الجنوب للنشر ،تونس أكتوبر 2007 ،ص: 260

الموجود بين الحرية الطبيعية للأفراد والسلطة الحاكمة، مع العلم أن روسو يمقت الحكم الفردي والقوانين الوضعية التي تحد من حرية الفرد.

"ان إجابة روسو عن هذا الإشكال تدور على أساس أن كل فرد يتنازل إراديا عن حقوقه للإرادة العامة وكل الأفراد يصبحون متساوون بمعنى التنازل جماعي وليس فردي أي إرادة الكل الناتج عن العقد "[1] .كما أنه يمكن اعتبار روسو أول داعية إلى التطور الاجتماعي وكانت محاولته في رسم التقدم التاريخي للمجتمع الإنساني بصورة منسقة ففي هذا المجال يتقدم قرنا كاملا عن انجلز والآخرين الذين جعلوا مسألة تطور المجتمع الإنساني موضوعا شعبيا ،ويستهل برتراندالي جوفينيل المفكر الفرنسي 1903 1987 دراسته عن روسو قائلا "والواقع أن كان سبق لهوبز ولوك أن تبنيا نظرية العقد الاجتماعي فقد أعطاها روسو مضمونا أجد و أبعادا أوسع "[2] .ومن هنا كان اعادة تأصيل العقد الاجتماعي من اهتمامات روسو الذي ذكر أنه لا توجد حالة حرب قائلا " لا في حالة الطبيعة حيث لا يكون ثمة ملكية ثابتة ولا في الحالة الاجتماعية حيث يكون كل شيء تحت طائلة القانون "[3] .وأراد روسو أن يقيم تعاقدا اجتماعيا يقي الإنسان من مختلف الشرور واستحسن في نفس الوقت الحكم الديمقراطي المباشر وفضله عن النظام النيابي الذي يراه فساد سياسي.

يرى روسو "أن كل دولة تحتوي في ذاتها ثلاث سلطات ولا تخرج عن نطاق الإرادة العامة المتحدة في ثلاثة :

- السلطة المطلقة أو السيادة.

1 نور الدين حاروش :تاريخ الفكر السياسي ،المصدر نفسه ، ص :329

2 فاروق سعد :تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده، المصدر نفسه :ص :264

3 محمد وقيع الله أحمد: مدخل إلى الفلسفة السياسية ،دار الفكر دمشق ،2010 ص : 178

– السلطة التنفيذية وهي المملكة التي يقيمها المشرع على الحاكم وفقا للقانون أو بسلطته.

– السلطة القضائية والتي تنشد العدل و القصاص"[1].

ومن هنا فالعقد الاجتماعي عند روسو قد أدى إلى تكوين الدولة وقيام سلطة جماعية لتكوين دولة تكفل الحرية وتصان فيها الحقوق ويعم الأمن والاستقرار، والدولة الشرعية عند روسو هي التي تحكم بالقانون الذي يعبر عن الإرادة العامة و هو في ذات الوقت يختلف مع مونتسكيو 1689 1755 في مسألة تقسيم السلطات وتبقى الحكومة في نظره هيئة تنفذ القوانين التي تسنها الدول وتبقى السيادة للشعب وهذا ما يخالف فكرة توماس هوبز، الذي اعتبر أن الملك هو صاحب السيادة المطلقة ويرى روسو كذلك أنه لابد من وجود القانون ذو الفعالية وكتب روسو يقول " يجب إذن أن توجد قوانين وعهود تربط بين الحقوق والواجبات وتشد العدل إلى غايته "[2] معنى ذلك أن يضمن القانون الوضعي تطبيق مبادئ القانون الطبيعي، كما يفرق روسو بين السيادة والحكومة فالسيادة مصدرها الشعب الذي اختار الحكومة لخدمته وخدمة مصالحه في شكل رئيس يختاره الشعب وإذا فقد الثقة به تتم تنحيته، فأفكار هوبز تبقى مخالفة لروسو لأنه لا يحبذ النظام السياسي البريطاني القائم على العرف والتقاليد والمبادئ الدستورية ويرى أن النظام الذي يصلح لفرنسا هو الذي يضمن المشاركة في الحياة السياسية ،ويضمن رقابة جماعية لنظام الحكم وتبقى السيادة للشعب.

وبالتالي ذهب روسو في العقد الاجتماعي إلى أن الحكومة لن تكون ناجحة إلا اذا كانت السيادة في يد الشعب بمعنى ،كل قانون لا بد أن يجيزه التصويت المباشر لجميع لمواطنين ،ويرى

1 jakline russ dictionnaire de la philosophie _bordas paris 1991 _ p 222
2 ملحم قربان: قضايا الفكر السياسي، المصدر نفسه، ص :58

برتراند راسل قائلا " إن نظرية روسو السياسية مبسوطة في كتاب العقد الاجتماعي الذي يختلف تماما من حيث الطابع عن معظم كتاباته، وان نظرياته تخدم الديمقراطية من طرف اللسان تميل إلى تبرير الدولة المستبدة "[1]. فكان روسو مناشدا لدولة المدينة بعيدا عن الإمبراطوريات كفرنسا وانجلترا وبالتالي فهو ماثل في فكر العقد الاجتماعي الفيلسوف الانجليزي جون لوك ولكنه سرعان ما ارتبط بالفكر السياسي عند هوبز، وذلك في انضواء الجماعة في وحدة متكاملة ليكون كل فرد محميا من طرف المجموع وهنا ينبغي أن نشير إلى أن الحاكم عند روسو لا يعني الملك ولا الحكومة بل الجماعة في قدرتها الجماعية والتشريعية. ولقد شاء روسو القضاء من البدئ على دولة الفرد انتقالا إلى المجتمع المدني انطلاقا من المجتمع الطبيعي، كإرادة عامة ويلخص روسو مفهوم العقد الاجتماعي قائلا "إذا نزعنا إذن من العقد الاجتماعي ما هو غير جوهري فيه، يمكن حصر معناه في العبارات التالية :إن كلا منا يضع شخصه وقوته تحت إرادة الإرادة العامة العليا،ويصبح كل عضو جزءا لا يتجزأ منها"[2] .اذن لم يكن عند روسو ذلك الاحترام العميق للملكية الخاصة الذي يتميز به لوك وتلاميذه فالدولة من حيث علاقتها بأعضائها هي سيدة كل سلعهم، ولم يعتقد بتقسيم السلطات كما ذهب إلى ذلك لوك ومونتسكيو.

ما يمكن استخلاصه مما تقدم أن الاجتماع أضحى أمرا ضروريا ومن المستحيل فضه والعودة إلى حالة الطبيعة، وكتب روسو قائلا " ان دور الحاكم محدود بوضع القوانين والسلطة التنفيذية أو الحكومة هي هيئة وسيطة تقع بين المواطنين والحاكم لتضمن اتصالهما المتبادل وإذا رغب الحاكم في الحكم أو المشرع في وضع القوانين أو إذا رفض المواطنون الطاعة لحلت الفوضى

1 برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية، المصدر نفسه، ص : 301
2 مختار عريب: الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيواتيقا ،كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ،الأبيار الجزائر 2009، ص : 168

محل النظام، ولسقطت الدولة في هوة الاستبداد أو الفوضوية "[1]. وفي هذه العبارة يعتقد برتراند راسل أن روسو متفق مع مونتسكيو.

ومن هنا فالإرادة العامة هي دائما على صواب لأنها تمثل ما هو مشترك بين المصالح الذاتية لمواطنين مختلفين فيتحتم أن تمثل أوسع إشباع جماعي ممكن للمصلحة الذاتية للجماعة وهذا التفسير في معناه يتفق مع ما يذهب إليه روسو، ويدعم أفكاره بميكيافلي كما أضحى العقد الاجتماعي انجيلا لمعظم قادة الثورة الفرنسية، لكنه لم يقرأ بعناية رغم أن روسو قد وحد بين القائد و شعبه توحيدا صوفيا .ويرى برتراند راسل قائلا " يمكن لقسط كبير من فلسفته أن يناسب هيجل في دفاعه عن حكم الفرد المطلق "البروسية" وكانت أولى ثمار فلسفته في الحياة العملية وديكتاتوريات روسيا وألمانيا"[2].

وبالتالي نرى أن روسو في نظريته السياسية أكد على أن الإنسان قد انتقل من المجتمع الطبيعي إلى المدني، وجاء هذا التحول نتيجة تطور تاريخي ورغم الانتقادات التي وجهت إلى روسو نجد أنه قدم خدمة قلما نعثر عليها في تاريخ الفكر الإنساني بإحداثه ثورة كبرى في المجال السياسي ،فكان تركيزه منصبا على الإنسان والذي أضحى منذ روسو المحور الجوهري في التفكير الإنساني.

ويبقى تفكيره روسو السياسي أقرب إلى فكر ميكيافلي الذي يبقى المواطن في نظره مدافعا دون توقف عن مصالحه واهتماماته وفي سبيل سعادته،ومن هنا استطاع روسو فهم ووعي تقنيات السياسة التي قام ميكيافلي بتحليلها وتأسيسها وما يزيد روسو قربا من ميكيافلي هو تأكيده على الحرية التي توحد بين الأفراد"[3]، ومن هنا نستخلص أن روسو قد تأثر كثيرا بميكيافلي

1 برتراند راسل :تاريخ الفلسفة الغربية، المصدر نفسه ،ص : 305
2 المصدر نفسه، ص : 310
3 1 Machiavel le prince texte intégral édition 9964 1980 France p : 70

وما يوضح ذلك هو إعادة قراءة كتبه في فرنسا بعد منعها في سنوات سابقة حيث قام الكثير بترجمة كتاب الأمير سنة 1791،وإعادة الترجمة سنة 1793 ،لتلي ترجمة أخرى وجديدة سنة 1799.

ما يجب الإشارة إليه في نهاية الحديث عن فلاسفة الفلسفة الحديثة توماس هوبز، جون لوك، وجون جاك روسو، هو تأثرهم بالفلسفة الميكيافلية في بناء نظرية العقد الاجتماعي رغم الاختلافات التي لاحظناها في فكر كل فيلسوف ويبدو أن المكيافلية ظلت حاضرة في الفكر الفلسفي الحديث رغم ما لقيته من نقد واعتراضات على أفكارها الفلسفية التي وصفها البعض خاصة بعد عصر النهضة بأنها لا إنسانية ،بل ساهمت في بناء النظريات السياسية الحديثة وهذا ما يؤكده برتراند راسل قائلا "ان عصر النهضة لم ينجب أي فيلسوف هام صاحب نظرية فقد قدم لنا رجلا ذا مقام عال في الفلسفة السياسية أعني به نيكولا مكيافلي "[1].

المكيافلية في الفلسفة المعاصرة:

بعد التطرق إلى الميكيافلية في الفلسفة الحديثة وما لاحظناه من تأثير كبير في الفكر الفلسفي الحديث ننتقل إلى الفلسفة المعاصرة التي عرفت هي كذلك اهتماما واسعا بميكيافلي ففي سنة 1550 خضعت مؤلفات ميكيافلي للترجمة واحتل كتاب الأمير النصيب الأكبر منها، والملاحظ أن كل ترجمة عكست هموم عصرها ومفاهيم زمانها مما يجعلنا نقف عند اختلافات كثيرة من ترجمة إلى غيرها كمفهوم الإقليم، الإمارة، الدولة وبعض المفاهيم الأخرى كمفهوم vertu الذي تتضارب حوله الترجمات فقد يعني الفضيلة، الحظ."ولقد شكل مؤلف فليكس جيلبير (felix gilbert) المعنون " ميكيافلي وغشا رديني " الصادر سنة 1996

1 الحسن اللحية :الرد على ميكيافلي، إفريقيا، الشرق، بيروت، لبنان، ص : 7

فحصا لسجلات و أرشيف فلورنسا ولاحظ هذا الأخير ورود المفاهيم الرائجة فيها مؤلفات ميكيافلي"، ونجد في كل المؤلفات التي ترتبط بميكيافلي سؤلا هو كيف نقرأ ميكيافلي؟ ومن هنا اتجه أنطونيو غرامشي (gramsci) والفيلسوف الفرنسي ميرلوبونتي (mirloponty) 1908 1961والسوسيولوجي الفرنسي ريمون أرون remon aron (1983 1905 إلى جانب الفيلسوف الفرنسي كلود لوفور210 1924 claude lefort ويتساءل الفلاسفة عن تصورات ميكيافلي السياسية وهل يمكن الحكم عليها من خلال كتاب الأمير وحده الشائع قراءته بين الناس أم من مؤلفاته كلها ؟ وما هي نوع القراءات التي خضع لها ميكيافلي عند الغرب والعرب في الفترة المعاصرة ؟ وهل بإمكاننا أن نتحدث عن نهاية المكيافلية أم أنها لا تزال حاضرة في كل تفكير سياسي كما كان ؟

1 أنطونيو غرا مشي والميكيافلية : 1891 1937

لقد كانت سنة 1929 هي السنة التي بدأ فيها غرا مشي كتابة دفاتر السجن رغبة منه في أن يشغل نفسه ببعض الموضوعات وسمحت له إدارة السجن بالكتابة وباقتناء الكتب، وكتب قائلا "لقد قررت أن أشغل بصورة شاملة بهذه الموضوعات الثلاثة وهي التاريخ الايطالي في القرن التاسع عشر، وثانيا نظرية التاريخ وعلم التاريخ وثالثا النزعة الأمريكية والنزعة الفوردية "[1] ومن هنا كان اهتمام غرا مشي بالعالم الخارجي وبالحياة السياسية حارا للغاية .

ومن هنا انطلق غرا مشي إلى دراسة ميكيافلي بالدرس والتحليل ويرى في كتاب الأمير أن هناك إيديولوجية سياسية ، تتأسس داخل الأمير في شكل دراماتيكي تجسيدا لمذهب عقلاني

1 أنطونيو غرامشي :حياته وفكره ،تأليف أنطونيو بوزوليني ،ترجمة سمير كرم المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت لبنان الطبعة الاولى، 1977 ص :61

مشخص في قائد مرتزق يرمز للإرادة الجماعية وفي ذات الوقت دعوة للم شمل المجتمع الايطالي الممزق لذلك يرى غرامشي "أن الأمير لا يوجد وجودا حقيقيا في الواقع التاريخي انه تجريد مذهبي خالص لرئيس مرتزق مثالي"[1]. وفي الملاحظات التي يقدمها غرا مشي حول ميكيافلي، نجد تحليلا حادا للصراع الطبقي الذي تطور في ايطاليا من خلال عهدة الفاشيةفي السلطة ،ويوضح غرامشي

أن الطبقة العاملة تملك طرقا خاصة في الصراع وفي ذات الوقت لا يمكنها تقليد الطبقة المتوسطة، دون أن ننخدع بأن الدولة يمكن أن تبقى داخل الشرعية لأطول وقت ممكن، فالصراع السياسي فيه صراع للطبقات نتيجة ضعف اعترى الدولة شبيه بالضعف الذي يصيب الجيش.

إن الاعتقاد بأن الدولة تظل قاصرة دوما وهو الذي لا يحدث أبدا، وتبقى الطبقات في اختلافات كبيرة وجوهرية.

لقد خصص غرا مشي صفحات كثيرة في صفاتها لاذعة لما وصفه بالأمير الحديث وذلك في مؤلف دفاتر السجن، والذي يحمل في الأصل ملاحظات حول ميكيافلي وحول السياسة والدولة الحديثة ورأى أن الأمير الحديث كتنظيم سياسي يمثل أسطورة لا يمكن أن يكون فردا حسيا وكتب غرا مشي يقول " لقد أوجد التطور التاريخي بالفعل هذا التنظيم الذي هو الحزب السياسي الخلية الأولى التي تجسد بعض البذور لإرادة جماعية على وشك أن تصبح كلية وشاملة "[2]. ويناقش غرا مشي اتجاهات عديدة للفلسفة الحديثة ويتساءل : هل يريد المرء دائما أن يكون حكام ومحكومون أم أن المرء يريد بالأحرى أن يخلق الظروف التي تختفي فيها الحاجة إلى وجود هذا التقسيم؟

1 الحسن اللحية :الرد على ميكيافلي، المصدر نفسه ،ص : 19 20
2 أنطونيو بوزوليني: غرامشي حياته وفكره ،المصدر نفسه :،ص : 123

ان تعقد المشكلات تكمن في ارادة المرء أثناء محاولة كتابة تاريخ حزب سياسي فيكون من الضروري مواجهة سلسلة من المشكلات وعلى رأسها الصراع السياسي وطرقه المختلفة ويركز غرامشي على فكرة ان كل طبقة يمثلها حزب سياسي معين الذي يمثل بنية الدولة في مرحلة ،

جنينية لا يمكن أن تقسم قواه السياسية، كما أن الدولة لا يمكن ان تسمح لبعض رعاياها بأن يضعوا من خلال قوة أجنبية وخارج القانون العام عقدا خاصا للتعايش مع دولتهم

وتبقى الأحزاب تنجب رجال الدولة والحكومة وزعماء المجتمع المدني والسياسي وتبقى الطبقات معبرة عن الأحزاب.

وكان تحرير ايطاليا من البرابرة[*] هو الهدف الذي قاد ميكيافلي إلى ايجاد مفهوم جديد للدولة وتركيزه قد كان حول تأسيس الدولة الايطالية الحديثة والتي تكون قادرة على الدفاع عن نفسها واستقلالها.

ويشير غرا مشي إلى نظرية ميكيافلي وبرنامجه السياسي المحدد على أنه يعقوبية مبكرة "[1] واليعقوبية كنظرية عبارة عن معالجة سياسية بحتة لمشاكل المجتمع بهدف تغييره جذريا ومن هنا يرى غرامشي أن نيكولا ميكيافلي هو اليعقوبي الايطالي الأول ويعرف غرامشي اليعقوبي بأنه هو الشخص الذي يضع نموذجا للمجتمع ثم يوظف كل قواه لخلقه، فهو عارف بما يريد ويحدد أهدافه بعناية، وانتهى غرا مشي إلى أن اليعقوبية كانت تجسيدا مطلقا للأمير حيث ينبغي تصويب أفكار ميكيافلي سياسيا و تاريخيا ويمثل الأمير وكتاب فن الحرب الدلالة الأوضح في ذلك، ويرى غرا مشي "أن سوء فهم ميكيافلي وكرهه قد أدى إلى الفشل في رؤيته رجل للسياسة وكثيرا ما أتهم

[*] يطلق هذا التعبير في ايطاليا على كل الأجانب

1 جون كاميت :غرامشي حياته و أعماله، ترجمة عفيف الرزاز مؤسسة الأبحاث العربية الطبعة الأولى، بيروت لبنان 1984، ص : 277

بتشجيع الاستبداد "[1]كما أنه لا بد من الإشارة إلى أن كتاب الأمير لم يكن في البداية بحثا منظما في عالم السياسة بل دعوة إلى تنظيم المجتمع الايطالي داخل دولة منظمة والدليل موجود في القسم الرئيسي في كتاب الأمير حيث يركز ميكيافلي على تنظيم الدولة الايطالية بأمير أقوى وما يزيد الأمر توضيحا هو توجيه ميكيافلي لنداء من أجل تحقيق الهدف مركزا على الدعم الشعبي مما يعني أن ميكيافلي حسب غرامشي لم يكن حالما بل كان واقعيا، حيث اهتم ميكيافلي بما يجب عمله يعني تصويب أفكاره كان في الواقع الايطالي ووضع ميكيافلي خطة للوصول إلى ما يصبو اليه بدراسته للواقع الاجتماعي والتاريخي لايطاليا وهذا ما أظهره في كتاب الأمير سياسيا أما فن الحرب الذي انتهى من كتابته سنة 1521"كان تجسيدا لفلسفته السياسية ويوضح فيه إمكانية إنشاء جيش وطني لتقوية الدولة وبالتالي كان ميكيافلي يعقوبيا ايطاليا حقيقيا.

ان قومية ميكيافلي الثقافية ليست هي ما اجتذب غرا مشي ولقد كان هذا حافزا قديما في الثقافة الايطالية رغم أن غرا مشي لم يكن قوميا في أي حال من الأحوال، و عموما هناك ثلاثة أفكار في الأمير قريبة من اليعقوبية" أولا : يمثل الفصل الأخير من الأمير تحريضا على تحرير ايطاليا من البرابرة وكان أمرا فريدا من نوعه خاصة عند المثقفين الايطاليين ،وثانيا كان ميكيافلي يعرف أن القوة وحدها لا تضمن نجاح برنامجه السياسي وثالثا : كان الحصن الأفضل للأمير هو شعبه لأنه لو امتلك الحصون دون هذه المحبة سوف ينهار بسرعة ،لذلك فهذه الحصون لن تنقذه إذا كرهه الشعب "[2] ، ويرى غرا مشي" أننا نستطيع وبدون خداع ميكيافلي أن نحول دور الأمير الحديث إلى حزب"[3] .ومن هنا فنحن أمام أمير حديث يختلف عن أمير ميكيافلي فهو واقعي وفي نفس

1 المصدر نفسه ،ص : 278

2 المصدر نفسه ،ص : 279، 280

3 machiavel le prince texte integral opcit p 37

الوقت يقترح حالة متخيلة داخل الواقع لرؤية سياسية جديدة ،ومن هنا كان لغرا مشي أفكارا أثرت في حركة النهضة الايطالية ويحذر غرا مشي قراءة ميكيافلي انطلاقا من : جعل ميكيافلي منطلقا لفهم السياسة فهو يمثل عصره بالضرورة ويظهر ذلك من خلال طرحه للمسائل الكبرى للسياسة الايطالية، وكذلك تأليفه لكتاب الأمير لم يكن لأمير محدد بل ألف الأمير للجميع، حيث كان يتوخى منه تربية الأجيال قصد تربيتهم سياسيا ،فيبقى ميكيافلي ابن عصره وظل كتاب الأمير مكتفيا بالوجه الإصلاحي البلاغي المرتبط بالأدب الايطالي لروما القديمة دون أن يمس ذلك تغيير في البنيات الوطنية الاجتماعية لتأسيس دولة جديدة.

ما يمكن استخلاصه من الفقرات السابقة أن غرا مشي قد غطى الكثير من ميادين الفكر السياسي والفني والفلسفي في دفاتره داخل السجن بغية غاية واحدة وهي فهم الإنسان.

2 المكيافلية والفلسفة الفرنسية :

بعد التطرق إلى الفلسفة الايطالية في علاقتها مع الميكيافلية وتأثر الفيلسوف غرا مشي بالأفكار السياسية لميكيافلي، نتحول إلى الفلسفة الفرنسية انطلاقا من فلسفة ميشال فوكو

(Michel foucault 1926 1984) الذي قاد مشروعا ابستمولوجيا رغبة منه في اعادة قراءة مفهوم السلطة وأنظمة الفكر التي تحكم العقل الغربي، منذ العصور الوسطى إلى العصر الحديث مرورا بعصر النهضة وقد حاول فوكو البحث عن سلطة استراتيجية والتي ظلت معقدة ومن هنا أراد تحليل آليات السلطة، كما حاول ألتوسير (althusser) 1918 1990 إعادة قراءة كتاب الأمير من جديد لتكوين نظرية جديدة في السياسة وكان ذلك بداية

من 1962 وصولا إلى الفيلسوف جاك دريدا jacques derrida (1930 2004) في قراءته التفكيكية لميكيافلي، فكيف قرأ فلاسفة الفلسفة الفرنسية ميكيافلي ؟

1. ميشال فوكو Michel foucaut

"الحديث عن ميشال فوكو ورؤيته السياسية يكاد يكون ضربا من المحال إذا أخذنا بعين الاعتبار كل المعطيات التي تشير أن فوكو لم يكن فيلسوفا سياسيا أو منظرا في الفكر السياسي "[1] رغم أنه من الفلاسفة الذين قرؤوا لميكيافلي أو أعادوا قرائته، ويرى المفكر الفرنسي " ميشال برجس Michel bérges في كتابه ميكيافلي المفكر المقنع Machiavel penseur masqué " أن ميشال فوكو قد أعاد قراءة ميكيافلي ويوضح للعالم الرؤية الصحيحة " [2] ويقوم فوكو بتحليل منطق الحكم منذ عهد ميكيافلي مستعينا بالحفريات والجينالوجيا والابستومولوجيا وعلوم اللغة، مركزا على القطائع والانفصال في تاريخ الفكر السياسي الأوروبي فهل قطع الغرب مع ميكيافلي ؟

يقترح فوكو ملاحظات حول ميكيافلي :

ان أمير ميكيافلي وحيد في امرته حيث ينصح في سياسة الأمير التحكم في القيادة بشكل جيد على مستوى القانون والاقتصاد والقيادة الحربية، وهنا كان على الأمير تعلم قواعد فن الحكم والتحكم فيها، ليتم الانتقال من أمير بصورته الوسيطية إلى أمير يبحث عن المعنى الحقيقي للفضيلة والفطنة والعدالة ،وصولا إلى أمير يجب عليه قيادة مملكته حسب مقتضيات زمنه، وهناك

1 الحسن اللحية: الرد على ميكيافلي، المصدر نفسه ،ص : 21

[2] 2 Michel bergé Machiavel un penseur masqué édition complex 2000 collection théorique politique

"أمير ثان مضاد يتأسس مفهومه من خلال النصوص المهملة في القرنين السادس والسابع عشر وهما تحت عنوان المرآة السياسية المحتوية على مختلف أشكال الحكم الصادر سنة "1555 (1)

ما يعني وجود تعدد في أشكال الحكم داخل دولة الأمير ويقول ميشال فوكو" كل من يريد حكم الدولة عليه أن يعرف كيف يقود نفسه بنفسه، ثم عليه أن يعرف تدبير منزله وممتلكاته ومجاله ليصل إلى حكم الدولة "[3] .

يحدد فوكو مفهوما للسلطة وهي ذات دلالات عامة وتعني علاقات القوى المتعددة التي تكون محايثة للمجال التي تعمل فيه تلك القوى مكونة لتنظيم تلك العلاقات، فالسلطة ممارسة وليست شيئا يمتلك أو ينتزع، أنها علاقات محايثة مع غيرها كالعلاقات الاقتصادية والمعرفية والجنسية وغيرها وأينما توجد السلطة هناك مقاومة منها الممكنة ومنها المتوحشة والمنعزلة العنيفة فالسلطة إستراتيجية معقدة في مجتمع معين، لذلك لا بد من تحليل آليات السلطة ولقد كان ميكيافلي من القلائل الذين حاولوا أن يفهموا سلطة الأمير بدلالة علاقات القوة، فربما وجب أن نتقدم على غراره، خطوة أخرى نستغني عن شخص الأمير في فهم السلطة لنقتفي آلياتها انطلاقا من إستراتيجية محايثة للائق الواقع" [4]. ويرى ميشال فوكو" أنه من الصحيح أن مكيافلي كان أحد القلائل الذين فكروا في سلطة الأمير بألفاظ وعلاقات القوة وعدم الاقتصار على شخصية الأمير لتشريح آليات السلطة انطلاقا من إستراتيجية ملازمة لعلاقات القوة "[5]. ومن هنا يعتقد فوكو أنه يتوجب تحليل آليات السلطة لأن علاقاتها هي علاقات قصدية وغير ذاتية وأن تكون قابلة للفهم، فالسلطة لا يمكنها أن تمارس دون أن تحدد لنفسها مجموعة أهداف ومقاصد، ولقد تطورت على

3 المصدر نفسه ،ص : 22
4 علي عبود المحمداوي: الفلسفة السياسة المعاصرة ،لمصدر نفسه ،ص : 279
5 محمد سبيلا، عبد السلام بنعبد العالي، الحداثة الفلسفية ،نصوص مختارة ،الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ص: 231

الصعيد النظري تقنية تعلم الأمير التحكم في قواعد فن الحكم ثم حينها الانتقال من أمير بصورته الوسيطية أي من أمير يجب عليه قيادة مملكته حسب مقتضياته زمنه[6].

وفي سياق هذه الفكرة انبثقت كتابات كثيرة مؤيدة لمكيافلي وأخرى معارضة له في تصور عقلانية الدولة، ويرى ميشال برجس قائلا " هناك طريقة فينومنيولوجية لميشال فوكو الذي كان لزاما عليه في نظريته الأركيولوجية، معرفة كل شيئ بإعادة قراءة مكيافلي وإنتاج أفكار جديدة من خلال كتاباته "[7] . ومن الممكن تحديد خصوصيات الدولة التي يتم استخراجها من هذه التصورات العقلانية :

عقلانية الدولة هي جوهر الدولة ذاته وهي في ذات الوقت محافظة بمعنى موجهة لعقلانية الدولة يحرك مفهوم المصلحة بشكل مغاير عما هو عند مكيافلي، وهذه المصلحة أصبحت مصلحة الرعية كذلك وليست مصلحة الأمير وحده.

إن الهدف الذي سعى إليه ميشال فوكو، من خلال قراءته لمكيافلي هو أن عقلانية الدولةقد تطور دون أن يرتبط ذلك بالنظرية المكيافلية بحثا عن دولة بعيدا عن العنف، ومن هنا "يرفض فوكو فكرة تصورات الماركسيين للسلطة وتصورات الليبيرالية القائمة على اعتبار أن السلطة هي ما يتمحور حول المؤسسات والقوانين والدستور"[8] .ومن هنا تكون السياسة حربا بوسائل مختلفة وليست الحرب سياسة بوسائل أخرى، وطور فوكو مفهومه للسلطة واتجه إلى تحليل الأعراق داخل المجتمع الأوروبي والخطاب العنصري النازي والستاليني ونتج عن ذلك توصله إلى نوع جديد

6 بالتأكيد تتجلى هنا كتابات مكيافلي و ليس المشكل بالنسبة لمكيافلي في أمن السياسي وإنما المشكل في طبيعة السلطة ذاتها ويصوغ مكيافلي التساؤل الحداثي الكبير حول جوهر السلطة كما وجدناه بعده عند هوبز وروسو

7 michel bergés op. cit p 43

8 علي عبود المحمداوي :الفلسفة السياسية المعاصرة ،المصدر نفسه، ص : 280

للسلطة أسماها الحكوماتية أو الحكمانية ويريد بها ثلاثة أشياء : أولا يعني بكلمة حكمانية ما تشكله المؤسسات، الأفكار، الحسابات و ثانيا يعني بالحكمانية خط القوة في الغرب كله من خلال سيادة نظام وثالثا وقد نعني بالحكمانية السيرورة التي بواسطتها وجدت في القرون الوسطى دولة العدالة.

لقد درس فوكو تكنولوجيا الجسد السياسية في كتابه " المراقبة والمعاقبة سنة 1975 كتقنية من تقنيات الجسد السياسية في تنظيمه وتوجيهه ويكون هذا الجسد السياسي ذو فائدة ومنتجا و يشدد فوكو كثيرا، في عمله على ضرورة انشاء المشروع السياسي للوسائل المتحكمة في الجسد الإنساني بغية تأسيس بالجسم السياسي الذس تستخدم فيه، " مجموعة عناصر مادية وتقنيات تستخدم كأسلحة وكبدائل وكطرق تواصل وكنقاط ارتكاز لعلاقة السلطات والمعرفة التي تجتاح الأجساد البشرية وتستعبدها جاعلة منها موضوعات معرفة "[9].

ومن هنا نستخلص أن فوكو حاول تحقيق هدف محوري هو توضيح التحولات العميقة الحاصلة داخل المجتمع انطلاقا من التكنولوجية السياسية للجسد.

2 لويس ألتوسير : louis altusser1990 1918

اهتمام التوسير بمكيافلي كان سنة 1962 واعتبره فيلسوف السياسة الأول،وفي دروسه الأولى يركز ألتوسير على الصعوبة في قراءة فلسفة مكيافلي والتي تدهش الكثير حيث وكان ميرلوبونتي الفيلسوف الفرنسي 1908 1961 من بين الذين تفاجئوا للطباع غير الفلسفية لمكيافلي الذي أراد التجديد في الكثير من الجوانب داخل كتاب الأمير والخطابات، ويبدأ ألتوسير الكلام عن مكيافلي انطلاقا من بداية القطيعة " الواضح أن مكيافلي مؤسس نظرية بدون أفكار

9 المصدر نفسه ،ص : 282

قبلية "[10] . واستطاع ألتوسير اكتشاف طريقة تفكير وبواسطتها قد كان فهم التجديد على أساس التقليد الفلسفي، ويرى ألتوسير أن مكيافلي قد أعطانا الطريقة التي تكرس بداية القطيعة، وإذا كانت كتابات مكيافلي تدوم فهي مرتبطة بأشياء أخرى فالنظرية الوحيدة هي إرساء فكرة تطبيق السياسة.

يوجه مكيافلي كلامه إلى اللذين يفكرون في السياسة، "ويقدم ألتوسير مثالين : الأول يتعلق بهيغل ويشمل على الكتابة في شبابه ويشير لمكيافلي في نصه فيما يتعلق بالدستور الألماني يعني الوضعية بين ايطاليا حوالي 1500 وألمانيا حوالي 1800 والتي يجب أن تأخذ بعين الاعتبار وهنا تمكن هيغل من قراءة مكيافلي واكتشافه وذلك في سياق النظام الهيغيلي على أنه رجل الدولة "[11] والمثال الثاني يرتبط بالفيلسوف غرامشي، واذاكان هيغل قدر رأى بأن مكيافلي رجل الدولة بالنسبة لغرامشي هو رجل الدولة الوطنية وتم استعراض وتقديم مكيافلي عن طريق غرامشي الذي وضع أصبعه على معنى المفاهيم المكيافلية.

يكتب لويس ألتوسير حول مكيافلي كتابات كثيرة منها: "مكيافلي ونحن"، مكيافلي الفيلسوف وفردانية مكيافلي"، بالإضافة إلى مجموعة من الكتابات الأخرى التي كتبها مابين 1955 1975 ليكتب بعدها " السياسة والتاريخ من مكيافلي إلى ماركس سنة 2006، فالنظرية الجديدة لمكيافلي جعلت ألتوسير يوجه أفكار الفلسفية صوب النص الخاص به " ومن هنا تأكد ألتوسير من الطبع الخاص للكتابة المكيافلية دون أن ينسى التذكير والإشارة بأن في كتابه

10 gerald sfez michel senellart lenjeu machiavel collection librairie du college international de philosophie universitè de France p 143
11 ibid p144

"حول أعمال مكيافلي أن الفيلسوف كلود لوفور يوضح بشكل براق أفكاره"[12] .بالنسبة لألتوسير ومن قبل غرامشي يكون من الواضح أنهما توصلا إلى القول أن مكيافلي قد وضع على البساط السؤال السياسي وفق شروط ضرورية قصد بناء دولة وطنية بايطاليا، وفي المقام الأول يتبنى مكيافلي، فكرة إدخال وضعية سياسية جديدة بإمكانها أن تغير كل ما من حول الأمير من مشاكل، وفق أمير جديد ومبادئ جديدة، وبمقدوره بطريقته الوصول إلى أهدافه وتحقيق مشروعه، وهو على علم بأن الوقت مهم من أجل رفع البؤس السياسي عن ايطاليا كما يرى ألتوسير" وذلك بفضل نوعية خاصة من الشعب الايطالي، ويرتبط هذا الأمر بجميع الجوانب على أن يستقبل الأمير بإجماع من جميع الشعب ووجد الأمير واقعا دراماتيكي فكان من الضروري التدخل بشكل طارئ"[13] .ومن هنا يكون مكيافلي قد اتبع تفكيرا سياسيا خاصا به وتعلم من بعده غرامشي التفكير السياسي ويرى ألتوسير أنه "اذا كان مكيافلي يوجه كلامه إلى غرامشي و ليس للماضي بل للحاضر وبشكل أفضل للمستقبل "[14].

يركز ألتوسير على تصور مكيافلي في صنع أمير جديد بمبادئ جديدة، والغاية تكوين دولة جديدة، ليكون مكيافلي المصدر الرئيسي للسياسة، ولذلك كمايرى مكيافلي وألتوسير فيما بعد أنه حان الوقت لأمير منفرد بذاته أو حتى ديكتاتور، ويشرح ألتوسير من جهة ثانية الجذور التاريخية للحكم داخل الوسط الشعبي إلى جانب الصراع بين فئات الشعب أي بين الطبقات الكبرى والصغرى، و بالعكس رأي مكيافلي يمثل دعما للصراع بين الفئات الشعبية وهو في نفس الوقت أكثر من ضروري، "ومهما يكن فمكيافلي يصوب اهتمامه نحو الوحدة الوطنية، مع تأسيس دولة

12 althusser l'adieu infini emilio de ipola preface d'etienne balbar traduit de l'espagnol par marie bardet universitè de France p 101

13 ibid p: 102
14 opcit p 145

قادرة على تحقيق هذه الوحدة "[15]. وتظهر فكرة مكيافلي كما يرى ألتوسير في تصور أمير نختاره قادر على تأسيس دولة جديدة طويلة الأمد تطبق القانون وكتب ألتوسير يقول " أنا أقول أن مكيافلي هو المنظر للنظرية السياسية المكونة والمؤسسة للدولة الوطنية، وفق تأسيس دولة جديدة تحت اشراف أمير جديد وهذا ما كان ينادي به غرامشي في التأسيس الفعلي للدولة الوطنية"[16].

ومن هنا تظهر الخصائص الطباعية لمكيافلي المتمثلة في الفردانية في التفكير وكانت جملته الشهيرة والغالية " من الضروري أن تكون وحيدا لتأسس دولة " ويتساءل مكيافلي عن الأمير الذي يجب أن يكون وحيدا، ويرى أن الفضيلة والثروة هما أساس نجاح الدولة التي يقودها الأمير.

يرى دريدا أن" الثقافة السياسية الغربية مازالت عرضة لهذا التقابل بين قيمتي الأخلاق والمنفعة، وان ظهرت الأخيرة بشكل قوي منذ مكيافلي "[17] .ومن هنا أضحى التفكيك فعالية تندرج في إيطار البحث والنقد، وذلك في مشاركة التفكيكية في تطورات الحدث السياسي .

ولقد كتب مكيافلي كتاب الأمير والخطابات بمفرده أخذا بعين الاعتبار مسلمات العالم القديم ، ويرى ألتوسير أن مكيافلي يعد من المؤرخين القلائل الذين بدؤا التفكير في تأسيس الدولة الوطنية ويتكلم عن لغة القوة العسكرية بدل لغة الحقوق لتأسيس الدولة ويتكلم بلغة السياسة البعيدة عن الدين .

يبدأ ألتوسير بالتذكير بمفاهيم الصراع وأشكال العنف انطلاقا من قراءة كتاب الأمير وكأنه مرجع الرجل الديمقراطي ، الذي ينزع عن الشعب المخاطر والكوارث من خلال سلطة الأقوى .

15 opcit p 103
16 ibid p 104
17 علي عبود المحمداوي :الفلسفة السياسية المعاصرة ،المرجع نفسه ،ص : 350

وكتب ألتوسير يقول " إن مكيافلي يتجه إلينا ويدعونا الى الانشغال بالسياسة كموضوع لتفعيل إمكانية ممارسة السياسة العملية الممكنة "[18].

لقد توصل ألتوسير الى قراءة شيئ أخر ، ويتمثل ذلك في نظرية قوية للدولة وفي ضوء هذا التساؤل تكون الفضيلة هي الإمكانية التي تعطي الاستمرارية الحقيقية للدولة، ويبقى مكيافلي مؤسسا لنظرية أخرى للسياسة وبفضله وبدون شك أن كلمة المطبق أضحت موجودة من هنا فصاعدا في كل النصوص الخاصة بألتوسير وليس بمعنى أخر، وانما بتصور جديد داخل الكتابات والتي وجد فيها باشلار المرجع الأساسي لأفكاره .

3 المكيافلية و الفكر العربي :

ان حضور المكيافلية في الفكر العربي قد أخذت صورا متعددة منها أن فكره يرمز الى الشر والحيلة وبعضها الأخر للقوة ، وغيرها من التفسيرات التي أعطيت له ولفكره ، ولعل أول هذه الاشارات نجد المفكر العربي أكرم مؤمن الذي كتب في مقدم كتاب الأمير الذي قام بترجمته قائلا " لقد ترددت كثيرا قبل الإقدام على ترجمة كتاب الأمير لنيكولا مكيافلي وذلك لأن اسم مكيافلي لم يرتبط بأي معنى طيب في ذهن القارئ العربي بل الكثير من العرب والمسلمين لا يعرفون عنه سوى عبارة " الغاية تبرر الوسيلة " وهي ذات العبارة التي وردت في الفصل الثامن عشر من هذا الكتاب ومعناها صريح وواضح أي الوصول الى مانريد حتى وان كان طريقا غير شريف فهي عبارة تجر معنى الانتهازية في أبخس صورة "[19]

[18] 1 opcit p 146

[19] مكيافلي: الأمير ترجمة أكرم مؤمن المصدر نفسه، ص : 4

ويرى **خيري حماد**[20] في مقدمة كتاب الأمير المترجم لفاروق سعد أن كتاب الأمير لمكيافلي والذي يسميه السلطان كان ولا يزال المعلم الأول لرجال السياسة في العالم بقواعده ويستلهمون مثله

ويطبقون نصائحه وإرشاداته ويعملون بتوجيهاته وتعاليمه " [21] .

كما يذكر نور الدين حقيقي في كتاب الخلدونية " أنه قد ساهم مفكران قبل ماركس وانجلز في بلورة هذا الواقع ، المكمل للواقع الذي درسه ابن خلدون منذ القرن الرابع عشر ، الأول مكيافلي الذي رد السياسة في عصر النهضة الى فاعلية تستند الى روابط القوة ، وترفض بالتالي مثالية السلطة الالهية وسلطة الخير العام والثاني هوبس الذي عرف الدولة بعنف يعلو سائر أنواع العنف الفردية ليسقط المجتمع في الفوضى العامة"[22].

يرى "**علي الوردي** "في كتابه منطق ابن خلدون أنه من الممكن مقارنة ابن خلدون ومكيافلي والذي عاش بعد ابن خلدون بقرن من الزمن ، ويقول المفكر **ماكس لرنر** " اننا نشهد في كتابات مكيافلي ما يقرب أن يكون ثورة في التفكير السياسي فقد كان الانسانيون الذين ألفوا كتبا حول الأمراء قبله انما يكتبون حسب التقاليد المثالية والمدرسية التي كانت سائدة في القرون الوسطى حيث كانت تسيطر عليهم الأفكار الكلامية والميتافزيقية والمثالية وكان اتجاهه العام نحو الواقعية السياسية أمرا غير مألوف في زمانه " [23]، ولقد وجد الباحثون كثيرا من أوجه الشبه بين ابن خلدون ومكيافلي وفي هذا الصدد يتساءل البعض هل قرأ مكيافلي مقدمة ابن خلدون ؟ وهل

[20] كاتب ومترجم فلسطيني 1917 1972
[21] مكيافلي :الأمير، ترجمة فاروق سعد المصدر نفسه ،ص : 13
[22] نور الدين حقيقي : الخلدونية ترجمة إلياس خليل المطبعة الجهوية بوهران ص :91 ، 92
[23] علي الوردي منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته دار أركوفان الطبعة الثانية 1994 لندن دار الكنوز الأدبية بيروت لبنان ص : 19

اقتبس منها أراءه أم أن الأمر يتعلق بدراسات خاصة له ؟ يذهب البعض الى أن مكيافلي لم يضطلع على المقدمة لابن خلدون ولم يقتبس منها شيئا ، ومهما يكن فالاختلاف والتقارب موجود بينهما وهل استطاع ميكيافلي الوصول الى ما وصل اليه ابن خلدون ؟ فالاختلاف موجود وللتوصل الى هذا الفرق لا بد من معرفة أن ميكيافلي من خلال ماقدمه من كتابات أراد تقديم مجموعة من النصائح العملية للأمير ، بهدف الانتفاع بها خدمة لرعاياه ولم يكن المقصود من وراء ذلك أن يؤسس علما في علم الاجتماع له أصول وقواعد كما فعل ابن خلدون ، ويمكن القول أن مكيافلي شبيه بذلك الرجل الذي يجتمع بصديق يسدي له النصح وكيف يتعامل مع الناس وكيف يفهم طبائعهم ويرى علي الوردي" أن كل انسان بإمكانه الادلاء بهذه النصائح قليلا أوكثيرا كلما كان أكثر ذكاءا وأوسع خبرة واختلاطا بالناس كانت نصائحه أقرب الى فهم الواقع الاجتماعي وأكثر تبصرا به "[24] لقد كان مكيافلي ثائرا على الازدواجية في التفكير، كما ثار ابن خلدون قبله دون أن ننسى أثر ثورة مكيافلي والتي لا يمكن القول أنها في مستوى ابن خلدون كما يرى بعض المفكرين العرب منهم **علي الوردي** "الذي يؤكد بأن التشابه بينهما يكمن في الاستعانة بالخبرة الاجتماعية في بلورة النظرية السياسية أو الاجتماعية ،ومن جانب أخر يختلفان في كون ابن خلدون لم يقدم خبرته الاجتماعية في شكل نصائح عملية كما فعل مكيافلي ، بل اتجه الى ربط أجزاء هذه الخبرة الاجتماعية برباط منطقي متكامل تقريبا وجعل منها فلسفة عملية تقوم على أساس جديد "[25]. ويمكن القول أن ابن خلدون قد كان فيلسوفا وخبيرا اجتماعيا في نفس الوقت أما مكيافلي فيما يعتقد علي الوردي أنه خبير اجتماعي فقط .

[24] المصدر نفسه ، ص : 20
[25] المصدر نفسه ص : 21

وما يمكن قوله أن الناس صاروا ينظرون إلى مكيافلي بغير النظرة التي نظروا بها إلى ابن خلدون ، فلقد غضب الناس على مكيافلي وقاموا بذم كتاباته حيث وجدوا فيها ما لا يتناسب مع الأديان والأخلاق ، وصار اسم مكيافلي مرادفا لسياسة المكر والخداع كما يقول المفكر لرنر "إن مكيافلي صار في أذهان الناس مرادفا للشيطان نفسه" [1].

لقد حضرت المكيافلية في الفكر العربي في صورة الخداع والمكر والحيلة وهذه الرموز جعلت من مكيافلي في نظر الفرد العربي شيطانا بعكس ابن خلدون الذي نظروا اليه كما أسلفنا الذكر بالفيلسوف والخبير الاجتماعي في أن واحد ، ويعود علي الوردي في الأخير الى القول أن الفكر العربي لم ينتبه الى فكر ابن خلدون الذي يمكن وصفه بالمنحرف عن الدين والأخلاق أكثر من انحراف مكيافلي ، حيث يغطي في معظم كتاباته بعبارات براقة تجعل من المفكر العربي لا يعيرلها اهتماما ولا يدقق فيها فلو أدرك مقاصدها لتعرف على الحقيقة ولربما شن حملة شعواء عليه لم يعهد لها مكيافلي مثيلا .

يرى المفكر العربي محمد وقيع الله أحمد في كتابه " مدخل الى الفلسفة السياسية أن الحق يقال فنصائح مكيافلي للأمير تبدو في الكثير من نواحيها غليظة قاسية قد اجتاحت وأهدرت كل أساس سليم للأخلاق أو الشرعية " [2] ففي فكر مكيافلي كسب القوة يتنافى بالضرورة مع امتلاك امتلاك الصفات المحمودة ، كالصدق والشرف والنبل وأوصى مكيافلي الأمير وبأسلوب إيحائي ليتخلى نهائيا عن سجل الصفات المحمودة لدى سائر الناس ومن هنا لم يتردد مكيافلي في ثنايا نصحه من أن يقلب حقائق الأمور الراسخة في عالم الأخلاق رأسا على عقب وقرر أن ارتكاب

[1] المصدر نفسه ص :21
[2] محمد وقيع الله أحمد مدخل الى الفلسفة السياسية المرجع نفسه ص : 138

الأثام من أجل الاحتفاظ بقوة الدولة ومجدها ، ان المثل الأعلى لميكيافلي هو الأمير الذي يوظف الوسائل لبلوغ الغايات وهي الوصول الى السلطة .

"لقد مثل ميكيافلي، بتنكره للأخلاق والفضائل وقيم الدين النقلة الحاسمة في الفكر السياسي الغربي، ولقد انتبهت الكنيسة الكاثوليكية الى خطر كتاب ميكيافلي ومنعت تداوله بل قامت بتحريمه وحرق نسخه سنة 1559" [1](2) فالهدف المباشر الذي وضعه ميكيافلي من خلال كتاب الأمير يتمثل في اتمام الوحدة الايطالية، التي لم تتحقق إلا في غضون القرن السابع عشر وتبدو أفكار ميكيافلي السياسية عميقة متجذرة وشديدة التأثير في الفكر والممارسة معا ويبقى كتاب الأمير ،كما يرى محمد وقيع الله أهم ما يميز مكيافلي في فكره السياسي بقوة تعابيره وحدتها وصراحتها الصارمة جدير بإحداث هذا الأثر البليغ .

يقيم المفكر العربي عبد الله العروي مقارنة بين مكيافلي وابن خلدون كمفكرين ينتميان الى حضارتين متباينتين حيث عاش ابن خلدون في شمال افريقيا ثم في مصر ،وقضى ميكيافلي كل حياته في فلورنسا وبالتالي عرف الأول دولا هزيلة ومنحلة في الأندلس والمغرب وعاش الثاني فجر نهضة ستأذن لأروبا الغربية بهيمنة على بقية العالم ، "ولقد أراد كلاهما لعب دور أساسي في السياسة وكلاهما فشل فعودة المديتشيين الى فلورنسا أبعد مكيافلي عن جادات السلطة ومسالكها وأراد ابن خلدون أن يوجه سياسة أمير بوجة ثم قرر أن يربي أمير غرناطة ، وكل محاولة تؤول الى السجن والفرار "[2] .

[1] المصدر نفسه ص : 146

[2]- عبدالله العروي : ابن خلدون ومكيافلي بحوث اجتماعية ترجمة خليل أحمد خليل دار الساقي الطبعة الأولى 1990 لندن ص : 7

لقد حاول مكيافلي الربط بين الفقر والفضيلة ، الحضارة والانحلال الخلقي ، الرفاه والانحطاط السياسي ، وإنقاذ الدولة من الفساد أضحى أمرا مستحيلا حتى وان وضعت لها أعقل الدساتير

وأفضل القوانين وكتب مكيافلي يقول " لاتوجد قوانين ولا دساتير يمكنها أن تكبح الفساد العام لأن الأخلاق الحميدة تحتاج الى قوانين لكي تستمر ، كما أن القوانين تحتاج بدورها الى الأخلاق الحميدة لكي تكون مطبقة " [1] .وفي نظر ابن خلدون أن هناك جدل بين الوحشية والأخلاقية والتكافل والسلطة وبين التمدن والفساد والفردية والعبودية من جهة ثانية يرى ان اهل البدو أقرب الى الخير من أهل الحضر ، نظرا للصفات التي يمتاز بها أهل الحضر وعلى رأسها فنون الملاذ و الاقبال على الدنيا وذهبت عنهم الحشمة في أقوالهم و مجالسهم كما يذكر مكيافلي بأن السلطة ليست شيئا سوى احتكار السلطان ، ويجب أن تكون الحرب المنشط الأساس للأمير فبواسطتها كسب ما يملك وبها يمكن الحفاظ عليه ، وإذا ما تخلى عن ذلك فمصير دولته هو الدمار ونهاية أكيدة لشخصيته ، ومن جانب أخر يركز ابن خلدون على الدولة في مرحلة تطورها في أنها تستخدم المرتزقة ليدافعوا عنها فتدفع لهم أكثر ، وهنا تكون الدولة مهددة بالإفلاس وبالمقابل ينتقد ميكيافلي فكرة استخدام المرتزقة التي تقود الى الدمار والخراب ، ان الأمثلة المقدمة تظهر التشابه بين ميكيافلي وابن خلدون الى جانب تأثير أرسطو وتأثير ابن خلدون الخفي على مكيافلي

لم يتوقف ميكيافلي عن اسداء النصح للأمراء بأن يتصرفوا على أساس القوة ، فالأفعال البشرية خاضعة للإرادة والثروة التي تظل سيدة الميدان ، فالطاقة أي القوة virtu وهي كلمة غير

[1]- المرجع نفسه : ص 11

قابلة للترجمة مثل كلمة عصبية عند ابن خلدون وهي القوة والصرامة في تطبيق القرارات المتخذة ، ويشدد ميكيافلي على دور الطاقة الفردية التي تحافظ على قوة الدولة ويتمثل ذلك في أمراء طموحون وناشطون ، ان التقاربات الابستمولوجية بين الفقيه المسلم والموظف الفلورنسي تتمثل في معرفة الارث الاغريقي فالخطو الحاسمة التي خطاها ابن خلدون وميكيافلي هو الرفض الشامل والمطلق لليوتوبيا وتبقى السياسة فن الايهام وجعل الآخرين يعتقدون في المظاهر والأوهام وهذا ما ينصح به ميكيافلي الأمير فالشعب يؤمن بسرعة ويعبر ابن خلدون قائلا " أحيانا تنعدم العصبية تماما فيقوم مقامها البذخ والبهرجة " [1] .

ان مقارنة توصيفات الرجلين وتحاليلهما و أحكامهما يؤدي بنا الى القول أنه يستحيل تخطي العقلنة الخلدونية أو المكيافلية لقد بذل كلاهما جهدا فكريا كبيرا دون الانسلاخ عن بيئتهما

وهكذا فحضور المكيافلية في الفكر العربي قد كان واضحا من خلال اهتمام الفلاسفة والمفكرين العرب خاصة في محاولة مقاربة فلسفته السياسية بفلسفة ابن خلدون الى جانب الترجمات التي اهتدى اليها الكثير من المفكرين والكتاب كل هذا كان الهدف منه توضيح شخصية وفلسفة ميكيافلي التي ظلت غامضة عند الكثير خاصة فيما يتعلق بكتابه الأمير الذي يمثل الجزء الهام من فلسفته السياسية .

[1]- عبد الله العروي : ابن خلدون ومكيافلي المرجع نفسه ص : 48

الخاتـــمة

خاتمة :

في نهاية هذا العرض ،بإمكاننا أن نأتي على ذكر بعض الاستنتاجات المتفرقة حول مختلف القيم الأخلاقية والسياسة في فلسفة ميكيافلي، ومن خلال نصوصه المركزية وفي مقدمتها الأمير فميكيافلي في الماضي القريب قد كان منبوذا ،كما لاحظنا ،ووصف البعض كتابه الأمير بصفات سلبية ،وعندما نقرأ له نجد أنه مجدد في السياسة وأول من أرسى الأساس الذي تقوم عليه الدولة القومية ،كما اعتبره الكثير من الفلاسفة وفي مقدمتهم فلاسفة الفلسفة الحديثة ، واستخلصنا بعض النتائج انطلاقا من الفكر السياسي القديم عند الفلاسفة اليونان ، وباقي المدارس الأخرى للتعرف على الجذور التاريخية للفلسفة المكيافلية.

لقد أرادت المدرسة السوفسطائية إعادة الاعتبار لأسس الحكم السياسي ،كما اعتقد أنتيفون في مقالته الحقيقة الغاء التمييز بين اليوناني وغير اليوناني وهنابدأت البراعم للتفكير المكيافلي في الظهور .

_ استخلصت المدرسة السوفسطائية بزعامة بولوس أن قوانين الدولة من صنع الضعفاء مع العلم أن أول من روج لقانون القوة هو السوفسطائي .

_ بدأت بعض المعالم السياسية في الظهور لدى المدرسة السوفسطائية التي ظلت تبحث عن قاعدة بديلة تحول دون ارتكاب الظلم مما يعني أن فلسفة السوفسطائي أدت الى تعميق وعقلنة الأفكار الأخلاقية والسياسية ومن هنا أعلنوا عن مشاركتهم في الحياة العامة .

_ لقد لعبت المدرسة السوفسطائية دورا كبيرا في التنوير السياسي لأبناء مجتمعهم ولقد توصل بروتاغوراس الى أن حالة الطبيعة تمثل في الأساس مثالا للهمجية والاندفاع الفردي في الظلم

والعدوان وهنا أدركت المدرسة السوفسطائية الطبيعة البشرية كونها محددة بملمحها الطبيعي والفردي .

وغير بعيد عن فلسفة أفلاطون الذي يكشف عن القوة التي لا تحددها الوسائل المادية فقط بل هناك وسائل أخرى ، كالذكاء ، الصلاح والتضحية من أجل الغير ولا حظنا تركيز أفلاطون على القيم التي يمتاز بها الانسان في كل زمان ومكان فقد نجد :

_ الأهواء والرغبات تطمس الفضائل العليا التي تؤدي الى الاستبداد السياسي

_ لقد فحص أفلاطون الطبيعة البشرية باحثا عن الغاية من أصل النظام الاجتماعي

_ ان أفلاطون صاحب نظرية سياسية غايتها الدفاع عن قيم الخير والحق والجمال والعدل

_ يبقى الفلاسفة هم الذين يحكمون الدولة انطلاقا من الصفات التي يتميزون بها وهذا ما أكد عليه أفلاطون في جمهوريته بمعنى حكم النخبة لاغير وفق دولة الحق وتحقيق الديمقراطية .

لقد كان أرسطو أكثر تبصرا في ماهية الحكومات والدساتير ولقد كشف عن ذلك في كتابه منهج السياسة باحثا عن سعادة الانسان كل هذا من أجل ضمان الانسجام بين الدولة والتشريع والمجتمع مع ضرورة البحث عن غاية الخير الذي يكون كغاية سامية لكل سياسة .

_ كما ينادي أفلاطون فالغاية تتمثل في بلوغ الفرد غاية الفلاح داخل الدولة عن طريق سياسي حصيف .

_الجمهورية عند أرسطو تقوم على عدل اجتماعي اختياري بل تقوم على قاعدة العدل الكوني وسن دستور فيه تصويب سياسي للعدالة وهنا أوجد أرسطو الركن الأول في عالم السياسة وبعده ميكيافلي العنصر الثاني وهو المنهج الموضوعي المتجرد من الاهتمامات الخلقية .

خاتمة

_ استطاع أرسطو تقديم النصائح الضرورية من أجل الحفاظ على جميع الدساتير وكان تأليفه هذا مؤثرا لمن أتو بعده في عملية الحكم أمثال نيكولا ميكيافلي .

وما استخلصناه في الفكر السياسي القديم هو النظرية الفلسفية للقديس أوغسطين التي تأثرت بالفلسفة اليونانية وخاصة فلسفة أفلاطون وانطلق أوغسطين الى تحليل المشاكل السياسية التي كانت تضطرب بها الدولة الرومانية باحثا عن مدينة تخلوا من المظالم والتي سماها مدينة الله مشددا في نفس الوقت على ضرورة الدولة .

_ لقد حاول أوغسطين محاربة كل أشكال العبودية ومحاربة الأفعال غير الخلقية من أجل مدينة الله .

كما يعتبر القديس توما الاكويني قمة الفلسفة المسيحية والذي صاغ نظرياته على أساس فلسفة أرسطو ويركز الاهتمام على ضرورة أن تكون الدولة عادلة ومن هنا سار توما الاكويني على خطى أرسطو في اشتقاق الدولة من الطبيعة الانسانية بغية استخلاص تبريرا للمجتمع المدني.

بعد فلسفة القرون الوسطى تشكلت فلسفة جديدة ارتبطت بنيكولا ميكيافلي بفكر سياسي حديث وقيل عنه الكثير هناك من سماه مؤرخا وأخر فيلسوفا أو حتى تسمية رجل سياسي انطلاقا من نصه المركزي "الأمير " ، ولقد استخلصنا تصوره الفلسفي والسياسي وحتى الأخلاقي عبر المعالم الميكيافلية في رؤيتها للدولة القومية انطلاقا من المفهوم الذي قدمه ميكيافلي للدولة على أنها قوة بها قواعد سلوكية يتبعها الأمير حتما وهذا ما أدركناه من خلال الاطلاع على فلسفة مكيافلي الأخلاقية والسياسية وهنا يمكن أن نأتي على ذكر بعض الاستنتاجات حول شخصية مكيافلي ومكانة القيم الأخلاقية والسياسية عنده

_دعى مكيافلي الى الوحدة الايطالية نتيجة الفساد الأخلاقي والسياسي

_ كان لكتاب الأمير لمكيافلي دورا أساسيا في بلورة النظرية السياسية

خاتمة

_ فصل الدولة عن الأخلاق والدين لبلورة فكرة الدولة القومية الوطنية

_يمثل عصر النهضة أهم مرحلة مهدت لظهور الفكر السياسي بجميع نواحيه

_ السياسة عند مكيافلي غاية في ذاتها ولا يرى فيها يوتوبيا

_ لقد بدى لنا أن نسق مكيافلي الفلسفي يعتبر من صميم الفكر السياسي الحديث بالنظر الى واقعيته الأرسطية المناقضة لأفلاطون .

_ المتأمل في كتاب الأمير يجده متناسبا مع البيئة المضطربة التي عاشتها الكثير من المجتمعات

_السلطة عند مكيافلي تعتمد على الردع تطرد من فضاءاتها الاخلاص وحفظ الوعود .

_ ان كلام مكيافلي عن الحاكم يتمثل في أنه يأمن نفسه من الأعداء لكسب الأصدقاء عن طريق الخديعة والقوة .

لقد تكلم مكيافلي عن القيم الأخلاقية والسياسية وعن أهم القيم الواجب أن يتصف بها الأمير الحاكم الذي يجب أن يصدقه الجميع ليكتسب الشهرة والسعادة ولقد حكم البعض على شخصية ميكيافلي برجل شرور شيطانية أو معلم الشر .

إن تفكير ميكيافلي لم ينل التقدير المناسب إلا منذ القرن الثامن عشر حيث أجمع الفلاسفة على عبقريته وذكائه أمثال روسو ، وهيغل وغيرهم كثيرون كما سمي برسول الوحدة الايطالية ، ونقل الفكر السياسي الى فكرة التعاقد على أساس أن مبرر وجود الدولة هو تأمين حياة الأفراد هذا الى جانب الانتقال الى السيادة الشعبية على أن الدولة تتأسس عن طريق التعاقد للحصول على المساواة والحرية.

كما أن السيادة الشعبية تمثل إعادة بناء المجتمع المدني سياسيا وفي ذلك إعادة تأصيل العقد الاجتماعي ،تعبيرا عن الإرادة العامة ومن هنا كان فكر روسو أقرب الى فكر ميكيافلي

خاتمة

ترك ميكيافلي أثرا بالغا في الفلسفة الحديثة كما كان له التأثير الكبير في الفلسفة المعاصرة ، فالكلام عن نهاية للميكيافلية لم يعد له وجود في الفكر الفلسفي المعاصر بل كانت فلسفته حاضرة وبقوة .

حلل الفكر السياسي المعاصر فلسفة ميكيافلي ، ورأى بأن هناك إيديولوجية سياسية تتأسس داخل الأمير الذي يمكن النظر إليه بالأمير الأسطورة ، كما أعاد الفكر السياسي المعاصر قراءة ميكيافلي لتحليل فن الحكم جينيالوجيا ويرى في ميكيافلي من القلائل الذين حاولو فهم سلطة الأمير فالمشكل ليس في ميكيافلي وإنما في طبيعة السلطة .

لقد أكدت الفلسفة السياسية المعاصرة أن ميكيافلي قد أعطانا الطريقة التي نكرس بها القطيعة ووضع على البساط السؤال السياسي لبناء الدولة الوطنية .ويبقى ميكيافلي المصدر الرئيسي للسياسة وتكون الفضيلة هي الأساس الذي يعطي للدولة الاستمرارية .ولقد قال عنه المؤرخ ول ديورانتwill durant) في كتابه قصة الحضارة "بقي من هذه الطائفة رجل واحد يصعب علينا أن نضمه الى صنف بعينه فقد كان دبلوماسيا ومؤرخا وكاتبا مسرحيا وفيلسوفا وأكبر مفكر ساخر في زمانه ووطنيا متحمسا يتحرق رغبة في تحقيق مثل أعلى نبيل "[1]وتبقى أراء مكيافلي في السياسة من أحجار الزاوية في طريقة الاستقراء العلمية الحديثة ومن أسس علم السياسة العصري وهي في ذات الوقت فلسفة سياسية خالصة ليس فيها شيء من فلسفة مابعد الطبيعة ولا اللاهوت . وصولا الى الفكر العربي الذي تعددت قراءاته للميكيافلية ووجدنا بعض الترجمات للمفكر "أكرم مؤمن " وفاروق سعد وغيرهم واستخلصنا بعض النقاط :

1 نيكولا مكيافلي: الأمير ،ترجمة وتقديم ودراسة خليل حنا تدرس، كتب عربية 2006 ص :42

خاتمة

_ محاولة الفكر العربي اعادة قراءة مكيافلي وتوضيح فلسفته التي لا يمكن حصرها في فكرة الغاية تبرر الوسيلة .

_نفي فكرة أن المكيافلية انتهازية ولا تحمل شرفا .

_ تأكيد المفكر العربي أمثال خيري حماد على أن مكيافلي سياسي عصر النهضة

_إقامة مقارنة بين مكيافلي وابن خلدون جعلت من المفكر العربي، علي الوردي القول ببعض الفروقات بينهما على أن الفرد العربي يقبل على ابن خلدون، وينفر من ميكيافلي نظرا لقناعاته بأنه لا يخدم أفكاره والتي لا يريد أن يتصل بها ومن هنا كان النفور من الميكيافلية والتي لا تزال لحد الآن محل سخرية من البعض أو تعليقا على سلوك انتهازي بالإشارة الى ميكيافلي.

ويبقى هذا البحث المتواضع مفتوحا للاستنتاج بالدرس والتحليل لأن الفكر السياسي في تراثنا لم يهتم بميكيافلي كثيرا وحتى في الفكر الحديث كان اهتماما شكليا ولا أساسيا والنظر الى ميكيافلي كونه مؤرخ ولكن توصلنا من خلال بحثنا أنه من صميم الفكر السياسي الحديث وهذا ما قاله عنه سبينوزا spinoza على أنه رجل حكيم وصاحب نصائح ضرورية ،و قد نتساءل في الأخير ،هل يمكن القول أن فلسفة مكيافلي لاتزال قائمة وحاضرة في الفكر الفلسفي السياسي المعاصر ؟ومايدل على حضور الفلسفة المكيافلية هو الملتقى الدولي بلندن حول فلسفة ميكيافلي

أيام 29 و 30 و 31 ماي 2013 وكانت جل المداخلات تتكلم عن فلسفة كتاب الأمير وعن أهم القيم الأخلاقية والسياسية الواجب أن يتحلى بها الأمير وبمختلف القراءات الفلسفية ، وعموما نستطيع القول أن تأثير ميكيافلي كان كبيرا ومؤثرا للغاية تجاوز الحدود الايطالية خاصة من خلال أفكاره السياسية والأخلاقية التي عمل بها مختلف القادة العسكريين

الى جانب دعاة السياسة ،فالتأثير كان واضحا فهل يمكن أن نتحدث اليوم عن نهاية للمكيافلية ؟

خاتمة

في ظل التحولات التي يشهدها العالم أم أن المكيافلية ستظل حاضرة ؟ ومن هنا يمكن اعتبار الفلسفة المكيافلية فلسفة مجددة في السياسة رغم الانتقادات التي وجهت اليها . ولقد حاولنا دراسة أهم القيم في فلسفة ميكيافلي السياسية والأخلاقية ويبقى جهدا متواضعا نأمل أن نطوره مستقبلا .

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المراجع

1. أنطونيو غرامشي حياته و فكره تأليف أنطونيو بوزوليني ترجمة سمير كرم المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت لبنان الطبعة الأولى 1977
2. اميل برييه تاريخ الفلسفة القرن السابع عشر ترجمة جورج طرابيشي دار الطليعة بيروت لبنان الطبعة الأولى 1983
3. اميل برييه تاريخ الفلسفة اليونانية ترجمة جورج طرابيشي دار الطليعة للطباعة والنشر
4. أوغسطين أعمال الملتقى الدولي الاول عنابة الجزائر من 1 الى 7 ابريل 2001بيروت لبنان الطبعة الاولى 1988الرد على مكيافلي : ترجمة الحسن اللحية أفريقيا الشرق بيروت لبنان 1998
5. الفلسفة السياسية المعاصرة من الشموليات إلى السرديات الصغرى مجموعة مؤلفين اشراف علي عبود المحمداوي

   مراجعة : الدكتور اسماعيل مهنانة والدكتور محمد شوقي الزين ابن النديم للنشر والتوزيع دار الروافد الثقافية ناشرون الطبعة الأولى 2012
6. جون اهر نبرغ المجتمع المدني التاريخ النقدي للفكرة ترجمة علي حاكم صالح حسن ناظم المنظمة العربية للترجمة الحمراء بيروت فبراير 2008
7. جون كاميت غرامشي حياته و أعماله ترجمة عفيف الرزاز مؤسسة الأبحاث العربية الطبعة الأولى بيروت لبنان 1984
8. حسن حنفي نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط أوغسطين ؛ انسلم ؛ توما الاكويني بيروت لبنان 1981
9. حسين حرب : الفكر اليوناني أفلاطون دار الفكر اللبناني بيروت لبنان الطبعة الاولى 1990

10. حسن صالح حماده دراسات في الفلسفة اليونانية المجلد الأول دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان سنة 2005
11. خليل أحمد خليل تاريخ الأفكار السياسية معهد الإنماء العربي كتاب الفكر العربي
12. رأفت عبد الحميد الفكر السياسي الأوروبي في العصور الوسطى دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة 20021
13. سالم القمودي سيكولوجيا السلطة مؤسسة الانتشار العربي الطبعة الثانية بيروت
14. عبد الرحمن بدوي فلسفة القرون الوسطى دار القلم بيروت لبنان الطبعة الثالثة 1979
15. عبد الرحمن بدوي امانويل كانط فلسفة القانون والسياسة الناشر وكالة المطبوعات 27 فهد السالم الكويت
16. علي الوردي منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته دار كوفان الطبعة الثانية 1994 لندن دار الكنوز الأدبية بيروت لبنان
17. قضايا الفكر السياسي " القانون الطبيعي الدكتور ملحم قربان المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع 1982بيروت لبنان
18. فردريك الثاني ملك بروسيا الرد على مكيافلي ترجمة الحسن اللحية افريقيا الشرق 1999 الدار البيضاء المغرب
19. صايم عبد الحكيم : هواجس فلسفية في التراث والفكر المعاصر كنوز الحكمة الطبعة الأولى 2011
20. مختار عريب الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي الى البيواتيقا كنوز الحكمة الابيار الجزائر العاصمة 2009
21. محمد وقيع الله محمد مدخل الى الفلسفة السياسية دار الفكر دمشق الطبعة الأولى2010
22. محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي الحداثة الفلسفية نصوص مختارة الشبكة العربية للأبحاث والنشر

23. نور الدين حقيقي الخلدونية العلوم الاجتماعية وأساس السلطة السياسية ترجمة الياس خليل المطبعة الجهوية بوهران
24. نيكولا مكيافلي الأمير ترجمة من الفرنسية الدكتور عبد الرزاق عبيد دار صالح تلانتيقيت للنشر والتوزيع بجاية الجزائر 2011
25. نور الدين حاروش تاريخ الفكر السياسي أعمال موجهة بقلم الدكتور سليم قلالة الجزائر ماي 2004 برج الكيفان الجزائر
26. غرامشي تأليف أنطونيو بوزوليني ترجمة : سمير كرم سلسلة أعلام الفكر العالمي المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت لبنان الطبعة الأولى ديسمبر 1988
27. لويس عوض ثورة الفكر في عصر النهضة الأوربية الطبعة الأولى القاهرة 1987
28. المجلس الاعلى الاسلامي وبمشاركة جامعة فرايبورغ سويسرا الجزء الاول
29. زينب محمود الخضيري ابن سينا وتلاميذه اللاتين دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
30. وولتر ستيس تاريخ الفلسفة اليونانية : ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت لبنان 2005
31. يوسف كرم تاريخ الفلسفة الاوروبية في العصر الوسيط دار القلم بيروت لبنان 1979
32. يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة : دار المعارف بمصر
33. بليمان عبد القادر :الأسس العقلية للسياسة ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر نوفمبر 2007
34. عبد الله العروي : ابن خلدون ومكيافلي بحوث اجتماعية ترجمة خليل أحمد خليل دار الساقي الطبعة الأولى 1990لندن

قائمة المصادر باللغة العربية

1. أرسطو في السياسة : ترجمة : الأب أوغسطين باربارة البولسي اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع بيروت لبنان ط2 1980
2. برتراند راسل تاريخ الفلسفة الغربية الكتاب الثالث الفلسفة الحديثة ترجمة محمد فتحي
3. الشنيطي الهيئة المصرية العامة للكتاب الاسكندرية 1977
4. توماس هوبز اللفياثان الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة ترجمة ديانا حرب وبشرى صعب ؛ مراجعة وتقديم رضوان السيد الطبعة الاولى 2011 أبو ظبي
5. جان توشار تاريخ الفكر السياسي ترجمة الدكتور علي مقلد الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع بناية الكومودور سنتر الحمراء لبنان بيروت لبنان الطبعة الثانية 1983
6. مكيافلي الأمير تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده ترجمة فاروق سعد دار الأفاق الجديدة المغرب تعليق بنيتو موسوليني ومقدمة كرستيان غاوس وتعريب خيري حماد وتعقيب فاروق سعد الطبعة التاسعة عشرة 1991
7. مكيافلي الأمير ترجمة وتقديم ودراسة خليل حنا تدرس كتب عربية 2006
8. مكيافلي الأمير ترجمة أكرم مؤمن مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع مصر الجديدة القاهرة 2004
9. ف . س نرسيسيان الفكر السياسي في اليونان القديمة ترجمة حنا عبود الطبعة الأولى سوريا دمشق مكتبة الأسد 1991
10. كوينتر سكينر أسس الفكر السياسي الحديث عصر النهضة الجزء الاول ترجمة حيدر حاج اسماعيل مركز دراسات الوحدة العربية بيت النهضة شارع البصرة الحمراء بيروت لبنان الطبعة الاولى مايو 2012
11. وولتر ستيس تاريخ الفلسفة اليونانية : ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت لبنان 2005

المراجع بالفرنسية

1. emilio de ipola althusser l'adieu infini pratiques théoriques prèface d'ètienne balibar 1 èdition mai 2012 paris france
2. gèrald sféz et michel senellart l'enjeu machiavel collection librairie du collége international de philosophie universitè de France
3. machiavel / jean François Duvernoy
4. machiavel le prince texte integrale édition 99641980 france
5. Michel Bergés machiavel un penseur masqué edition complexe 2000 collection theorie politique université de bordeaux

الموسوعات والقواميس العربية:

1. جلال الدين سعيد المصطلحات والشواهد الفلسفية دار الجنوب للنشر تونس أكتوبر 2007
2. عبد الرحمن بدوي الموسوعة الفلسفية الجزء الثاني المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة الأولى 1984
3. زكي نجيب محمود الموسوعة الفلسفية المختصرة دار القلم بيروت لبنان

الموسوعات والقواميس بالأجنبية :

- jacquline russ dictionnaire de philosophie bordas paris 1991

الملتقيات

-المكيافلية : الأمير " الملتقى العالمي لندن 29 ؛ 30 و31 ماي 2013 بجامعة برونال لندن

المجالات والدوريات

-دراسات عربية مجلة فكرية اقتصادية اجتماعية تصدر عن دار الطليعة بيروت ص ب 111813

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

1نيكولا مكيافلي 1469 1527

1469 مولد نيكولا مكيافلي في فلورنسا

1498 أختير مكيافلي سكرتيرا للمستشارية الثانية لجمهورية فلورنسا

1500 انتهى مكيافلي من أولى بعثاته الى فرنسا حيث قابل الملك لويس الثاني عشر

1504 يعود مكيافلي الى فرنسا

1512 تمت الاطاحة بجمهورية سودريني وعادت أسرة مديتشي الى الحكم

1513 نجاة مكيافلي بأعجوبة من عقوبة قاسية وطرد من عمله

1513 انتهى مكيافلي من كتابة الأمير وكتاب "أحاديث"

1515 انتهى مكيافلي من كتابة كتاب فن الحرب

1518 ألف مكيافلي كتاب " جذور تفاح الجن "

1520 تكليف من جامعة فرنسا لمكيافلي بكتابة تاريخ فلورنسا

1521 طبع كتاب فن الحرب

1526 قدم كتاب تاريخ فلورنسا الى "كلمنت" السابع

1527 مات مكيافلي ودفن في سانتا كروس بفلورنسا florence

_2 شخصيات أخرى :

أجاتوكل الصقلي agtocle sisilien:أحد أبناء صانعي الفخار جاء من قاع طبقات المجتمع عرف بدهائه الشديد اعتلى عرش سراكوز

_ مارلو : marlowe شاعر ومسرحي انجليزي 1564 1593

_روميلوس :717 771 أول ملك لروما

_ بروتس :brutus من رجال السياسة في الجمهورية الرومانية : 42 ق م 85_

_ كرستيان غاوس : gauss 1878 1951 مربي أمريكي وعميد جامعة برنستون الأمريكية

_ هملكار القرطاجي : قائد وسياسي قرطاجي

_ بتراك betrake شاعر ايطالي

_ جون بودان jean bodan محامي فرنسي 1530 1596 أول من قرأ لمكيافلي

الملخص باللغة الفرنسية

ملخص باللغة الفرنسية

Les valeurs éthiques et politiques chez Nicholas Machiavel

Nicolas Machiavel est considéré parmi les philosophes de la Renaissance de premier plan dans le monde de la politique, et il a été ébranlé et secouer par la décomposition de la République de Florence en particulier et des républiques italiennes en générale et de là Machiavel s'est tourné vers le développement d'une philosophie politique convaincante dans une tentative de restaurer à l'Italie sa gloire perdue. Et on a essayé dans notre recherche, de sonder les caractères politiques et éthiques qui ont marqué la personnalité de Machiavel partant de la problématique que nous avons présenté dont le contenu était: Quelle est la nature de la philosophie morale et politique chez Machiavel ? Quelle est sa contribution à l'enrichissement de la pensée morale et politique ? Quel est son impact sur la pensée moderne et contemporaine? Et pourrons nous profiter de sa philosophie morale et politique? Est-ce que sa théorie a atteint l'écho souhaité? Est-elle toujours présente dans la pensée politique contemporaine et dans la pensée arabe?

Signalons que l'approche critique était présente dans les trois chapitres de cette étude.

Et selon le texte central de Machiavel intitulé "le Prince" ,nous avons pu déduire beaucoup de valeurs qui devaient caractériser un prince. Tout au début, cet ouvrage n'a pas pu répondre à l'objectif escompté, et on lui a donné peu d'intérêt pour devenir une référence politiquement importante. Et après la mort de Machiavel, nous avons trouvé sa pensée chez les philosophes antiques et en particulier l'école sophiste, qui a tenté de rationaliser les idées morales et politiques, Que ce soit pour la première ou la deuxième génération, et leur objectif était très clair, celui de développer la pensée politique et la diffusion des valeurs démocratiques.

En ce qui concerne la philosophie politique de Platon on est parvenu à cette conclusion : le pouvoir n'est pas déterminé par des moyens physiques seulement, mais il y a d'autres moyens comme l'intelligence, le sacrifice et la compétence, là où Platon à examiner les valeurs politiques et éthiques qui doivent caractériser le gouverneur. Et non loin d'Aristote, dans sa recherche de la politique idéale pour assurer le rapprochement entre l'Etat et la législation et a fourni les conseils nécessaires afin de préserver les constitutions. Et c'est sur cette théorie que machiavel s'est appuyé plus tard à l'ère de la Renaissance. Ainsi que la philosophie médiévale chez saint Augustin qui a transféré l'attention vers la fin de l'état qui doit rechercher la paix et le bonheur humain et à la défense des opprimés.

Au début de l'ère de la Renaissance Machiavel le politicien, l'historien et le philosophe est apparu, et on a constaté dans notre étude que la force est le but suprême dans sa philosophie politique et qu'elle était la valeur éminente qui méritait sa considération.

Les paramètres du machiavélisme deviennent plus clairs lorsqu'il fait référence à l'État-nation, et lorsqu'il parle des valeurs morales et politiques qui doivent caractériser le gouverneur, et s'est la question que nous avons essayé d'aborder dans cette recherche. Machiavel s'est distingué par le réalisme et c'est ce qui a matérialisé ses pensées et les a rendues plus pratiques. Séparer l'Etat de la morale et de la religion était aussi le but que Machiavel a tenté de réaliser dans sa philosophie.

Francis Bacon a écrit: «Nous avons une dette envers cet homme, c'est lui qui nous a désigné le monde de la politique sur la base de la gouvernance et les moyens qui donnent le pouvoir à l'Etat. Donc le but que Machiavel a sollicité était la continuité du pouvoir.

Machiavel s'est opposé au pouvoir du pape, et son objection est justifiée par le fait que le pape ne peut pas unir l'Italie en raison de sa faiblesse, et de là, Machiavel la morale de la puissance, car la guerre est le métier de celui qui gouverne.

La politique efficace reste lier aux intérêts du gouverneur et à son propre profit. Le réalisme de Machiavel a provoqué des remous dans les milieux politiques en raison des profits dont a tiré Napoléon, Hitler, Pinochet et beaucoup d'autres.

Francis Fukuyama insiste sur la désignation de Machiavel par le père du concept moderne de la politique et de l'affranchisseur de la pression de la philosophie morale classique.

D'prés Machiavel, la vertu de l'Emir, est de préserver le pouvoir par la force du caractère, le courage militaire et la faculté de surmonter les ennemis.

La politique de Machiavel expulse de ses espaces la fidélité et le maintien des promesses.

Les philosophes modernes et contemporains ont lu Machiavel par différentes visions. Thomas Hobbes s'est tourné vers le contrat social, qualifiant la société de cruelle, partant de l'idée de Machiavel.

Look s'est lancé d'une perception philosophique décrétant la protection des droits des individus et leurs libertés personnelles, en concluant un pacte qui les concerne tous.

Quand à Rousseau, il croit en l'idée de la reconstruction de la société civile politiquement et par des règles pacifiques.

L'intérêt porté à Machiavel ne s'est pas limité aux philosophes modernes, mais il les a dépassés aux philosophes contemporains tels que Gramsci dans son célèbre ouvrage " les livres de la prison" et il est parvenu à dire que Machiavel représente une idéologie politique dans son livre "le Prince".

Michel Foucault a relu Machiavel et a analysé la bonne vision et par une lecture Généalogique et épistémologique.

Et à travers ses lectures on est parvenu à dire que : la rationalité de l'Etat se développer sans prendre égard du machiavélisme.

Althusser estime que Machiavel nous a donné le début de la rupture, et c'est lui le fondateur d'une théorie sans idées antérieures, ainsi qu'il est aussi considéré comme l'homme de l'Etat-national.

La pensée arabe s'est intéressée à Machiavel dans le cadre de comparaisons entre lui et Ibn Khaldoun, et la traduction de ces ouvrages pour l'approcher à l'esprit du lecteur. Et c'est pour cela que nous ne pouvons parler de la fin du machiavélisme, bien au contraire nous avons remarqué sa présence dans de nombreuses stations philosophiques, ce qui signifie que son impact é était énorme.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة أ

الفصل الأول : القيم الأخلاقية والسياسية في الفكر السياسي القديم

1 . السوفسطائيون 3

2 . أفلاطون 12

3 . أرسطو 19

4 . العصور الوسطى 33

الفصل الثاني : القيم الأخلاقية والسياسية عند ميكيافلي

الفكر السياسي والأخلاقي في عصر النهضة 59

السياق السياسي والثقافي للفلسفة المكيافلية 61

القيم الأخلاقية والسياسية في فلسفة ميكيافلي 65

1 . السياسة والفضيلة 66

2 . السلطة وحجة الأقوى 72

3 . صفات الأمير الحاكم 84

4 . الدولة بين الازدهار والانحطاط 103

الفصل الثالث :المكيافلية في الفكر السياسي الحديث والمعاصر 107

1 ـ المكيافلية في الفكر الفلسفي الحديث 108

2ـ المكيافيلية في الفلسفة المعاصرة 128

3 ـ المكيافيلية و الفكر العربي . 142

الخاتمة 149

قائمة المصادر و المراجع

فهرس المحتويات

فهرس الأعلام

الملخص باللغة الفرنسية

الواجب أن يتصف بها الأمير وفي بداية عهد كتاب الأمير لم يرقى الى المطلوب وكان الاهتمام به ضئيل الشأن ليصبح مرجعا سياسيا هاما بعد وفاة مكيافلي ولمسنا تفكيره عند الفلاسفة القدماء خاصة عند المدرسة السوفسطائية التي حاولت عقلنة الأفكار السياسية والأخلاقية سواء بالنسبة للجيل الأول أو الثاني ولقد كانت الغاية واضحة لديهم الارتقاء بالفكر السياسي ونشر القيم الديمقراطية.انتقالا إلى فلسفة أفلاطون السياسية توصلنا الى النتيجة القائلة أن القوة لا تحددها الوسائل المادية فقط بل وسائل أخرى كالذكاء، التضحية والصلاح حيث قام أفلاطون بفحص القيم السياسية والأخلاقية الواجب توفرها في الحاكم وغير بعيد عن أرسطو في البحث عن السياسة المثلى لضمان الوفاق بين الدولة والتشريع وقدم النصائح الضرورية من أجل الحفاظ على الدساتير وهذا ما اعتمد عليه مكيافلي فيما بعد في عصر النهضة ، كما أن فلسفة القرون الوسطى عند القديس أوغسطين قد نقلت محور الاهتمام الى الغاية من الدولة التي تكون بحثا عن السلام وسعادة الإنسان ودفاعا عن المستضعفين.- بحلول عصر النهضة ظهر مكيافلي السياسي والمؤرخ والفيلسوف كما يسميها فلاسفة الفلسفة الحديثة والمعاصرة وفي دراستنا لمكيافلي لاحظنا أن القوة هي الهدف الأسمى في فلسفته السياسية حيث تكون القوة هي القيمة العليا التي تستحق الاعتبار عند مكيافلي.- إن معالم المكيافلية اتضحت أكثر في الاشارة الى الدولة القومية ويتحدث مكيافلي عن القيم الأخلاقية والسياسية الواجب توفرها في الحاكم وهي المسألة التي حاولنا مقاربتها في هذا البحث ولقد تميز مكيافلي بالواقعية هذا ما جعل أفكاره تتجسد وفصل الدولة عن الأخلاق والدين كان من الأهداف التي سعى اليها في فلسفته.- لقد كتب فرنسيس بيكون يقول " أننا مدينون لهذا الرجل فهو الذي أرانا عالم السياسة " وهذا انطلاقا من أساليب الحكم والوسائل التي تعطي قوة للدولة فالغاية التي ناشدها مكيافلي هي دوام السلطان - اعتراض مكيافلي على حكم البابا واعتراضه يبرره في كون البابا لا يستطيع أن يوحد ايطاليا نتيجة الضعف الذي يعتريه ومن هنا كان مكيافلي يرمي إلى أخلاق القوة فالحرب مهنة من يحكم.- السياسة الناجحة تبقى مرتبطة بمصلحة الأمير ومنفعته الذاتية ، فواقعية مكيافلي قد أحدثت ضجة في الأوساط السياسية على اعتبار الاستفادة من النصائح القابلة للتجسيد والتي استفاد منها "هتلر نابوليون، بينوتشي وغيرهم كثيرون .- يؤكد فرنسيس فوكوياما على تسمية مكيافلي بأب المفهوم الحديث للسياسة والمحرر من الضغوطات الأخلاقية للفلسفة الكلاسكية.

ملخص

يعتبر نيكولا مكيافلي من بين فلاسفة عصر النهضة البارزين في عالم السياسة ، ولقد اهتز وانفعل لتحلل جمهورية فلورنسا خاصة والجمهوريات الايطالية عامة ومن هنا اتجه مكيافلي إلى بلورة فلسفة سياسية قوية في محاولة لإعادة ايطاليا الى مجدها الضائع ،ولقد حاولنا في بحثنا هذا استقصاء النواحي السياسية والأخلاقية التي ميزت شخصية مكيافلي انطلاقا من الإشكالية التي طرحناه والتي كان مضمونها : ما طبيعة الفلسفة السياسية والأخلاقية عند مكيافلي ؟ وما هي مساهمته في اثراء الفكر السياسي والأخلاقي وما تأثيره على الفكر الحديث والمعاصر ؟ وهل يمكن الاستفادة من فلسفته الأخلاقية والسياسية ؟ وهل بلغت نظرية مكيافلي الصدى المطلوب وهل ما تزال حاضرة في الفكر السياسي المعاصر والفكر العربي ؟ وكان المنهج النقدي حاضرا في هذه الدراسة وهو المتبع في الفصول الثلاث واعتمادا على النص المركزي لمكيافلي وهو الأمير تمكنا من استخلاص الكثير من القيم .

الكلمات المفتاحية:

القوة؛ الأمير؛ الأخلاق؛ السياسة؛ الفضيلة؛ النهضة؛ الغاية؛ الوسيلة؛ الحظ؛ المصلحة.

نوقشت يوم 12 مارس 2015